بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة النجاح الوطنية

كلية الدراسات العليا

قصة موسى عليه السلام مع فرعون بين القرآن والتوراة
"دراسة مقارنة"

إعداد

نضال عباس جبر دويكات

إشراف

الدكتور محمد حافظ الشريدة

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين.

٢٠٠٦م

قصة موسى عليه السلام مع فرعون بين القرآن والتوراة
"دراسة مقارنة"

إعداد
نضال عباس جبر دويكات

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ: ٥/ ٣/ ٢٠٠٦م وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
- د. محمد حافظ الشريدة/ رئيساً	----------------------
- أ. د. حلمي كامل عبد الهادي/ عضواً	----------------------
- د. خالد علوان/ عضواً	----------------------

الإهداء

إلى والديَّ اللذين ربياني فأحسنا تربيتي

إلى المجاهدين المرابطين

إلى روحَيّ جدتي وعمي الطاهرتين

إلى زوجتي الوفية

إلى أبنائي عباس وأمل

إلى هؤلاء جميعاً أُهدي هذا العمل

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين، حمداً طيباً مباركاً فيه، والصلاة والسلام على إمام المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،

انطلاقا من قوله صلى الله عليه وسلَّم: **((من لا يشكر الناس لا يشكر الله عز وجل))**(١)

وقوله: **((إنّ أشكر الناس لله أشكرهم للناس))**(٢)، فإنني من هذا المقام أتقدم بخالص شكري وتقديري لأستاذي الفاضل الدكتور محمد حافظ الشريدة، الذي أعطاني من علمه ووسعني بقلبه، فوجَّهني خير توجيه، فأسأل الله له العفو والعافية، في الأولى والآخرة، وأسأله تعالى أن يجـزل له في عطائه، وأن يرفع درجته، إنه سميعٌ مجيب.

كما أتوجه بجزيل الشكر للأساتذة الأفاضل:

فضيلة الدكتور: حلمي كامل عبد الهادي.

وفضيلة الدكتور: خالد علوان.

الذين تفضلوا بقبول مناقشة هذه الرسالة

والحمد لله رب العالمين

---

(١) أحمد بن حنبل، أبو عبد الله الشيباني، مسند الإمام أحمد، (٢٣٣/١٨)، حديث رقم (١١٧٠٣)، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط(٢)، ١٩٩٩م.

(٢) المرجع السابق، (١٦٦/٣٦)، حديث رقم (٢١٨٤٦).

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

قصة موسى عليه السلام مع فرعون بين القرآن والتوراة

"دراسة مقارنة"

إعداد

نضال عباس جبر دويكات

إشراف

الدكتور محمد حافظ الشريدة

الملخص

بيَّنت في هذه الدراسة أحداث قصة موسى عليه السلام مع الطاغية فرعون في كل من القرآن والتوراة، وقمت بعقد مقارنة بين أحداث القصة في الكتابين، مبيناً أن التوراة تتفق مع القرآن في بعض الجوانب، كرسم ملامح القصة العامة، ولكنَّ اختلافهما كان أوسع وأشمل عند الحديث عن الجانب التفصيلي لأحداث القصة، كما ويتضح للقارئ أن القرآن يركز على مواطن العبرة والعظة في القصة، ولا يركز على الجانب التفصيلي الذي يخرج عن هذا الهدف، بينما تركز التوراة على السرد التاريخي التفصيلي وإن خرج عن مواطن العبرة والعظة، وقد بيَّنت التكريم الرباني لكليم الله موسى عليه السلام في القرآن، والإساءة المتكررة له في نصوص التوراة، وبيَّنت صبر موسى وثباته في وجه جبروت فرعون وطغيانه، ومن خلال هذه الدراسة يتبين للقارئ كثرة التحريف والتزيف في التوراة، لما فيها من تعد على الله

وعلى رسوله موسى عليه السلام، ووصفهما بأوصاف لا تليق بمقام الألوهية والنبوة، وفي هذا إشارة لانحراف اليهود في نظرتهم للإله والرسل الكرام.

وقد جعلت فهرساً للموضوعات، وفهرساً للآيات القرآنية وآخر للأحاديث النبوية الواردة في الرسالة، وترجمت لبعض الأعلام ممن تقتضي الحاجة أن أترجم لهم، وجعلت فهرساً للمصادر والمراجع. والله أسأل أن يجعل ذلك في ميزان حسناتي يوم ألقاه، إنه سميع مجيب.

المقدمة

الحمد لله العفوِّ الأكرم، الذي علَّم بالقلم، علَّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة والنعمة المسداة، محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن القرآن الكريم خاتم الكتب السماوية والمهيمن عليها، وإنَّ من تمام هيمنته عليها أن يكشف الكثير من جوانب التحريف والتغيير التي أُدخلت على تلك الكتب، ومن هذه الجوانب التي وقع فيها التحريف والتغيير قصص الأنبياء السابقين، خصوصاً قصة كليم الله موسى عليه السلام، وهذه التحريفات تضمنت الطعن في عقيدة موسى ورسالته بالإضافة إلى رميه بالعيوب المنفرة في جسده، وقد اخترت هذا الموضوع "قصة موسى عليه السلام مع فرعون بين القرآن والتوراة دراسة مقارنة"، لأكشف هذه الطعون وأفندها، ولقد قام المفسرون وبعض كتَّاب التاريخ بعقد مقارنة لبعض جزئيات هذه القصة بين القرآن والتوراة، مبيِّنين أوجه الاتفاق والاختلاف بين الكتابين في إيرادهما للقصة، إلا أنَّ حديثهم عن هذا الموضوع جاء مفرقاً ومشتتاً في تفاسيرهم وكتبهم، وقد قمت في بحثي هذا بجمع جزئيات هذا الموضوع مع إضافة بعض التعليقات والتحليلات، وأرجو من الله أن أكون قد وفقت لإخراج مادة مستقلة تتناول الموضوع من شتَّى جوانبه المختلفة، وقد قسَّمت هذا الموضوع إلى مقدمة وأربعة فصول على النحو التالي:

الفصل الأول: مدخل لقصة موسى عليه السلام مع فرعون

الفصل الثاني: موسى مع فرعون من الميلاد إلى البعثة

الفصل الثالث: مرحلة الدعوة ومواجهة فرعون

الفصل الرابع: الخروج في القرآن والتوراة

ولا بُدَّ من الإشارة إلى أنني قمت في كل فصل من هذه الفصول ببيان أحداث القصة كما جاءت في القرآن ثم بعد ذلك أبينها كما جاءت في التوراة، ثم أقوم في نهاية الفصل بعقد مقارنة بين أحداث القصة في كلا الكتابين مبيناً أوجه الاتفاق والاختلاف بينهما.

هذا وقد وقع اختياري على هذا البحث للأسباب التالية:

١- بيان الكثير من الحقائق عن سيدنا موسى عليه السلام كما عرضها القرآن، والتي قد تخفى على كثير من الناس بسبب الروايات التي منبعها الإسرائيليات.

٢- عدم تعرض العلماء لهذا البحث "قصة موسى عليه السلام مع فرعون بين القرآن والتوراة دراسة مقارنة" بشكل تفصيلي، وعدم إفراده في مصنَّفات خاصة تسهِّل على الباحث الرجوع إليها والإستفادة منها بشكل تفصيلي.

٣- لقد جاء اختياري لهذا الموضوع قبل كل شيء خدمة لكتاب الله عز وجل، وطلباً لرضوانه، ولكشف الحقيقة التي تقتضي الإنصياع لهذا الدِّين والتمسك به، بهدف الخلاص من الهلاك والفوز بالخير كله.

وقد اعتمدت منهجية علمية في كتابة هذا الموضوع، وذلك من خلال:

١- الرجوع إلى المصادر والمراجع في توفير المادة ذات الصلة بالموضوع، حيث قمت بتجميع نصوص القرآن الخاصة بقصة موسى عليه السلام مع فرعون، وما يقابلها من نصوص التوراة.

٢- قمت بدراسة شاملة لأحداث القصة في كلا الكتابين وتحليلها وبيان تعليقات العلماء عليها.

٣- قمت بمقارنة أحداث القصة في كلا الكتابين مبيِّناً أوجه الاتفاق والاختلاف بين الكتابين في حديثهما عن القصة.

٤- إتباع الأسلوب العلمي في كتابة الأبحاث وذلك عن طريق:

- تقسيم البحث إلى فصول ومباحث ومطالب.

- توثيق المعلومات بشكل دقيق ونسبة الأقوال إلى أصحابها.

- توثيق الآيات القرآنية ونصوص التوراة والأحاديث الشريفة وأقوال العلماء بشكل دقيق.

٥- وضع علامات الترقيم والتشكيل والتصنيف.

وأسأل المولى سبحانه أن يرزقني الإخلاص في القول والعمل، وأن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتي يوم القيامة، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

والحمد لله رب العالمين

الفصل الأول

مدخل لقصة موسى عليه السلام مع فرعون

الفصل الأول

مدخل لقصة موسى عليه السلام مع فرعون

المبحث الأول: موسى وفرعون في كتاب الله

المطلب الأول: موسى في القرآن

تُعتبر قصة موسى عليه السلام أكثرَ القصص وروداً في القرآن الكريم، فقد ذُكِرَ موسى في القرآن مائة وستاً وثلاثين مَرّة، في أربع وثلاثين سورة[١]، وقد حازت سورة الأعـراف علـى النصيب الأكبر من إجمالي هذا العدد، فقد ذكر كليمُ الله موسى فيها إحدى وعشرين مـرَّة، ثـم تلتها سورة القصص بثماني عشرة مرَّة، ثم سورة طه بسبع عشرة مرَّة، ثم سورة البقرة بـثلاث عشرة مرَّة، ثم سورتا يونس والشعراء بثماني مرَّات لكلٍ منهما، ثم سورة غافر بخمس مرات، وتشترك سور النساء والمائدة والأنعام وإبراهيم والنمل وهود والإسراء بنصيب واحد هو ثلاث مرَّات لكل منها، ومرتان في كل من سور الكهف والمؤمنون والأحزاب والصافات والأحقـاف، ومرّة واحدة في كلٍ من سور آل عمران ومريم والأنبياء والحج والفرقان والعنكبوت والـسجدة وفصّلت والشورى والزخرف والذاريات والنجم والصف والنازعات والأعلى[٢].

المطلب الثاني: فرعون في القرآن

وردَ اسم فرعون في القرآن أربعاً وسبعين مرّة، موزعةً على سبع وعشرين سورة[٣]، وأكثر السور ذكراً له هما سورتا الأعراف وغافر، حيث ذكر في كل منهما تسعُ مرَّات، ثـم تلتهمـا سورة القصص بنصيب مقداره ثماني مرَّات، ثم سورة يونس والشعراء بست مرَّات فـي كـل منهما، ثم سورة طه بخمس مرّات، ثم سورتا الأنفال وهود بثلاث مرَّات في كل منهما، وتشترك سور البقرة والإسراء والزخرف والدخان والتحريم والمزمل بذكره مرتين في كل منها، بينمـا

---

(1) عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص٨٥٤، دار الفكر، ط (٤)، ١٩٩٤م.

(2) الخالدي، صلاح عبد الفتاح، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، (٢/٢٧٠)، دار القلم، طـ (١)، ١٩٩٨م، بتصرف.

(3) انظر، عبد الباقي، المعجم المفهرس، ص(٦٥٤-٦٥٥)، مرجع سابق.

ذكر مرَّة واحدة في كل من سور آل عمران وإبراهيم والمؤمنون والنمل والعنكبوت و"ص" و"ق" والذاريات والقمر والحاقة والنازعات والبروج والفجر(١). ومن خلال استقراء السور التـــي ورد فيها ذكرُ موسى وفرعون، نجدُ أن السور المكية حازت على العدد الأكبر مـــن إجمـــالي عـــدد المرَّات التي ذكر فيها موسى وفرعون في كتاب الله، فقد ذكر موسى مائةً واثنتي عشرة مرَّة في السور المكية، بينما ذكر في السور المدنية أربعةً وعشرين مرَّة، وذكر فرعون ستاً وستين مرَّة في السور المكية، بينما ذكر في السور المدنية ثماني مرَّات فقط، وهذا يأتي تمشياً مع أســـلوب القرآن المكي وأغراضه، والذي يهتم بالجانب القصصي، لأخذ العبرة والعظة، والتخفيف عـــن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام، الذين كانوا يعيشون أوضاعاً صعبة تحت وطأة الطغاةِ المشركين في مكة المكرّمة.

المطلب الثالث: لمحة موجزة عن موسى عليه السلام

هو موسى بن عمران بن قاهث بن عازر بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام(٢)، وموسى اسم علم أعجمي(٣)، وقيل إن اسم موسى مكون من مقطعين هما "مو و شا"، و "مو" إسمٌ للماء في اللغة المصرية القديمة، و"شا" بمعنى الشجر، وقيل إنه سُمِّي بهذا الإسم لأنـــه وجد حيث ألقته أُمه في النهر، وقيل هو من الكلمة المصرية "مس" ومعناها طفـــل(٤)، وينتـــسب والدا موسى إلى بيت لاوي بن يعقوب عليه السلام(٥)، ومع أنَّ قصة موسى هي أكثر القـــصص وروداً في القرآن، إلا أن اسم والديه لم يذكر صراحة في كتاب الله، وقد ورد ما يدل علـــى أن اسم والده "عمران" في صحيح مسلم، فقد روى ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى

---

(1) الخالدي، القصص القرآني، (٢/٢٧٢)، بتصرف، مرجع سابق.

(2) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، قصص الأنبياء، ص٢٥٨، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز، مكتبة دار الثقافـــة، طــــ (٥)، ١٩٩٦م، وانظر ابن كثير، البداية والنهاية، م١، (١/٢١٢)، دار الرشيد، حلب.

(3) الخالدي، القصص القرآني، (٢/٢٨٠)، مرجع سابق.

(4) طبارة، عفيف عبد الفتاح، مع الأنبياء في القرآن الكريم قصص ودروس وعبر من حيـــاتهم، ص٢١٩، مطبعـــة دار الكتب، ودار العلم للملايين.

(5) الخروج (٢/(١-٣).

الله عليه وسلم أنه قال: "**مررت ليلة أسري بي على موسى بن عمران...**"[١]، أمّا اسم أمّه فلم يذكر في كتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وقد أُشير في كتاب الله وسنة رسوله إلى هارون عليه السلام، أخي موسى، وشريكه في حمل الرسالة وتبليغها، قال تعالى: ﴿ **وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَـٰرُونَ نَبِيًّا** ﴾[٢].

أما بالنسبة لتاريخ ولادة موسى عليه السلام فلا نملك تحديداً دقيقاً له، وهنا لا بد من الإشارة إلى أن كتب التاريخ مليئة بالإسرائيليات والأخبار التي لا تعتمد على دليل صحيح يتم من خلاله تحديد الزمن الذي ولد فيه كليمُ الله موسى عليه السلام بدقة، ومع ذلك يرى البعض أن موسى قد عاش في القرن الثالث عشر قبل الميلاد[٣]، وكذلك الأمر بالنسبة لتاريخ وفاته، فليس هناك تحديد دقيق للفترة الزمنية التي توفي فيها موسى عليه السلام، وتذكر التوراة أن عمر موسى عند وفاته في زمن التيه كان مائة وعشرين سنة[٤].

أما بالنسبة للمكان الذي دفن فيه موسى بعد وفاته فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أخبر أنه في ليلة الإسراء والمعراج قد مرَّ على موسى وهو قائمٌ يصلي في قبره عند الكثيب الأحمر[٥]، ويُستدل من خلال الأحاديث التي وردت في نفس الشأن أن الكثيب الأحمر الذي يضم قبر موسى يقع على بُعد رمية حجر من الأرض المقدسة، فهو على مشارفها، فقد روى البخاري ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (**أرسل ملك الموت إلى موسى عليهما السلام فلما جاءه صكه فرجع إلى ربه فقال أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت فرد الله عليه عينه وقال ارجع فقل له يضع يده على متن ثور فله بكل ما غطت به يده بكل شعرة سنة**

---

(1) انظر مسلم، أبو الحسن بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، (١ / ١٥١)، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات، حديث رقم (٢٦٧)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، ط(٣)، ١٩٨٣م.

(2) مريم (٥٣).

(3) البار، محمد علي، الله جل جلاله والأنبياء عليهم السلام في التوراة والعهد القديم، ص١٨٧، دار القلم والدار الشامية، ط (١)، ١٩٩٠م.

(4) انظر سفر التثنية (٣٤/٧).

(5) انظر الألباني، ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة، م(٦)، (ج١، ص٢٦١)، حديث رقم ٢٦٢٧، مكتبة المعارف للنشر والتعارف والتوزيع، ط(١)، ١٩٩٦م.

قال أي رب ثم ماذا قال ثم الموت قال فالآن فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر) [١].

وهذا القبر والكثيب الأحمر ليس في الأرض المقدسة وإنما هو على مشارفها، لأن موسى توفي قبيل دخول الارض المقدسة، وهم دخلوها بعده، ويرى البعض أن موسى مدفون بمدين وهي مدينة بين المدينة وبيت المقدس وقد اشتهر عن قبر بمدينة أريحا عنده كثيب أحمر أنه قبر موسى عليه السلام، وأريحا من الأرض المقدسة[٢].

المطلب الرابع: لمحة موجزة عن فرعون

ينتسبُ فرعون إلى الأسر التي حكمت مصر منذ (٣١٠٠) سنة قبل الميلاد[٣]، وقيل: الفرعون بلغة القبط "التمساح"[٤]، وفرعون علم على كل من ملك مصر كافراً من العماليق وغيرهم كما أن قيصر علم على كل من ملك الروم مع الشام كافراً، وكسرى علم على كل من ملك الفرس كافراً، وتبَّع علمٌ على كل من ملك اليمن كافراً والنجاشي علمٌ على من ملك الحبشة[٥]، والقرآن الكريم عدل عن ذكر اسم فرعون صراحة إلى لقبه، والسبب هو أن القرآن هدف إلى إبراز شخصية فرعون بغض النظر عمن يمثل هذه الشخصية.

---

(1) انظر البخاري، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، م(٢)، (ج٤، ص١٥٧)، كتاب أحاديث الأنبياء، باب وفاة موسى عليه السلام،حديث رقم (٣٤٠٧)، حقق أصولها الشيخ عبد العزيز بن باز، دار الفكر، ١٩٩٤م.

(2) انظر العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (٥٤٦/٦)، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٩م، والخالدي، القصص القراني، (٣٤٠/٣)، مرجع سابق. الكيالي، عبد الوهاب، موسوعة السياسة، (٤٨٢/٤)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، طـ (١)، ١٩٨٣م.

(3) أنظر الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، ماده فرعَنَ، ص٢٣٨، عناية يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، طـ (٤)، ١٩٩٨م، مع بعض التصرف، وأنظر عبد الأمير، علي مهنا، لسان اللسان، تهذيب لسان العرب، لإبن منظور، باب الفاء، مادة فرعن، (٣١٢/٢)، دار الكتب العلمية، بيروت، طـ (١)، ١٩٩٣م.

(4) إبن كثير، أبو الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، (٩٠/١)، دار إحياء الكتب العلمية.

(5) البار، الله جل جلاله، ص١٨٧، مرجع سابق.

وتاريخياً لا نستطيع أن نحدد بدقة الفترة الزمنية التي عاش فيها فرعون موسى للإختلاف السابق في تحديد الفترة الزمنية التي ولد وعاش فيها موسى عليه السلام، ويختار البعض أن ذلك كان في القرن الثالث عشر قبل الميلاد.

وفرعون موسى هو ذلك الطاغية الذي بعث الله إليه موسى عليه السلام في إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾[١]، ولم يكن من الفراعنة أشد غلظة ولا أقسى قلباً ولا أسوأ ملكاً منه، وقد اختلف في اسمه، فقيل إن اسمه مصعب بن ريان، وقيل هو الوليد بن مصعب، وعند أهل الكتاب هو قابوس، والمشهور في كتب التاريخ وأكثر كتب التفسير أن اسمه الوليد بن مصعب وكنيته أبو العباس وقيل أبو الوليد وقيل أبو مُرَّة[٢]، وكانت امرأته تدعى آسية كما جاء في الحديث الشريف **(كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران...)** [٣]، واختلفت الروايات في نسبه فقيل هو رجل من لخم، وقيل من غيرها من قبائل اليمن، وقيل من العمالقة، وقيل من قبط مصر.

وقد سكت القرآن عن ذلك كله، وهذا ينسجم مع هدف القرآن من إيراد القصة، وهو أخذ العبرة والعظة وليس السرد التاريخي فحسب، والظاهر أن موسى واجه فرعون واحداً وأن فرعون هذا قد عُمِّر زماناً طويلاً، فلا يوجد دليل على أن موسى قد واجه أكثر من فرعون، وبالنسبة لزمان غرقه فليس عندنا ما نعتمده في تحديد ذلك الزمان بدقة وحسبنا أن نقول أن اليوم الذي أنجى الله فيه موسى ومن معه، وأغرق به فرعون وجنده هو يوم عاشوراء، وهو العاشر من مُحرَّم كما جاء ذلك في الحديث الصحيح **(أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فوجد اليهود صياما يوم عاشوراء فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا اليوم الذي تصومونه فقالوا هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه وأغرق فرعون وقومه فصامه**

---

(1) طه (٢٤).

(2) الطبري، أبو جعفر بن محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن المعروف بتفسير الطبري، م١(ج١/٢٨٢)، تخريج صدقي جميل العطار، دار الفكر،١٩٩٥م، والنيسابوري، نظام الدين الحسن بن مُحمد بن حسين القمي، تفسير غرائب القرآن، ورغائب الفرقان، (٢٨٢/١)، ضبط وتخريج الشيخ زكريا عميرات، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م.

(3) البخاري، صحيح البخاري، م٣ (٢٥٢/٦)، كتاب الأطعمة، باب الثريد، حديث رقم(٥٤١٨)، مرجع سابق.

موسى شكرا فنحن نصومه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحن أحق وأولى بموسى منكم فصامه

رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر بصيامه) [١]، وفي هذا تحديد لليوم الذي مات فيه فرعون وليس السنة بعينها.

أما بالنسبة لمكان غرق فرعون وجنده، فلا يوجد تحديدٌ دقيقٌ للمكان الذي غرق فيه فرعون، والقرآن يشير إلى أن الله أوحى لموسى أن يسري بعباده، وأن يرحل بهم ليلاً، وأن يقودهم إلى ساحل البحر، والذي نسميه اليوم البحر الأحمر، مخبراً إيَّاه أن فرعون سيلحق بهم مع جنده للقضاء عليهم، ﴿ **وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ** ﴾[٢]، ويذكر ياقوت الحموي أن غرق فرعون كان في بحر القلزم، "و القلزم" مدينة قرب مصر، وسمي البحر نسبة إليها، ويكنى ذلك البحر (بأبي خالد) [٣]، ويرى الشهيد سيد قطب رحمه الله أن مكان غرق فرعون، وساحل البحر المذكور في قوله تعالى: ﴿ **فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ**﴾[٤]، هو عند التقاء خليج السويس بمنطقة البحيرات[٥]، والله تعالى أعلم.

المطلب الخامس: الأحداث الرئيسة لقصة موسى مع فرعون في القرآن

تناول القرآن الكريم قصة موسى عليه السلام مع فرعون من جوانب متعددة ومتنوعة، ابتداءً من الظروف التي سبقت مولده وانتهاءً بخروج موسى ومن معه واتِّباع فرعون وجنده لهم، وغرقهم في اليم، وأرى تتميماً للفائدة أن أذكر مجمل أحداث قصة موسى مع فرعون في كتاب الله بخطوطها العريضة وأن لا أتعرض للتفاصيل، مع الإشارة إلى السور التي ذكرتها، مشيراً إلى أنني سأفرد لها فصولاً منفردة إن شاء الله في ثنايا هذه الرسالة عند مقارنة أحداث قصة

---

(1) انظر مسلم، صحيح مسلم، (٧٦٥/٢)، كتاب الصيام، باب صوم عاشوراء، حديث رقم (١١٣٠)، مرجع سابق

(2) الشعراء (٥٢).

(3) ياقوت الحموي، أبو عبد الله بن عبد الله، معجم البلدان، (١٠٣/١)، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت.

(4) طه (٧٧).

(5) قطب، سيد، في ظلال القرآن، (٢١١/٦)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط(٧)، ١٩٧١م.

موسى مع فرعون من خلال دراستها في القرآن والتوراة، وإنما أردت من خلال هذا العرض أن أضع بين يدي القارئ ملامح عامة حول قصة موسى مع فرعون في كتاب الله، وعرضاً للجوانب التي أشار إليها القرآن عند تناول هذه القصة، وإليك الجوانب الرئيسة في قصة موسى مع فرعون كما جاءت في كتاب الله.

أولاً: الظروف التي سبقت مولده عليه السلام

تحدث القرآن عن الأجواء الصعبة التي عاشها بنو إسرائيل تحت وطأة الطاغية فرعون قبل مولد موسى عليه السلام، وذلك في أكثر من موضع كما في قوله تعالى: ﴿ طسٓمٓ * تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ * نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ * إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾[١]، وفي هذه الآيات وصف لحال بني إسرائيل في ذلك الزمن المظلم، الذي تزامن مع ولادة موسى والذي كانوا فيه تحت حكم الفراعنة الظالمين[٢].

ثانياً: مع موسى في مرحلة الميلاد

تحدث القرآن عن مولد موسى وإرضاعه، وقد جاء الحديث عن هذا الجانب في سورتي طه والقصص[٣]، وجاءت سورة القصص بتفصيل لأحداث الميلاد، من الإيحاء لأم موسى بإرضاعه وإلقائه في اليم، ووصفٍ لحال أم موسى في ذلك الموقف، وبشرى الله برده لها وأنه سيكون من المرسلين، وكذلك الحديث عن دور الأخت في هذه المرحلة، ودور زوجة فرعون في احتضان موسى، بينما أوجزت سورة طه الحديث عن المولد وذكرته في معرض النعم التي أنعم الله بها على موسى، ولم تهتم سورة طه بتفاصيل هذه المرحلة، وفي السياق القرآني نجد أن علاقة موسى مع فرعون في هذه المرحلة كانت أشبه بعلاقة التبني، فقد نشأ موسى في حضن أمه على

---

(1) القصص (١-٤).

(2) عباس، فضل حسن، القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، ص٣٠٦، دار الفرقان، عمان، الأردن، طـ (٢)، ١٩٩٢م.

(3) انظر سورة طه (٣٨-٤٠)، وسورة القصص (٧-١٣).

حساب فرعون ونفقته الخاصة، بعد أن زينت له زوجته اتخاذ هذا القرار بعد أن ألقى الله محبة موسى في قلبها.

ثالثاً: مع موسى في مرحلة الشباب

جاء الحديث عن شباب موسى، وطبيعة علاقته مع فرعون في هذه المرحلة في كتـــاب الله ضمن الحديث عن قضيتين متلازمتين، إحداهما نتيجة للأخرى، وهما قتل موسى الرجل القبطي، وهروب موسى إلى مدين[١]، خوفاً من بطش فرعون بعد أن فُضح أمره، وقد تحولـــت علاقـــة موسى بفرعون من علاقة التبني إلى علاقة الملاحقة والمطاردة والتربص، وبعد هروب موسى إلى مدين انقطعت هذه العلاقة مدة عشر سنين وهي فترة مكوثه في مدين[٢]، وقد وردت أحداث هذه المرحلة في سورتي القصص وطه[٣] مع الإشارة إلى أن سورة القصص فـصّلت أحـــداث هذه المرحلة تفصيلاً دقيقاً، بينما أجملت هذه المرحلة في سورة طه.

رابعاً: موسى مع فرعون بعد عودته من مدين.

هذه المرحلة تمثل الجانب العملي في رسالة موسى عليه السلام، وهي مرحلة الدعوة إلى الله ومواجهة فرعون، بعدما صدر الأمر الإلهي لموسى بحمل الرسالة، والـــذهاب إلـــى فرعـــون، ويشار هنا إلى أن الدعوة لم تقتصر على شخص فرعون، وإنما خصَّ ذكره لكونه رأس الكفـــر وهدايته تعني هداية الكثيرين، ونستطيع قراءة أحداث هذه المرحلة في كتاب الله ضمن المشاهد الأساسية التالية:

---

(1) مدينة على بحر قلزم، محاذية لتبوك، بها البئر الذي استقى منها موسى، وقال الحازمي: مدينـــة بـــين وادي القـــرى والشام، انظر الحموي، معجم البلدان (٥/٧٧)، مرجع سابق.

(2) مكث موسى في مدين عشر سنين كما صح ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما كما جاء في الحديث (سألني يهودي من أهل الحيرة أي الأجلين قضى موسى قلت لا أدري حتى أقدم على حبر العرب فأسأله فقدمت فسألت ابن عباس فقال قضى أكثرهما وأطيبهما إن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قال فعل). انظـــر البخـــاري، صـــحيح البخـــاري، م٢، (٣/٢١٧)، كتاب الشهادات، باب من أنجز الوعد وفعله الحسن، حديث رقم (٢٦٨٤)، مرجع سابق.

(3) انظر طه (٤٠)، والقصص (١٤-٢٨).

المشهد الأول: موسى معرفاً بنفسه ذاكراً مطالبه.

انطلق موسى بعد التأييد الإلهي له، وتمنن الله عليه باستجابة دعائه، وإزالة مخاوفه، والتي كان على رأسها خوفه من انتقام فرعون منه لما حدث منه من قتل القبطي، وطلبه أن يعينه بمعين من أهله، هارون أخيه، فهو يعلمُ منه فصاحة اللسان وثبات الجنان وهدوء الأعصاب[1]،انطلق ليعرِّف بدعوته ويذكر مطالبه، فأخبر فرعون أنه رسول من رب العالمين، وبيَّن الغاية التي جاء من أجلها، وهي إخراج الناس من الظلمات إلى النور، ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ورفع الظلم عن بني إسرائيل، وإخراجهم من عبوديته، قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ *حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ قَدۡ جِئۡتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَرۡسِلۡ مَعِيَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾[2]، ونجد أن هذا المشهد جاء مفصلاً في سورة الشعراء بشكل واسع ودقيق.

المشهد الثاني: رد فرعون على موسى.

بعدما سمع فرعون خبرَ موسى ونظر في كلامه، أدرك ما فيه من خطورةٍ على ملكه ونفسه، رفض هذه الدعوة، لأنها تسلبه كل مكاسبه، فذكّر موسى بماضيه وخاطبه ممتنناً عليه بتربيته في صغره، مذكراً إياه بفعلته التي قتل فيها القبطي[3]، ﴿ قَالَ أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا وَلَبِثۡتَ فِينَا مِنۡ عُمُرِكَ سِنِينَ * وَفَعَلۡتَ فَعۡلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلۡتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[4]

ولم يكتف فرعون بهذا الرد، وإنما شرع يهدد موسى ويتوعده إن لم يكف عن هذه الدعوة بالسجن، ﴿ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ ﴾[5]،

---

(1) قطب، الظلال، (٢٣٣٣/٤)، مرجع سابق.

(2) الأعراف، (١٠٤-١٠٥).

(3) الخالدي، القصص القرآني، (٤٠٥/٢)، مرجع سابق.

(4) الشعراء (١٨-١٩).

(5) الشعراء (٢٩).

متهماً إياه بالجنون تارة وبالسحر تارة أخـــرى، ﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٌ ﴾[1]، ﴿ قَالَ لِلۡمَلَإِ حَوۡلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴾[2].

المشهد الثالث: موسى يؤيد كلامه بالمعجزات

بعدما سمع موسى رفض فرعون لدعوته وتهديده إياه بالسجن، قدَّم موسى ما أمده الله بـــه مـــن المعجزات دليل صدق على دعواه، ﴿ فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعۡبَانٌ مُّبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴾[3]، فاتهم موسى بأنه ساحرٌ وتوعده فرعون بأن يأتي بسحر يضاهي ســـحره ويغلبه، واتفقوا على موعد يحشر فيه الناس ليروا الغلبة لمن، وكان ذلك يوم الزينة وهو أحـــد أعيادهم.

المشهد الرابع: المواجهة وانهزام الباطل

جاء اليوم الموعود لالتقاء السحرة بموسى، وتدفقت جموعٌ غفيرة على ساحة العرض، وبعد جدال ألقى السحرة عصيهم وحبالهم، فامتلأ المكان بما خيل إليه من سحرهم أنها أفاعي، وابتهج فرعون وظنَّ نجاح السحرة، وأوحى الله إلى موسى أن ألقِ عصاك، فإذا هي حيـــةٌ تلقــف مـــا يأفكون، فعلم السحرة أن موسى ليس ساحرا، فسجدوا لله رب العالمين، فتهددهم فرعون بتقطيع أيديهم وأرجلهم وصلبهم في جذوع النخل، ولكنهم ثبتوا وصبروا وتوجهوا إلى الله ضارعين أن يثبتهم وأن يتوفاهم مسلمين، ونقرأ أحداث هذا المشهد في سورتي طه والشعراء[4].

---

(1) الشعراء (٢٧). الشعراء (٣٤).
(2) الشعراء (٣٢-٣٣).
(3) طبارة، عفيف، مع الأنبياء في القرآن الكريم، ص٢٣٠، باختصار وتصرف، مرجع سابق.
(4) انظر طه (٥٦-٧٣)، والشعراء (٣٦-٥١).

المشهد الخامس: نجاة موسى وقومه وهلاك فرعون وجنده

يعتبر هذا المشهد الفصل الأخير في قصة موسى مع الطاغية فرعون، ونستطيع قــراءة هــذا المشهد بتفاصيله في سورة الشعراء[١].

وبشيء من الإيجاز في سورة طه[٢]، حيث الأمر الإلهي لموسى بالخروج من مصر، فــانطلق موسى بقومه سراً من أرض مصر قاصداً فلسطين ليلاً،فعلم فرعون بالأمر، فأرسل إلى أعوانه في الأقاليم كي يجمعوا الناس بعنف ليجهزوا جيشا ضخما ليقتفوا أثر موسى وأتباعه[٣]، فلحــق فرعون وجنده بهم حتى وصلوا ساحل البحر، فاستولى الذعر على أتباع موسى، وأيقنوا الهلاك، فأوحى الله إلى موسى أن يضرب بعصاه البحر، فانشق الماء وأصبح يابسة، فعبر بنو إســرائيل البحر حتى خرجوا من الجهة المقابلة، فلحق بهم فرعون وجنده، فأطبق الله عليهم البحر، فغرقوا وماتوا جميعاً، وكانت نهاية رحلة العذاب لبني إسرائيل مع الطاغية فرعون.

وقد سطر القرآن اللحظات الأخيرة من حياة الطاغية فرعــون فــي ســورة يــونس، قــال تعــالى: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ * ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ * فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾[٤].

وهكذا أسدل القرآن الكريم الستار على أحداث قصة موسى بغرق فرعون وجنــده فــي الــيم، وزوال جبروت أشد الطغاة عناداً وكفراً وتبجحاً على الله وخلقه، لتبدأ بعد ذلك أحداث قصة أشد صعوبة من هذه المرحلة، وهي أحداث قصة موسى مع بني إسرائيل.

---

(1) أنظر الشعراء (٥٦-٦٦)

(2) طه (٧٧-٧٨).

(3) طبارة، عفيف عبد الفتاح، اليهود في القرآن الكريم، ص١٦٦، مراجعة شريف خليل سكر وحسين يوســف غــزال، مطابع دار الكتب، بيروت، ط(١)، ١٩٦٦م.

(4) يونس (٩٠-٩٢)

المبحث الثاني: ملامح عامة حول قصة موسى مع فرعون في التوراة.

المطلب الأول: التوراة معنى ودلالة.

يطلق لفظ التوراة على الشريعة المكتوبة[١]، وهي التي أُنزلت على موسى عليــه الــسلام، وهي من أقدم الكتب السماوية التي نص عليها القرآن الكريم، ويطلق اسم التوراة أساساً علـــى الأسفار الخمسة الأولى من كتاب العهد القديم، وهي التكوين والخروج واللاويين والعدد والتثنية، ويطلق على التوراة كذلك مسميات أخرى مثل الأسفار الخمسة أو أسفار الــشريعة والنــاموس وأسفار موسى الخمسة، وقد يطلق لفظ التوراة على العهد القديم بأكمله من باب إطلاق الجــزء على الكل[٢].

المطلب الثاني: الأسفار التي وردت فيها قصة موسى مع فرعون.

تبين مما سبق ذكره أن التوراة تطلق على الأسفار الخمسة الأولى من العهــد القــديم، وقــصة موسى بشكل عام في جميع مراحلها من ولادته حتى وفاته وردت في كل من ســفر الخــروج واللاويين والعدد والتثنية، دون الحديث عنها في سفر التكوين، أول أسفار العهد القديم، والذي تناول قصة بدء الخلق حتى وفاة يوسف عليه السلام بأرض مصر[٣]، وقد جاءت أحداث قــصة موسى مع فرعون كاملة في سفر الخروج فقط، وقد سُمي بهذا الاسم لتناوله خروج بني إسرائيل من أرض مصر[٤].

المطلب الثالث: الأحداث الرئيسة للقصة في سفر الخروج

تناول سفر الخروج أحداث قصة موسى مع فرعون من ولادته حتى خروجه مع بني إسرائيل وغرق فرعون وجنده، وفيه الحديث عن الأجواء التي ولد فيها موسى والتــي ترافقــت مــع

---

(1) البار، محمد علي، المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، ص١١١، دار القلم والدار الشامية، ط(١)، ١٩٩٠م.

(2) المرجع السابق، ص٣١و ص١١١-١١٢.

(3) انظر البيشاوي، سعيد وآخرون، دراسات في الأديان والفــرق، ص٣٣، دار الاتحــاد، الأردن، طــــ (١)، ١٩٩٠، بتصرف.

(4) السقا، أحمد حجازي، نقد التوراة، أسفار موسى الخمسة، ص٣٠، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، ١٩٧٦م.

اضطهاد فرعون لبني إسرائيل، فقد جعل الفراعنة بني إسرائيل عبيداً لهم، وسخروهم في بنـاء مدنهم وفوق ذلك كله، فقد أمر فرعون مصر في ذلك الزمان بتذبيح ذكور بني إسـرائيل مـن المواليد الجدد، ويذكر سفر الخروج أن أُم موسى وضعته في سفط من البردى(١)، وذلك بعـدما خافت اكتشاف أمره، ثم ألقته في اليم، وبعد ذلك تحدث سفر الخروج عن دور أخته في مراقبته، وكذلك الحديث عن التقاطه من قبل آل فرعون، ودور ابنة فرعون في رعاية موسى واحتضانه، ومن ثم رجوعه إلى أمِّه والعيش في كنفها على نفقة القصر الفرعوني، ومن ثم عودته إلى قصر فرعون ليمضي فيه شبابه، ويذكر السفر كذلك حادثة قتل موسى الرجل القبطـي، ودفنـه فـي الرمال، وهروبه إلى مدين خوفاً من بطش فرعون وجنده، بعد أن فُضح أمره، وتحدث الـسفر كذلك عن قصته مع كاهن مدين وزواجه من ابنته، ومن ثم رجوعه إلى مصر، والمناداة عنـد جبل حوريب(٢)، وأحداث المواجهة مع فرعون، وخروجه مع بني إسرائيل من مصر، وغـرق فرعون وجنده في اليم(٣)، وكانت هذه الحادثة هي نهاية قصة موسى مـع فرعـون. وقبـل الخوض في مقارنة أحداث قصة موسى مع فرعون بين نصوص القرآن والتوراة، رأيـت مـن المجدي أن أقدم للقارئ عرضاً أبين فيه صفات الشخوص، وهما شخصية موسى وفرعون كما جاءت في القرآن والتوراة، لما في ذلك من إفادة إن شاء الله.

(1) في إشارة إلى قارب صغير مصنوع من عيدان البردى التي تنمو على ضفاف النيل، والتي تم طلاؤها بالقار لمنع نفاذ الماء منها، انظر ماستر فيديا، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص١٣٢، التقريب والجمع التصويري والمونتاج والأعمال الفنية شركة ماستر فيديا، حلوان، مصر.

(2) هو جبل سيناء، انظر المرجع السابق، ص١٣٨.

(3) البار، المدخل لدراسة التوراة، ص١٨٣، وما بعدها، مرجع سابق.

المبحث الثالث: شخصية موسى عليه السلام بين القرآن والتوراة

المطلب الأول: التكريم الرباني لموسى عليه السلام في القرآن

إن استعراض قصة موسى في القرآن يشكل صورة وضيئة ومشرقة لرجل اختاره الله منذ لحظة ولادته ليكون من أولي العزم من الرسل، حيث تتسم شخصيته بالقوة والصراحة والغضب لله والحب له وفيه، والبغض لمن عاداه وناوأه، مع ثقته التامة بنصرة الله له، ورعايته ودعمه للمستضعفين[١]، والقرآن الكريم وصف موسى عليه السلام بالصفات التي تليق بمنزلة رسول اختاره الله تعالى واصطفاه، وهذه أهم الصفات والمكرمات التي منحها الله لنبيه موسى من خلال آيات القرآن الكريم.

أولاً: موسى مخلصاً ورسولاً نبياً

لعل أهم وأرفع ما وصف به موسى في كتاب الله تعالى اختيار الله له لمنزلة الرسالة والنبوة، وهي منزلة لا تضاهيها منزلة، يصطفي لها الله من يشاء ويختار، ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾[٢]، وقد جمع الله له منزلة النبوة والرسالة والاصطفاء في آية واحدة فقال عز من قائل﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾[٣]، أي كان موسى مختاراً، إذ كان من الرسل العظام، وأولي العزم، الذين اصطفاهم الله على سائر الخلق و النبيين.

ثانياً: موسى كليم الله

خصَّ الله سبحانه وتعالى نبيه موسى بتكليمه مباشرة دون وساطة، قال تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾، وفي هذا تشريف وتكريم، وقد أكد الكلام بالمصدر "تكليماً"، لبيان أنه أراد

---

(1) البار، الله جل جلاله، ص ١٩٠، مرجع سابق.

(2) الحج (٧٥).

(3) مريم (٥١).

حقيقة الكلام، والمعنى أن التكليم منتهى مراتب الوحي، وفيه حيازة التكريم والتشريف[١]، يقول المفسرون: وقد خص الله موسى بهذه العبارة ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾[٢] ليدل على أنه أوحى لموسى بطريقتين، الأولى: الطريق الذي أوحى بها إلى غيره من الأنبياء، والثانية: الطريقة الخاصة وهي تكليمه مباشرة[٣]، وعلى هذا يكون جمع المراتب العالية، وخلُص إلى المنزلة الرفيعة في التكريم والتشريف وعلى هذا يدل قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي ﴾[٤]

ثالثاً: موسى مبرأ وجيها

ضرب بنو إسرائيل أشنع الأمثلة في إيذاء نبي الله موسى، ومارسوا ضده شتى أصناف الإيذاء، فطعنوا في عقيدته ودينه وأخلاقه، ورموه بالعيوب المنفرة في جسده[٥]، فبرأه الله مما رموه به وأثبت لهم سلامته: ﴿ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ﴾[٦]، والوجيه عند الله عظيم القدر، رفيع المنزلة[٧]، وقال بعض السلف: كان من وجاهته أنه شفع في أخيه هارون عند الله، وطلب منه أن يكون معه وزيراً، فأجابه الله إلى سؤاله وجعله نبياً.

رابعاً: موسى من الصابرين

قُدِّر لموسى أن يخرج من مصر خائفاً يترقب، ولبث في الغربة عشر سنين، ثم قُدِّر له أن يُبعث إلى أكثر أهل الأرض جبروتاً وطغياناً، وما أن بلَّغه دعوته حتى لاقى ما لاقى من السخرية والاستهزاء، وتوَّعده فرعون بالسجن والقتل، ويصبر موسى على هذا كله، ويوجِّه

---

(1) الأندلسي، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تفسير البحرالمحيط، (٤١٤/٣)، دراسة وتحقيق مجموعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت،ط٣، ١٩٩٩م.

(2) النساء (١٦٤).

(3) الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي، (٢٨٤٥/٥)، طباعة دار أخبار اليوم.

(4) الأعراف (١٤٤).

(5) انظر تفصيل ذلك، ابن كثير، قصص الأنبياء، ص٤٠٠، وما بعدها، مرجع سابق.

(6) الأحزاب (٦٩).

(7) الشوكاني، محمد علي بن محمد، فتح القدير، الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، (٣٨٠/٤)، راجعه وعلق عليه هشام البخاري و نصر عكاوي، المكتبة العصرية، صيدا، طـ (١)، ١٩٩٧م.

قومه للإستعانة بالله والصبر حتى يهديهم ويهلك عدوَّهم، ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[1]، وقد صبر موسى على لون آخر من البلاء، لعل نبياً آخر لم يمتحن بمثله، ذلك هو الصبر على أذى قومه، وعناد أتباعه من بني إسرائيل، وكثرة تمردهم وطول عنادهم[2]، فما أن جاوز بهم البحر بعد نجاتهم من فرعون حتى طلبوا منه أن يجعل لهم إلهاً، وما أن ذهب موسى إلى الطور ليناجي ربه حتى عبدوا من دون الله عجلاً جسداً له خوار، وما أن أمرهم بدخول الأرض المقدسة واعداً إياهم بنصر الله حتى رفضوا ذلك، ولذلك نجد أن جمهور المفسرين في تفسيرهم لقوله تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾[3]، يعدُّون موسى ضمن أصحاب العزم من الرسل الكرام، وذلك لصبره وثباته على دعوته، ولما لاقاه من فرعون ومن صبره على قومه[4].

خامساً: الغضب لله ونصرة المستضعفين

تظهر آيات القرآن الكريم غضب موسى لربه ودينه ونصرته للمستضعفين، فعندما طلب منه قومه أن يجعل لهم إلهاً من دون الله فوجئ بنسيان قومه معجزة النجاة، وانحراف نفوسهم تجاه الوثنية، وعندها غضب لرب العالمين فهو يغار على الألوهية، ويقول قولته التي تليق بهذا الطلب العجيب: ﴿ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾[5]، وقد جعل الجهل مبهماً ليكون في إطلاق اللفظ مما يعني الجهل الكامل الشامل، فقد وصل جهلهم بطلبهم هذا أقصى درجاته، ويظهر غضبه لله أكثر وضوحاً في قصة عبادة بني إسرائيل للعجل من دون الله، فما أن أخبر الله موسى أن قومه عبدوا عجلاً من بعده، حتى رجع غاضباً أسفاً، وما أن وصل إليهم حتى دفعه الغضب الذي أخذ عليه كل مأخذ إلى جذب هارون بقوة وأمسك شعره وجرَّه إليه، معاتباً إيَّاه، منادياً له باسمه من شدَّة غضبه مع أنه أكبر منه سناً، ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا

---

(1) الأعراف (١٢٨).

(2) القرضاوي، يوسف، الصبر في القرآن الكريم، ص٨٧، وما بعدها، مؤسسة الرسالة، طـ (٢)، ١٩٨٤م.

(3) الأحقاف (٣٥).

(4) انظر البيضاوي والنسفي والخازن وابن عباس، ضمن كتاب مجموعة من التفاسير، (٥/٤٩٤)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(5) الأعراف (١٣٨).

﴿خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ﴾[1] وما هذا إلا من شدة غضبه لربه ودينه، كما وتظهر آيات القرآن خلقاً كريماً آخر يوصف به كليم الله موسى، فهو على استعداد في كل أحواله وأوقاته لنصرة المستضعفين فها هو يساعد الإسرائيلي المستضعف من القبطي الموالي للطاغية فرعون، وذلك بعدما استغاثه الإسرائيلي لضعفه، وها هو يقدم مساعدة للجانب الضعيف عندما ورد ماء مدين ووجد امرأتين تمنعان أغنامهما من ورود الماء لئلا تختلط مع غنم الرجال، أو لئلا يختلطن مع الرجال فمد موسى يد المساعدة لهما وسقى لهما أغنامهما.

سادساً: القوي الأمين

وصف الله تبارك في علاه نبيه موسى على لسان إحدى الفتاتين اللتين سقى لهما أغنامهما عندما ورد ماء مدين بأنه قوي أمين وذلك في قوله: ﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَـٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴾[2]ويذكر البغوي أن الآية جمعت لموسى صفتي القوة والأمانة، وقال بعض أهل العلم: وصف بالقوة لما رأت الفتاتين من قوته في سقايته الأغنام ومزاحمته للرعاة على بئر مدين، ولرفعه صخرة على البئر لا يستطيع أن يرفعها إلا العدد الكبير من الناس، وتظهر قوته جلية واضحة عندما وكز القبطي وكزة خفيفة فقضى عليه، والأمانة صفة خُلقية يتجلى بها من جمع الله له الخير، وتظهر أمانة موسى عليه السلام في أكثر من موضع في القرآن الكريم، فكان أميناً على الأعراض عندما سقى للفتاتين أغنامهما احترازاً للإختلاط بالرجال،وحينما جاءت ابنة الرجل تدعوه لبيت أبيها وكانت تمشي أمامه والريح تضرب ثوبها فتصف جسمها فكره موسى ذلك وأمرها أن تمشي خلفه، وقد كان أميناً في عمله عندما وفَّى الأجل الذي اتفق عليه مع والد الفتاتين مقابل زواجه من إحداهما مما يدل على وفائه وأمانته[3].

---

(1) الأعراف (١٥٠).

(2) القصص (٢٦).

(3) البغوي، أبو محمد بن مسعود الفرَّاء، تفسير البغوي المسمَّى معالم التنزيل، (٣/٣٨٠)، دار الكتب العلمية، بيروت طـ(١)، بتصرف.

سابعاً: الواثق بنصر الله

عندما اقترب فرعون وجنوده من موسى والذين آمنوا معه، وتقابل الفريقان وجهاً لوجه، ولم يبق أمام بني إسرائيل سوى أن يقعوا في يد الطاغية فرعون، لينكل بهم، ويسومهم سوء العذاب، وإما الموت غرقاً في اليم، ساءت بهم الظنون، وكاد اليأس يطغى عليهم، وقد وصف تعالى حالهم فقال: ﴿ **فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ** ﴾[1]، وعندها جاء جواب الواثق بالله ﴿ **قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ** ﴾[2]، لقد كان موسى في حالة نفسية تغاير كلياً حالة الذين معه، لقد كان في غاية الاستقرار النفسي، فمعية الله التي يستشعر بها موسى سكبت في قلبه الأمن والأمان، وذكرَّ أتباعه بهذه المعية التي تنمُّ عن ثقة عالية بالله، وأن الله لن يمكن فرعون منهم، وأنَّه سيهديهم إلى طريق النجاة.

أقول: وليست هذه الصفات التي ذكرتها سابقاً هي الصفات الوحيدة لموسى عليه السلام في كتاب الله، وإنما هي كثيرة يطول الحديث عنها وإنما اخترت جملة منها لبيان الغرض، وهو التكريم الرباني لموسى في القرآن الكريم، وأن وصف موسى في كتاب الله كان وصفاً لائقاً بمكانة نبي مقرب من أنبياء الله عليهم السلام.

المطلب الثاني: موسى عليه السلام في وصف التوراة

القارئ المتبصر لقصة موسى في التوراة يجد التباين الواضح والتناقض الصريح لشخصية موسى في نصوص التوراة، والذي استحق غضب الرب بعدما خاصمه واتهمه بالخيانة، وتارة أخرى يوصف بأنه كليم الله ونبيه، وكل هذا يعكس سوء الأدب الذي تخلَّق به بنو إسرائيل تجاه الله وأنبيائه خصوصاً كليم الله موسى وسأعرض أهم المطاعن التي طُعن بها موسى من خلال نصوص التوراة لأبين للقارئ مدى الإيذاء الذي وقع لموسى ممن زعموا محبته وادعوا تكريمه وطاعته.

---

(1) الشعراء (٦١).

(2) الشعراء (٦٢).

اولاً: موسى يخون الرب ولا يؤمن به

تنسب التوراة إلى موسى عدم الإيمان بالله، بل وتسجِّل عليه الخيانة التي كان ثمنها أن حُرِّمت عليه أرض فلسطين[١]، تقول التوراة في حق موسى وأخيه هارون **(لأنكما خنتماني في وسط بني إسرائيل)** [٢]، وماذا بقي لموسى عليه السلام بعدما خان ربه ولم يؤمن به!!!

ثانياً: موسى يُعاتب الربَّ ويستحق غضبه

كثيرة هي المواضع التي تذكر فيها التوراة عتاب موسى لربه وتقريعه إياه، وكأنه يعاتب بشراً مثله، دون النظر إلى قدسية الله، ومنها ما جاء على لسان موسى لربه كما تزعم التوراة، **(يا سيد لماذا أسأت إلى هذا الشعب؟ لماذا أرسلتني؟ فإنه منذ دخلت إلى فرعون لأتكلم باسمك أساء إلى هذا الشعب وأنت لم تخلص شعبك)** [٣]، وبذلك استحق موسى حسب زعمهم غضب الرب وطرد من رحمته حيث تقول التوراة: **(فالآن اذهب وأنا أكون معك وأعلمك ما تتكلم به، فقال موسى: إستمع أيها السيد أرسل بيد من ترسل، فحمي غضب الرب على موسى)** [٤].

ثالثاً: موسى مترددا في قبول التكليف

تصور التوراة موسى عندما تلقَّى الأمر الإلهي بالذهاب إلى فرعون، وتبليغ الرسالة بالخوف الشديد والتردد في قبول هذا الأمر فهو يعيش لحظات من الخوف والرهبة، فقد جاء في نصوص التوراة:**(هلّم أرسلك إلى فرعون، وتخرج شعبي بني إسرائيل من مصر، فيرد عليه موسى مستهجناً، ومن أنا حتى أذهب إلى فرعون وحتى أخرج بني إسرائيل من مصر؟)**[٥].

أقول: وليست هذه الصفات والمطاعن المحرَّفة الوحيدة التي تجرأ بها اليهود على نبي الله موسى في التوراة فقط، ولكن أكتفي بسرد هذه الإفتراءات كونها تدل دلالة واضحة على نظرة

---

(1) أحمد عبد الوهاب، النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام،ص٤٨، مكتبة وهبة، القاهرة، طـ (٢)، ١٩٩٢م.
(2) التثنية (٣٢/٥١).
(3) الخروج (٥/ (٢٢-٢٣).
(4) االخروج (٤/١٢).
(5) الخروج (٣/(١٠-١١).

اليهود لنبي الله موسى، وما رموه به من أكاذيب وألصقوا به من أباطيل، حتى تعطي صـــورة واضحة لشخصية موسى في التوراة المحرّفة، وبالنظر إليها وإلى ما ورد في المطلب الـــسابق من التكريم الرباني لموسى في القرآن، يستطيع القارئ أن يقارن بين شخصية موسى وصـــفاته كما وردت في القرآن والتوراة.

المبحث الرابع: الشخصية الفرعونية بين نصوص القرآن والتوراة

الملاحظ عند دراسة شخصية فرعون كما رسمها القرآن الكريم، وكما بينتها التوراة في نصوصها، أننا لا نجد تبايناً واضحاً ولا اختلافاً كبيراً لشخصية فرعون وصفاته بين نصوص القرآن والتوراة، كما هو الحال عند الحديث عن شخصية موسى وصفاته كما هو مبيِّن في المبحث الثالث من هذا الفصل، فجل الصفات التي ذكرها القرآن الكريم والتي وصف بها فرعون، نجد أن التوراة تتوافق مع القرآن فيها إلى حد كبير، وسأقدم عرضاً مبسطاً لبعض الصفات التي توافق ذكر التوراة لها مع ما أثبته القرآن الكريم في حق فرعون، ثم أقدِّم عرضاً آخر أبين فيه بعض الصفات التي اختلف إيرادها بين القرآن والتوراة في حق ذلك الطاغية.

المطلب الأول: بعض صفات فرعون المتفق عليها بين الكتابين

إستعباد الآخرين وقتلهم

أشارت آيات القرآن إلى كثير من مظاهر فساد حكم فرعون، وذكرت نماذج من اضطهاده وتعذيبه لبني إسرائيل، ومن هذه الصفات العلو الذي قاده إلى الإستكبار واستعباد الآخرين، وتقتيلهم وإذلالهم، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ**﴾[١]، فها هو فرعون يستعبد الآخرين ويذللهم لخدمته، ويقتل المواليد الذكور دون رحمة ولا شفقة، ويستبقي الإناث للخدمة والتسخير، ونجد أن التوراة قد سطرت هذه الصفات الإجرامية في نصوصها، تقول التوراة: **(فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكي يذلوهم بأثقالهم فبنوا لفرعون مدينتي مخازن فيثوم ورعمسيس)** [٢]، وفي موضع آخر تبين التوراة إجرام فرعون في حق بني إسرائيل، بتقتيل أولادهم الذكور حيث تقول التوراة: **(وكلم ملك مصر قابلتي العبرانيات اللتين اسم**

---

(1) القصص (٤).

(2) الخروج: (١/١١).

إحداهما شفره والأخرى فوعه وقال: حيثما تولِّدان العبرانيات وتنظرانهن على الكراسي، إن كان ابناً فاقتلاه وإن كان بنتاً فتحيا) [١].

الإستخفاف بعقول قومه

أخبر القرآن عَن فرعون أنه استخف بعقول قومه وتأله عليهم فقال تعالى: ﴿ **فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ** ﴾ [٢]، وقال أيضاً بعد أن جمع القوم: ﴿ **أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ** ﴾[٣]، فقد صادر عقول المصريين وأفهامهم واعتبر نفسه الوحيد الذي ينطق بالحقيقة والهداية والرشد، وما سواه سفهاً لا يؤبه لقوله، ولا يسمع لرأيه، وما ذلك إلا لأن الشعب كان خائفاً ذليلاً ليس من بينهم رجلٌ رشيد، وليس منهم رجل جريء ينطق بالحق، ويتفوه بالصدق[٤]،**(فبنوا لفرعون مدينتي مخازن فيثوم ورعمسيس)**[٥]، ومن هنا نلاحظ إطاعة المصريين لفرعون في تقتيل أبناء الإسرائيليين واستحياء بناتهم،) **ثم أمر فرعون جميع شعبه قائلاً كل ابن يولد تطرحونه في النهر ولكن كل بنت تستحيونها)** [٦].

الإفساد في الأرض

وصف تبارك وتعالى فرعون في كتابه بقوله: ﴿ **إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ** ﴾[٧]، ومظاهر إفساد فرعون كثيرة ومتنوعة، فقد أفسد شعبه أخلاقياً، وذلك بتقتيل الذكور واستبقاء النساء، فزاد عدد النساء على عدد الذكور، فشاع الفساد الأخلاقي، وإذا شاع فساد الأخلاق في

---

(1) الخروج (١: ١٥-١٦).
2 الزخرف (٥٤).
(3) النازعات (٢٤).
(4) محمد أبو فارس، إن فرعون علا في الأرض، ص١٩، بتصرف، مرجع سابق.
(5) الخروج (١/١١).
(6) الخروج (١/١٢).
(7) القصص (٤).

أمّة إنحدرت وضعفت، وصنِّفت في قاع الأمم والشعوب[١]، كما يظهر إفساد فرعون في قولــه ﴿**وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا**﴾[٢]، فقد قسم المجتمع على طبقات وهذا العمل جعل الفساد يعمُّ في الــبلاد نتيجة الطبقية بين أفراد المجتمع، واستعباد بعضهم البعض، وهذه المظاهر التــي تبــين فــساد فرعون، أشارت إليها التوراة في نصوصها، فبينت التوراة أن فرعون كان يقــسم شــعبه إلــى مسخرين وهم طبقة مميزة مقرَّبة، ولها ميزات عن بقية الشعب الذين سُخروا لخدمــة فرعــون وملئه المقربين **(فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكي يُذلوهم بأثقالهم)**[٣]، وها هــو فرعــون لا يرضى أن يطلق بني إسرائيل من ذلهم وأن يدعهم وشأنهم ويصرُّ على استعبادهم، غيــر آبــه بطلب موسى منه إطلاقهم، حتى بعد ما رأى الآيات والمعجزات عياناً أمام عينيه، **(فقال فرعون من هو الرب حتى أسمع لقوله فأطلق إسرائيل؟ لا أعرف الرب وإسرائيل لا أطلقه)**[٤].

الاستكبار

لقد أفرط فرعون لعنه الله في استكباره وجحوده رسالة موسى، ومما يشهد عليه بذلك أنه قد رأى الكثير من الآيات، وهي لم تكن جملة واحدة، بل كانت متفرقة على فترات زمنية، وتوالي الآيات مرَّة بعد مرَّة أبلغ في الإعجاز من نزولها مرة واحدة، فقد رأى آيتي العصا واليد في أول مواجهة له مع موسى عندما بلغه رسالته، والتي كان من توابعها الإنتصار على السحرة، وبعدها كان الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، ولكن فرعون بقي على استكباره، وأصــر أنــه الإله الأوحد، لقد وصف الله حاله بقوله ﴿ **وَلَقَدْ أَرَيْنَهُ ءَايَتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ** ﴾[٥]، أي أرينــا فرعون وعرفناه آياتنا كلها، وأن موسى كان قد عرفه جميع معجزاته، فكذبه فرعون وأبى عليه أن يجيبه للإيمان، وهذا يدلُّ على أن كفر فرعون كفر عناد واستكبار[٦]، والتوراة تدلُّ نصوصها على هذه الصفة في شخصية هذا الطاغية، فكلما رأى آية من الآيات الواضحات، يعد موســى

(1) محمد أبو فارس، إن فرعون علا في الأرض، ص١٣، بتصرف، مرجع سابق.
(2) القصص (٤).
(3) الخروج (١١/١).
(4) الخروج (٢/٥).
(5) طه (٥٦).
(6) الشوكاني، فتح القدير، (٣٧٠/٣)، بتصرف، مرجع سابق.

وهارون أن يطلق بني إسرائيل، وبعد أن يكشف الله العذاب الذي سلطه عليه وعلى قومه، يعود فرعون إلى استكباره وجحوده ونكث العهود، تقول التوراة: **(طرحوا كل واحد عصاه فصارت العصي ثعابين ولكن عصا هارون ابتلعت عصيهم فأشتد قلب فرعون فلم يسمع لهما كما تكلَّم الرب)** [1]، وعندما سلط الله على فرعون وقومه أصناف العذاب من الدم والقمل والضفادع والجراد وغيرها، طلب فرعون من موسى أن يسأل الله أن يرفع ذلك العذاب، وبعد رفع العذاب يعود فرعون تارة أخرى إلى عناده وجحوده، **(فدعا فرعون موسى وهارون وقال صليا إلى الرب ليرفع الضفادع عني وعن شعبي فأطلق الشعب ليذبحوا للرب)**[2]، **(فلما رأى فرعون أنه قد حصل الفرج، أغلظ قلبه، ولم يسمع لهما كما تكلم الرب)** [3].

أقول: واكتفي بذكر هذه الصفات التي اشترك الكتابان بذكرها عند الحديث عن شخصية الطاغية فرعون ليتضح للقارئ أن هذه الشخصية تشترك ملامحها وصفاتها إلى حد كبير بين نصوص القرآن والتوراة.

المطلب الثاني: نماذج لبعض الصفات المختلف عليها بين الكتابين

الحديث عن صفات فرعون التي لا يتوافق ذكر التوراة لها مع ما أثبته القرآن قليلة بالنسبة للصفات التي اتفق عليها بين القرآن والتوراة، وقبل أن أذكر بعضاً من هذه الصفات غير المشتركة لا بُدَّ من الإشارة إلى أن القرآن عند الحديث عن فرعون يتحدث عن فرعون واحد، بينما يستوحى من نصوص التوراة أن موسى واجه أكثر من فرعون، فرعون الأول وهو الذي ولد في عصر موسى وتربى في قصره، ثم هرب منه بعد ما قتل المصري، وفرعون الثاني الذي أرسله الله إليه بعد خروجه من مدين، حيث تقول التوراة بعدما سردت قصة الهروب إلى مدين، وزواج موسى من ابنة كاهن مدين، **(وحدث في تلك الأيام الكثيرة أن ملك مصر قد مات وتنهد بنو إسرائيل من العبودية)** [4]، وهذا ما يصطلح عليه في بعض كتب التاريخ بأن موسى

---

(1) الخروج (١٢/٧).
(2) الخروج (٨/٨).
(3) الخروج (١٥/١٤).
(4) الخروج (٢٣/٢).

عاصر فرعونين، الأول هو سيتي الأول ويسمى فرعون الإضطهاد، والثاني هو رمسيس الثاني، الذي استمر في اضطهاد بني إسرائيل، والذي واجهه موسى بالدعوة، وهو فرعون الخروج[١].

وهذه بعض صفات فرعون التي وقع الاختلاف فيها بين القرآن والتوراة

إدعاء فرعون الألوهية والربوبية

ذكر القرآن أن فرعون نصب نفسه إلهاً من دون الله، وتوعد موسى بالسجن إذا عبد من دونه إلهاً وذلك في قوله: ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾[٢] وقوله: ﴿ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَـٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴾[٣]، ولا تذكر التوراة أن فرعون نصَّب نفسه إلهاً لبني إسرائيل مع إشارتها لتسخيره إيَّاهم في العمل لخدمته وتحقيق مصالحه، ولذلك لم يعترض فرعون على موسى عندما طلب منه أن يطلق الإسرائيليين ليذبحوا للرب بأنهم سيتخذون إلهاً معبوداً من دونه، وإنما كان اعتراضه على أنهم إذا خرجوا فستعطَّل الأعمال التي كانت تناط بهم، ومن هنا يظهر الاختلاف بين الكتابين في بيان شخصية فرعون.

فرعون يسمح لموسى ومن معه بالخروج

تذكر التوراة أن فرعون طلب من موسى وهارون ومن معهما أن يخرجوا من بين شعبه، وأن يذهبوا إلى عبادة الرب، طالباً منهم أن يباركوه عند الله، وذلك عندما صبَّ الله عليهم سوط عذابه وابتلاهم بما لا يطيقونه، تقول التوراة على لسان فرعون: **(فدعا موسى وهارون ليلاً وقال قوموا اخرجوا من بين شعبي، أنتما وبنو إسرائيل جميعاً، واذهبوا واعبدوا الرب كما تكلمتم، خذوا غنمكم أيضاً وبقركم كما تكلمتم، واذهبوا وباركوني أيضاً)** [٤]، ومع أن القرآن ذكر أن الله أنزل العذاب على فرعون وقومه، فهو لم يذكر أن فرعون رضي أن يطلق بني إسرائيل مع موسى.

---

(1) البار، الله جل جلاله، ص١٨٦، وما بعدها، بتصرف، مرجع سابق.

(2) النازعات (٢٤).

(3) الشعراء (٢٩).

(4) الخروج (١٢/(٢١-٢٢).

أقول: ومن خلال دراسة هذه الصفات لشخصية فرعون، والتي اختلفت حقيقتها في التوراة عما أثبته القرآن، يتضحُ أن القرآن والتوراة إتفقا في رسم شخصية فرعون وفي إثبات أكثـر تلـك الصفات، واختلفا في القليل منها، وما هذا الاختلاف إلا نتيجة للتضارب والاختلاف الكبير فـي نصوص التوراة مع بعضها البعض، فهي تارةً تعطي صفات ثم تعود لتثبت عكـسها، وهـذا لا يظهر في شخصية فرعون فحسب، بل يظهر واضحاً وجلياً بصورة أكثر عنـد الحـديث عـن صفات موسى عليه السلام والله تبارك وتعالى أعلم.

الفصل الثاني

موسى مع فرعون منَ الميلاد إلى البعثة

الفصل الثاني

موسى مع فرعون منَ الميلاد إلى البعثة

في هذا الفصل أُقدِّم عرضاً لأحداث حياة موسى مع الطاغية فرعون من ميلاده إلى تكليفه بالرسالة أثناء عودته من مدين إلى مصر، حيث أبين أحداث هذه المرحلة كما جاءت في كتاب الله في المبحث الأول من هذا الفصل، ثم أبين خلال المبحث الثاني أحداث هذه المرحلة كما رسمتها التوراة، ثم أبين خلال المبحث الثالث الأحداث التي توافق ذكر التوراة لها مع ما أثبته القرآن الكريم، وبعد ذلك أعرض الجوانب التي اختلفت التوراة في ذكرها مع ما أثبته القرآن الكريم، موضحاً أنني لن أخوض في التفاصيل الدقيقة والأحداث المختلف عليها بين العلماء في هذه القصة، حيث إن الهدف من هذه الرسالة هو مقارنة قصة موسى مع فرعون بين القرآن والتوراة، وليس التفسير المفصل للقصة في كل منَ القرآن والتوراة.

المبحث الأَوّل: مع موسى مِنَ الميلاد إلى البعثة في كتاب الله

نستطيع من خلال تدبر آيات القرآن الكريم التي تحدثت عَن مشاهد هذه المرحلة أن نقسِّمها إلى قسمين أساسيين:

أولهما: ولادة موسى وطفولته وفيها نشأة موسى شاباً في قصر فرعون، **وثانيهما:** فرار موسى إلى مدين بعد قتله الرَّجل القبطي، وما جرى معه من أحداثٍ في مدين إلى أن عاد إلى مصر، حيث كُلفَّ بالرسالة في طريق عودته عند جبل الطور.

المطلب الأوّل: ولادة موسى وطفولته في القرآن الكريم.

أولاً: شخوص هذه المرحلة ودور فرعون فيها.

برزت في هذه المرحلة في حياة موسى أربع شخصيات رئيسة، بالإضافة إلى شخصية موسى، وهذه الشخوص هي أم موسى، وأخته، وفرعون وزوجته، أمَّا أم موسى فلم يقف القرآن على اسمها وأبقاه مبهماً، ويتلخص دورها بعد ولادة موسى، وتلقيها الوحي من الله بطريق

الإلهام الفطري[1]، أن أرضعته ثم وضعته في التابوت، ثم ألقته في اليمِّ، وقد أشار الله إلى ذلك بقوله: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ (فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ (إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[2]، ثم عادت بعد ذلك لتلعب دور المرضع المستأجرة من قبل قصر فرعون، وذلك بعدَ أن حَرَّم الله على موسى أثداء النساء ليحقق لها ما وعدها به.

أمَّا الشخصية الثانية والتي شاء الله لها أن تلعب دوراً في حماية موسى وردِّه إلى أمِّه هي أخته، والتي سكت القرآنُ عَن اسمها، فقد راقبت التابوت بأمرٍ من أمها، دون أن تلفت لها أنظار الراصدين مِن آل فرعون وجنده، مما هيأ لها بعد ذلك أن تتدخل في اللحظة المناسبة، وذلك بعد امتناع موسى عَن جميع المرضعات، وتعرض عليهم في تلك اللحظة خدماتها لإنقاذ حياة ابن فرعون – بالتبني– وأخبرتهم أنها تعرف مرضعاً سيقبل الصغير ثديها[3]، وقد سجل لها القرآن ذلك الموقف بقوله تعالى: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ *وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴾[4].

أمَّا الشخصية الثالثة فهي زوجة فرعون، وهي النموذج الطاهر للمرأة المؤمنة، جعلها الله مثلاً للذين آمنوا في الحياة الدنيا، مع أنها كانت تحت أعدى أعداء الله فرعون، وقد لعبت زوجة فرعون الدور الأكبر في حماية موسى من القتل، بعد أن التقطه آلُ فرعون مِنَ اليم، وهمُّوا بقتله تنفيذاً لأمر فرعون المسبق بقتل كل ذكور بني إسرائيل من المواليد الجدد، فيسَّر الله امرأة فرعون لتقول لزوجها: ﴿ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[5] وقولها "لا تقتلوه" كما يذكر المراغي مخاصمة عنه، وتحبيباً لفرعون به، إذ أنه مما تقر به

---

(١) الخالدي، صلاح عبد الفتاح، مع قصص السابقين في القرآن، (٦٩/٥)، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٩٩٦م.
(٢) القصص (٧).
(٣) الخالدي، القصص القرآني، (٢٩٠/٢)، بتصرف، مرجع سابق.
(٤) القصص (١١-١٢).
(٥) القصص (٩).

العيون، وتفرح لرؤيته القلوب[1]، فقد أَقحمت يدُ القدرة الإلهية على قلب فرعون قلبَ امرأتـــه، فحمت موسى بالمحبة، ذلك الستار الرقيق الشفاف، لا بالسلاح والمال والجاه، حمتـــه بالحـــب الحاني في قلب امرأة[2]، وقد سكت القرآن عن اسمها ولم يصرح به، وقد جاء فـــي الـــسنة أن اسمها آسية (كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومـــريم بنـــت عمران) [3].

أما الشخصية الرابعة فهو فرعون، الذي عاث في الأرض فـــساداً، فـــذبَّح أبنـــاء بنـــي إسرائيل واستحيا نساءهم، ويتلخص دوره في هذه المرحلة، بخضوعه لرغبة امرأته بعدم قتـــل الوليد الصغير، والإبقاء على حياته، فاتخذ قراره بتبني موسى، و الإحتفاظ بـــه، وإبقائـــه فـــي القصر عند امرأته ليكون قرة عين لها[4]، وهكذا عاش موسى الوليد الصغير تحت رعاية أُمِّـــه ودفء حنانها، على نفقة القصر الفرعوني، والقرآن قد عدل عَن اسمِ فرعون إلى لقبه، حيث إنه عمد إلى إبراز صفات هذه الشخصية بغض النظر عَمَّن يمثل هذه الشخصية.

ثانياً: مشاهد ولادة موسى وطفولته في كتاب الله

عرض القرآن أحداث هذه المرحلة كاملة في سورة القصص[5]، وعلـــى طريقتـــه فـــي عرض القصة، قسَّمها إلى مشاهد، وجعل بينها فجوات فنية يملؤها الخيال، وقد جاءت أحـــداث هذه المرحلة في خمسة مشاهد، وقبل البدء في عرض المشاهد، رسم القـــرآن المـــسرح الـــذي تجري فيه الحوادث، والذي يتمثل باستعلاء فرعون في الأرض وتجبره على بني إسرائيل، حيث يصل أعلى درجات التجبر بتقتيل أبناء بني إسرائيل، واستحياء نسائهم[6]، ونقرأ ذلك في قولـــه

---

(١) المراغي، أحمد مصطفى، تفسير المراغي، (٣٩/٢)، دار إحياء التراث، بيروت، ط٣، ١٩٧٤م.

(٢) قطب، الظلال، (٣٢٦/٦)، بتصرف، مرجع سابق.

(٣)البخاري، صحيح البخاري، م٣ (٢٥٢/٦)، كتاب الأطعمة، باب الثريد، حديث رقم(٥٤١٨)، مرجع سابق.

(٤) هداب محمد أحمد، المرأة في القصص القرآني، ص٣٦، رسالة جامعية، إشراف د.محسن سميح الخالـــدي، جامعـــة النجاح الوطنية، ٢٠٠٣م.

(٥) القصص (٧-٢٠)، وأنظر فضل عباس، القصص القرآني، ص٣٠٦، مرجع سابق.

(٦) الجبالي، أبو محمد، قصص الأنبياء في ظلال القرآن للشهيد سيد قطب، (١/ (١٨٦-١٨٧)، دار اليوسف، بيـــروت، ط١، ١٩٩٨، بتصرف.

تعـــالى ﴿طسٓمٓ * تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ * نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ * إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾[1]، ثم بدأ القــرآن بعــرض أحداث المشهد الأول وفيه تصويرٌ لحال أم موسى بعد ولادته، تلك الأم الملتاعة المروعة والتي ملأ جوانحها الخوف على وليدها الصغير، وذلك بسبب القرار الفرعوني بقتــل الــذكور مــن المواليد الجدد من بني إسرائيل، حيث ينتشر أتباعه يبحثون عن هؤلاء المواليــد، لتنفيــذ حكــم فرعون فيهم، ثم تتدخل القدرة الإلهية فتتصل بالأم الوجلة والمذعورة، فتلقي في روعها كيــف تعمل وتوحي إليها بالتصرف[2]، ونقرأ هذا المشهد في قوله تعالى: ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾[3]، فاستجابت أم موسى لهذا النداء، ووضعت صغيرها في التابوت[4]، وألقت به في اليمِّ، لتبدأ بعد ذلك أحداث المشهد الثاني، وذلك عندما انتشل بعضُ آلِ فرعون التابوت مِــنَ الماء، ليجدوا فيه وليداً صغيراً، وقد وقعت عليه عين زوجة فرعون، فألقى الله محبته في قلبها، وأدركت أن زوجها سيقتله كغيره من المواليد الذكور، فقالــت لزوجهــا: ﴿ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا﴾[5]، وتلح عليه حتى ينصاع لأمرها، ويأمر جنده بعدم قتله وإبقائه فــي القصر، وتدبير شؤون رعايته وإرضاعه، ثم تقودنا الآيات إلى المشهد الثالث، حيث تعود بنــا لوصف حال أُم موسى بعد أن التقط آل فرعون موسى منَ اليم، حيث وصف حالهــا بقولــه: ﴿وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[6]، لقد صار فؤاد أم موسى فارغاً من كل شيء من أمور الــدنيا، إلا مــن

---

(١) القصص (١-٤).

(٢) الجبالي، قصص الأنبياء، (٢،١٨٩)، مرجع سابق.

(٣) القصص (٧).

(٤) في إشارة لقوله تعالى "أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم"، طه (٣٩).

(٥) القصص (٩).

(٦) القصص (١٠).

موسى، وتمر بها اللحظات كأنها سنوات[1]، وما هذا إلاَّ لأنها تملك عاطفة الأم، والتي لا تستطيع أن تتحكم بها، فهي تريد أن تطمئن على ولدها، وكادت أن تخرج إلى الطرقات تصيح من شدِّة الأمر ردُّوا إليَّ ولدي، لولا أن طمأن الله قلبها وربطه برباط منه، فسكنت وسلَّمت أمرها لله[2]، ثم تنتقل الآيات إلى المشهد الرابع لتبيِّن دور الأُخت "أخت موسى" في هذه المرحلة من حياة أخيها، حيث نفذت أمر أمِّها بأن تقتفي أثره، وأن تراقب التابوت، فنفذت الأخت هذا المطلب بحكمةٍ وحذر[3]، وتظهر أهمية دورها بعد أن رفض موسى قبول الرضاعة من أيٍّ من مرضعات القصر، فأنزعج آل فرعون لذلك، واحتاروا في أمره، و هم يخشون عليه المرض أو الموت، وهو آخذٌ بالصراخ من شدَّة الجوع، فتدخلت أُخته في الوقت المناسب، وعرضت خدماتها بأن تدلهم على من يقوم بخدمته وإرضاعه و الاهتمام بشؤونه، ونقرأ هذا المشهد في قولة تعالى ﴿ **وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ (فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ** ﴾[4]، ثم طوى القرآن بالمشهد الخامس وهو إرجاع موسى إلى أمِّه لإرضاعه على نفقة القصر الفرعوني تحقيقاً لوعد الله لها بردِّه إليها سالماً﴿ **فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾[5].

ويستشف من خلال هذه المشاهد الخمسة التي تقدم الحديث عنها أن علاقة موسى بفرعون كانت علاقةَ التبني والرعاية في تلك المرحلة من حياة موسى، ونستطيع أن نحدد الهدف الذي من أجله ساق الله موسى إلى بيت فرعون، وما هذا إلاَّ ليكون لهم عدواً وحزناً، وعلى يديه يُهدَّم ملك فرعون ويكون هلاكه، أمَّا عَن طفولة موسى بعد رجوعه إلى أُمِّه فقد سكت القرآن عنها، ولم ترد تفاصيل عنها من خلال آيات القرآن الكريم، فلا يعلم ماذا كان بعد ردِّه إلى أُمِّه

(١) جابر الشال، قصص النساء في القرآن، ص٢٩، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة.
(٢) خطاب، عبد المعز، عشرون امرأة في ضوء القرآن، ص٣١-٣٢، دار الاعتصام، القاهرة، بتصرف.
(٣) الخالدي، مع قصص السابقين في القرآن، (٥/٧٥)، بتصرف، مرجع سابق.
(٤) القصص (٨-١٢).
(٥) القصص (١٣).

لترضعه، ولا يعلم إذا كان قد رجع إلى قصر فرعون، ولا كيف كانت صلته بأُمــه ولا كيــف كانت طبيعة حياته.

المطلب الثاني: مع موسى في زهرة الشباب

بعد أن ذكر الله مولد موسى ونشأته صغيراً، أُسدِل الستار عَن حلقاتٍ كثيرة من عمره لم يذكرها القرآن الكريم، لأن الله لا يذكر من القصص إلا ما فيه الحكمة والعظة والعبرة، فنجــد أنفسنا مع موسى شاباً قوياً قد بلغَ أشدّه وآتاه الله القوة والحكمة، قال تعــالى: ﴿ **وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ** ﴾[1]، وهكذا ينجز الحق تعالى وعده الذي بشَّر به أم موسى من قبل، وها هو موسى يسخر قوته في نصرة الحق تمهيــدا لتكليفــه بالرسالة، لكنه لم يباشر دوره التمهيدي من فراغ وإنما انطلق من قاعدة راسخة، فقد منحــه الله القوة الجسمية والقوة العقلية، ويذكر القرطبي أنه عند تدبُّر أحداث حياة موســى فــي شــبابه، وعلاقته بفرعون من خلال القرآن، لا نجد تصريحاً واضحاً بطبيعة العلاقة القائمة بين موســى وفرعون، فهل كان موسى يعيش في قصر فرعون؟ أم غيِّب عَن القصر؟؟ أم غير ذلك؟؟[2]، فقد سكت القرآن عن ذلك كلِّه، حتى بدأت علاقة جديدة بين موسى وفرعون، بعد ما قتــل موســى الرجل القبطي الموالي لفرعون، وكانت هذه الحادثة قد أحدثت تغيراً جذرياً في حيــاة موســى وطبيعة علاقته بفرعون، فبعد أن كان موسى قد عاش صغيراً تحت رعاية فرعون وحمايتــه، يصبح الآن طريداً له، ومطلوباً للقصاص منه لقتله رجلاً من قومه، ونقرأ حادثة قتــل القبطــي ونتائج هذه الحادثة في سورة القصص[3]، ومختصر هذه الحادثة كما جاءت في كتــاب الله، أن موسى دخل مدينة من مدن مصر فوجدَ فيها رجلين يختصمان، أحدهما ممن شايعه على ذمتــه من بني إسرائيل والثاني من مخالفيه من القبط، ممن هو على ما عليــه فرعــون وقومــه[4]، فاستنصره الذي من شيعته لينصره على الذي هو من عدوِّه فوكزه موسى، أي دفعه في صــدره

---

(١) القصص (١٤).

(٢)اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، (٣٧٦/٢١)، مرجع سابق، وانظر عمارة، محمود محمد، فقه الدعوة من قصة موسى عليه السلام، مكتبة الإيمان، مصر، ط (١)،١٩٩٧م.

(٣) أنظر القصص(١٤-٢١).

(٤) حوى، سعيد، الأساس في التفسير، (٤٠٦٨/٧)، دار السلام، ط(١)، ١٩٨٩م.

بجمع أصابع كفه[١]، والواضح من السياق أن موسى لم يقصد قتل القبطي، ولم يتعمد القضاء عليه، فما كاد يراه جثةً هامدةً بين يديه حتى استرجع، وندم على فعلته ﴿ قَالَ هَـٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ * قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[٢]، وفي هذا إشارة إلى أن موسى عزا هذه الفعلة إلى الشيطان وغوايته، فقد كانت من الغضب، والغضب من الشيطان[٣]، وأصبح بعد قتله القبطي خائفاً متوجساً من أن يكشف أمره ﴿فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾[٤]، أي أصبح خائفاً يتسمَّع الأخبار، وقيل إنما خاف لأنه قد علم أنه لا يتجرأ أحدٌ على قتل رجل من رجال فرعون سوى موسى من بني إسرائيل لقربه من فرعون[٥]، وهو في تلك الحال فإذا الإسرائيلي الذي كان سبباً في قتل موسى للقبطي يستغيثه مَرةً أخرى، وعندما أراد موسى أن يبطش بالقبطي رد عليه: ﴿ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾[٦]، وقيل إن الذي خاطب موسى بهذا الكلام هو الإسرائيلي وليس القبطي وذلك لما رأى منه الغضب والشدَّة، وظن أنه قاتله[٧]، فعلم القبطي أن موسى هو قاتل القبطي بالأمس، فانطلق وأخبر فرعون، فاجتمع الملأ وتشاوروا في أمره، فأمَر فرعون بقتل موسى، وبعث في طلبه، فجاء رجلٌ كان قد علم بما دبره الملأ من قوم فرعون لموسى بالقتل والبطش، وهو رجلٌ يحب موسى ويريد له الخير، وقيل هو الرجل المؤمن الذي كان يخفي إيمانه والذي جاء ذكره في سورة غافر، جاءه مسرعاً مخبراً إيَّاه بأن حاشية فرعون يريدون قتله، وقدم له النصيحة بالخروج من مصر، فاستجاب موسى لهذه النصيحة، وقد خرج موسى من مصر فراراً بنفسه

---

(١) إبن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، باب الفاء، مادة وكز، (٤٣٠/٥)، دار الفكر، بيروت، ط(٣)،١٩٩٤.
(٢) القصص (١٥-١٧).
(٣) قطب، الظلال، (٣٣٠/٦)، مرجع سابق.
(٤) القصص (١٨).
(٥) أنظر السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان، (١١/٤)، مراجعة علاء السعيد، دار الفكر، ١٩٩٥، وانظر الواحدي، أبي الحسن علي بن أحمد، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٨١٥/٢)، تحقيق صفوت عدنان داوودي، دار القلم، والدار الشامية، ط١، ١٩٩٧.
(٦) القصص (١٩).
(٧) أنظر حجازي، محمد أحمد، التفسير الواضح، (٢٧/٦)، مطبعة الإستقلال الكبرى، ط٥، ١٩٧٢م، وانظر تفصيل ذلك، النيسابوري، غرائب القرآن، (٣٣٣/٥)، مرجع سابق.

منَ القوم الظالمين، وهو لا يملك من متاع الدنيا شيئاً، فليس معه زادٌ ولا راحلة، بـــل خـــرج، وحيداً خائفاً يتلفت ذات اليمين وذات الشمال، ولم تكن مدين في سلطان فرعون، وقيل كان بينها وبين مصر مسيرة ثمانية أيام[١].

أقول: وعند هذه النقطة انقطعت علاقة موسى بالطاغية فرعون، بعدما تحوّلت العلاقة بينهما من علاقة التبني والرعاية إلى علاقة المطاردة والملاحقة والتربُّص، ودام هذا الانقطـــاع فتـــرة عشر سنين، وهي فترة مكوث موسى في مدين[٢]، وقد قصَّ القرآن علينا مختصراً لحياة موسى في مدين، منذ لحظة وصوله إليها، وورده ماءها انتهاء بعودته قافلاً مع أهله إلى مصر، بعـــد أن وفَّى موسى الوعد الذي أبرمه مع الرجل[٣] الذي استضافه في بيته وذلك بعد أن سقى الغـــنم لابنتيه عندما زاحمهما الرعاة على البئر، وكان موسى قد رأى على مقربة من المـــاء فتـــاتين تبعدان أغنامهما لئلا تقترب من الماء، رأى موسى هذا المشهد فعجب لأمرهما، فتقدم وســـألهما عن شأنهما، فعلم منهما أنهما لا تسقيان الغنم حتى ينصرف الرعاة عن البئر، فثارت في نفـــسه الشفقة عليهما وسقى لهما أغنامهما، وقد طلب الرجل من إحدى بناته إحضار موسى إلى بيتـــه، لإكرامه بسبب مساعدته إياهنَّ في السقاية، وقد استجاب موسى للدعوة وذهب الى بيت الرجـــل ولقي راحة وأمنا، ثم قص عليه قصته وأفضى له مكنون سره، فطمأنه الشيخ وقـــال لـــه: ﴿**لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ**﴾[٤]، وعندها تدخلت إحدى بناته لتطلب من والدها استئجار موسى للعمل لما رأت من قوته وأمانته، فاتفق موسى مع الرجل على العمل عنده فتـــرة أقلهـــا ثماني سنين مقابل زواجه ممن يختار من بناته، وتقص علينا سورة القـــصص هـــذه الأحـــداث ﴿ **وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ**

---

(١) البروسوي، إسماعيل حقي، تنوير الأزهار في تفسير روح البيان، (١٤٤/٣)، إختصار وتحقيق الشيخ محمـــد علـــي الصابوني، دار الصابوني، ط١، ١٩٨٨م، وانظر الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، تفسير الثعالبي، المـــسمَّى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن، (٥١٢/٢)، تحقيق أبو محمد الغماري، دار الكتب العلمية، بيـــروت، ط١، ١٩٩٦م، مع بعض التصرف.

(٢) أنظر البخاري، صحيح البخاري، (٢١٧/٣)، كتاب الشهادات، باب من أنجز الوعد وفعلـــه الحـــسن، حـــديث رقـــم (٢٦٨٤)، مرجع سابق.

(٣) أختلف في اسم الرجل فقيل: شعيب، وقيل: يثرون وقيل: يثرى وقيل غير ذلك، أنظر الطبـــري، تفـــسير الطبـــري، م١١(ج٧٧/٢)، مرجع سابق.

(٤) القصص (٢٦).

تَذُودَانِ (قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ* فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ* فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ * قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ (إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِين *قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[1].

وقد سكت القرآن بعد ذلك عَن طبيعة حياة موسى في مدين ولم يذكر تفاصيلها، وقد أشار القرآن إلى أن موسى قد أوفى بالوعد الذي أبرمه مع الرجل ثم قفل عائداً إلى مصر بعد ذلك، ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا ﴾[2].

المطلب الثالث: التكليف بالرسالة

أقف للحديث عَن تكليف موسى بالرسالة، كونها النقطة التي عاد من خلالها موسى لمسرح المواجهة مع فرعون، بعدما كانت حادثة قتل القبطي الموالي لفرعون، النقطة التي انقطعت مِن خلالها علاقة موسى بفرعون مُدَّة عشر سنين، وقد تحدث الله عَن تكليف موسى بالرسالة في عددٍ مِن سور القرآن الكريم، وهذه السور تشمل سور طه والنمل والقصص و الشعراء والنازعات[3]، وعند النظر في هذه السور نجد أن سورة طه كانت أكثر السور تفصيلاً لهذا الجانب، مع اشتراك السور التي تحدثت عن تكليف موسى بالرسالة في إيراد عددٍ من الأحداث المشتركة، مثل المناداة لموسى عند جبل الطور، ومعجزة العصا واليد البيضاء وغيرها، مع الإشارة إلى اختلاف العبارات بين آيات السور لإفادة الأغراض المختلفة[4]،

---

(١) القصص (٢٣-٢٧).

(٢) القصص (٢٩).

(٣)انظر سورة طه (٩-٤٨)، والشعراء (١٠-١٧)، والنمل(٧-١٤)، والقصص (٢٩-٣٥)، والنازعات (١٥-١٩).

(٤) الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود عمر الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، (١٧٥/٣)، دار الفكر، ط١، ١٩٧٧م.

وسأعرض ما جرى مع نبي الله موسى أثناء عودته من مدين قافلاً إلى أرض مصر، كما جاء في كتاب الله، فقد سار موسى بأهله في طريق سيناء التي توصله إلى مصر، وسيناء أرضٌ صحراوية، والصحراء تعرف بحرِّها نهاراً وبردِها القارص ليلاً، وأثناء المسير رأى موسى ناراً، فطلب من أهله أن يقيموا في مكانهم، وتوجه نحو النار مستبشراً فرحاً مستأنساً، لما للنار من حاجةٍ في هذا البرد القارص والليل البهيم، وكان المكان الذي شاهد موسى فيه النار هو جانب جبل الطور في سيناء، و يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا** ﴾[1] وجانب الطور هو الجانب الأيمن كما ورد في قوله تعالى: ﴿ **وَنَـٰدَيْنَـٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ** ﴾[2]، ويرى أنَّ الأيمن هو صفة لجانب الطور[3]، والجانب الأيمن من جبل الطور هو الجانب الغربي، كما في سورة القصص﴿ **وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ** ﴾[4]، أي ما كنت بالجانب الغربي الأيمن لجبل الطور، وهو الجانب الذي نادينا موسى منه[5]، وهذا الجانب هو المقصود من قوله: ﴿ فَلَمَّآ **أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَـٰطِىِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ** ﴾[6]، وشاطئ الواد هو جانب الواد كما ذكر البقاعي [7]، وقد وردَ اسم الواد في قوله تعالى﴿ **إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى** ﴾[8]، وشاطئ الواد أي جانبه، كان مشتملاً على هذه الشجرة، إذ كانت نابتة فيه[9]، والمعنى مختصراً لما أتى موسى المكان بعد أن رأى النار، ناداه الله من الشجرة، وهذه الشجرة، في شاطئ وادي طوى، وهذا الشاطئ هو جانب الوادي الأيمن، وهذا الوادي هو في جانب جبل الطور الأيمن،

---

(١) القصص (٢٩).
(٢) مريم (٥٢).
(٣) الأندلسي، البحر المحيط، (١٨٨/٦)، مرجع سابق.
(٤) القصص (٤٤).
(٥) الخالدي، القصص القرآني، (٣٥٣/٢)، مرجع سابق.
(٦) القصص (٣٠).
(٧) البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (٤٨٢/٥)، تخريج عبد الرازق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت،ط١، ١٩٩٥م.
(٨) النازعات (١٦).
(٩) الألوسي، أبو الفصل شهاب الدين السيد محمود البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (١٠/ ٧٣)، دار الفكر، ١٩٨٧م.

وهذه البقعة هي كلها البقعة المباركة[١]، وقد نادى الله موسى مخبراً إيَّاه أنه هو الله الذي يكلمه ويخاطبه، وأمره أن يخلع نعليه تعظيماً وتكريماً وتوقيراً لتلك البقعة المباركة، ولا سيَّما في تلك الليلة المباركة[٢]، فهو يعلمه التواضع في الهيئة بخلع النعلين لقدسية المكان، ثم أخبره بالإصطفاء والإجتباء، ليكون نبياً رسولاً، ثم طالبه بأدب الإنصات[٣] قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَتَنهَا نُودِيَ يَـٰمُوسَىٰٓ * إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى * وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴾[٤]، ثم بيَّن له سبحانه أن الدين الذي أوحى به إليه يقومُ على أسس ثلاثة، وهي الوحدانية ويدلٌ عليها قوله تعالى: ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ ﴾[٥]، والأصل الثاني هو الإخلاص لله في العبادة، وذلك في قوله ﴿ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾[٦]، ثم ذكر له الأصل الثالث وهو البعث وفيه تجزى كل نفس بما كسبت، وذلك في قوله ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴾[٧]، وقد جعل وقت الساعة مبهماً ليرتقب العباد مجيئها في كل وقت، ويخافوا منها، ويعملوا لها، ثم يستوفوا جزاء عملهم، ولا يظلموا شيئاً[٨]، وفي هذا تنبيه وإشارةٌ وتحذيرٌ من كل داعٍ إلى باطل يصدُّ عن الإيمان الواجب، أو عن كماله، أو يوقع الشبهة في القلب[٩].

وبعد بيان هذه الأصول الثلاثة، قفَّى على ذلك بذكر البراهين التي آتاها موسى، دلالةً على نبوته، وتصديقاً له على رسالته، فبدَأ بذكر العصا التي انقلبت إلى حيَّةٍ تسعى حينما ألقاها من يده، وكان ربُّه قد سأله عنها استجماعاً لقلبه، وتهدئة لروعه في هذا المقام الرهيب، وإعلاماً بما

---

(١) الخالدي، القصص القرآني، (٣٥٤/٢)، مرجع سابق.
(٢) بيومي، محمد، القصص القرآني، دروس وعبر للدعوة والدعاة، ص٢٤٩، مكتبة الإيمان، مصر، ط١، ١٩٩٩م.
(٣) حوَّى، الأساس، (٣٣٥٣/٧)، مرجع سابق.
(٤) طه (١١-١٣).
(٥) طه (١٤).
(٦) طه (١٤).
(٧) طه (١٥).
(٨)الزحيلي، وهبة، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، (١٩٠/٨)، دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر دمشق، ط١، ١٩٩١م.
(٩) السعدي، تفسير الكريم الرحمن، (١٩٤/٣)، مرجع سابق.

سيكون لها بَعْدُ من عظيم الشأن، وجليل المنافع والمزايا التي لم تكن تدور فـي خلـده عليـه السلام[1]، وقد أمر الله موسى أن يلقي عصاه فإذا هي حية تسعى، وقد نمت وعظمت حتى غدت في جلادة الثعبان، لمحها موسى فولَّى هاربا حتى سمع نداء العلي العظـيم، ﴿يَـٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ (إِنَّكَ مِنَ ٱلْـَٔامِنِينَ ﴾[2]، فلما رجَـع أمَـرَهُ الله أن يمـسكها ﴿ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ (سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴾[3]، فاطمأنت نفسه لنداء الله الكريم، وقرَّت عينه بنـور الله الحـق الواضح[4]، ثم أمَرَه الله أن يدخل يَدَه إلى جناحه، وأصل الجناح للطائر، ثم أطلـق علـى اليـد والعضدِ والجنب[5]، فإذا هي تخرج بيضاء من غير برص ولا أذى[6]، وقيل كانت يـد موسـى سمراء لأنه أسمر[7]، ولما أدخل يده في جيبه وأخرجها سطعَ منها نورٌ عظـيم، وقـد أرى الله موسى هاتين المعجزتين اللتين وصفهما بأنهما من المعجزات والآيات الكبرى﴿ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَـٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴾[8].

وكل هذا حدث قبل أن يأمره بالذهاب إلى فرعون، وما ذلك إلاَّ لأنه يعلم أنه سيبعثه إلى أكثرِ أهل الأرض جبروتاً وطغياناً، فقدَّم الله له ما يهوُّن عليه ما كلفه به، ثم أخبـره بـالتكليف المحدد له قائلاً: ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾[9]، أي جاوز الحد في طغيانه وجبروتـه[10]، وفي هذه اللحظة علم موسى أنه منتدبٌ لهذه المهمة الضخمة، فهو يعرف من هو فرعون، فقـد ربي في قصره، وشهد طغيانه وجبروته، وشاهد ما يصبه على قومه من عذاب ونكال[11]، وقد كان تأييد موسى بالمعجزات أمراً ضرورياً اقتضته حكمة المولى عز وجل، فهو مرسـل إلـى

---

(١) المراغي، تفسير المراغي، (١٠٢/٨)، مرجع سابق.
(٢) القصص (٣١).
(٣) طه (٢١).
(٤)جاد المولى، محمد أحمد، قصص القرآن، ص١١٧، تحقيق محمد علي الشقيري، مكتبة دار الثقافة، عمان، ١٩٩٧م.
(٥) المراغي، تفسير المراغي، (١٠٤/٨)، مرجع سابق.
(٦) حوى، الأساس، (٣٣٥٦/٧)، مرجع سابق.
(٧) أنظر البخاري، صحيح البخاري، (١٧٠/٢)، كتاب أحاديث الأنبياء، باب واذكر في الكتاب مريم، حديث رقم ٣٤٣٨، مرجع سابق، وانظر العسقلاني، فتح الباري، (٦٠١/٦)، مرجع سابق.
(٤) طه (٢٤).
(٥) طه (٢٥).
(١٠) حوى، الأساس، (٣٣٥٦/٧)، مرجع سابق.
(١١) قطب، الظلال، (٤٦٩/٥)، مرجع سابق.

الطاغية فرعون، أعتى ملوك الارض في زمانه، وأقــدمهم عرشــا، وأثبــتهم ملكــا،وأعرقهم حضارة،وأشدهم استعبادا للخلق، وهو مرسل لاستنقاذ قوم شربوا من كؤوس الذل حتى استمرأوا مذاقه فمردوا عليه واستكانوا دهرا طويلا، والذل يفسد الفطرة حتى تأسن وتتعفن ويذهب ما فيها من الخير، فاستنقاذ هؤلاء أمر شاق وعسير[١]، فانطلق لسانه مناشداً ربه، سائلاً إيَّــاه بعــضَ المسائل التي مِن شأنها تسهيل العمل، والتخفيف عَن النفس، وإزالة لبعض المخاوف التي علقت في نفس موسى نتيجةً لقتله القبطي، وفراره من بطش فرعون بعدما أراد قتله، وقد وردت هــذه المسائل في سياق قصة موسى في سور طه والشعراء والقصص، وقد أوردت الــسور ســالفة الذكر هذه المسائل تارة على شكل دعاء وتارة أخرى على هيئة مخاوف محتملة عند البدء فــي الدعوة، وبالإستقراء نجد أن سورة طه هي أكثر السور ذكراً لهذا الجانب، فقــد ذكــرت فــي معرض السياق أربعة مسائل على هيئة دعاء وتخوف واحد ونقرأ هذه المسائل في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى * وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى * وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى *يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى* وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى * هَـٰرُونَ أَخِى * ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى * وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴾[٢]، فقد طلب موسى من ربه أن يشرح له صدره، ويفتح قلبه، ويجعله عليماً بشؤون الحق، وأحوال الخلق ويجعله حليماً، وأن يوسِّع صدره ليحتمل الوحي والمشاق ورديء الأخلاق[٣]، ثم طلب موسى من ربه أن يعينه بمعين من أهله، وأن يشركه في أمره، هارون أخاه، فهو يعلم فيه فصاحة اللسان وثبات الجنان وهدوء الأعصاب[٤]، ومن المعروف أن الفصاحة والبلاغة من أهم خصائص الإنسان العــادي، فكيف بالأنبياء والرسل الكرام؟ فهي لهم لازمٌ بيِّن، فالباطل يواجه الحق في كوكبة إعلامية تزيِّن القول وتزخرفه، وشياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا، فــإذن هي من أهم أسلحة الداعية التي يجلى بها الحق ويكشف بها عن عيوب الباطــل ومثالبــه فــي أسلوب يتشح بالحكمة ولا يمكِّن الخصم من الحق وأهله، وقد ذكر موسى لربه مخاوفــه التــي

(١) الفتياني، تيسير المحجوب، الحوار القرآني في قصة موسى عليه السلام، ص٥٣، مركز الكتاب الأكــاديمي، الأردن، ط١، ٢٠٠٤م.

(2) طه (٢٥-٣٢).

(3) أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، تفسير أبى السعود أو ما يسمَّى بإرشاد العقل الــسليم إلــى مزايــا الكتاب الكريم، (٢٧٦/٤)، ترتيب عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

(٤) قطب، الظلال، (٤٧/٥)، مرجع سابق، وانظرعمارة، فقه الدعوة من قصة موسى، ص ٧٠، مرجع سابق.

يتوقع أن تحلَّ به بعد أن يبلِّغ فرعون دعوته، وهذا المخاوف تشمل الإتهام بالكذب، ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾[1]، والتخوف الثاني في قوله: ﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ﴾[2]، فقد تخوَّف موسى وهارون من أن يعجِّل لهما فرعون بالعقوبة، أو أن يجاوز الحد في الإساءة إليهما[3]، والتخوُّف الثَّالث كان خوفه من القتل بسبب قتله الرجل القبطي الموالي لفرعون قبل فراره إلى مدين، وقد عبَّر عن ذلك بقوله ﴿وَلَهُمۡ عَلَيَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ﴾[4].

فقد سأل موسى ربَّه مسائله، وذكر له مخاوفه في ذلك الموقف العظيم، فأعطاه الله مسائله، وآتاه ما أراد، قال تعالى: ﴿ قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾[5]، وقبل أن يغادر موسى ذلك المكان، ذكَّره الله بنعمه عليه ورعايته له في حياته منذ ولادته، حتى هذه اللحظة، وذلك لينشط في الدعوة إلى الله، و القيام بواجبه، وهذه النعم كثيرة، ابتداءً من إنجائه من فرعون صغيراً وإرجاعه إلى أمه، وإنجائه مرة أخرى من بطش فرعون عندما أراد قتله، ثم اصطفائه برسالته وتأييده بالمعجزات ﴿ وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ * إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ * أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأۡخُذۡهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥۚ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ * إِذۡ تَمۡشِيٓ أُخۡتُكَ فَتَقُولُ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ مَن يَكۡفُلُهُۥۖ فَرَجَعۡنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَۚ وَقَتَلۡتَ نَفۡسًا فَنَجَّيۡنَٰكَ مِنَ ٱلۡغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًاۚ فَلَبِثۡتَ سِنِينَ فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ ثُمَّ جِئۡتَ عَلَىٰ قَدَرٖ يَٰمُوسَىٰ * وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ﴾[6].

---

(١) الشعراء (١٢).

(٢) طه (٤٥).

(٣) حوى، الأساس، (٣٣٦/٧)، مرجع سابق.

(٤) الشعراء، (١٤).

(٥) طه (٣٦).

(٦) طه (٣٧-٤١).

المبحث الثاني: موسى مع فرعون من الميلاد إلى البعثة في التوراة

المطلب الأول: ولادة موسى وطفولته في التوراة

عند النظر في قصة موسى مع فرعون في التوراة، نجد أن جميع أحداث هذه القصة في جميع مراحلها وردت في سفر الخروج، والذي سمي بهذا الاسم لتناوله خروج بني إسرائيل من أرض مصر[1]، وعند الحديث عن ولادة موسى وطفولته في التوراة، تذكر التوراة أن ملكاً جديداً قد حكم مصر، ولم تذكر التوراة اسم ذلك الملك، وكان هذا الملك يكنّ الحقد لبني إسرائيل، وخاصةً بعد ما رأى أن عددهم يكثر، وأن أملاكهم تتسع ونفوذهم يقوى[2]، ولكي يتجنب الفرعون الجديد هذا التزايد السكاني عند بني إسرائيل، فقد فرض عليهم أن يلقوا إلى النهر بكل طفلٍ ذكر، ولكي يضمن فرعون قتل الذكور من المواليد الجدد لبني إسرائيل، وكَّل ذلك الأمر لقابلتي العبرانيات، **(وكلمّ ملك مصر قابلتي العبرانيات اللتين اسم أحداهما "شفره" والأخرى "فوعه" وقال حينما تولِّدان العبرانيات وتنظرانهنَّ على الكراسي إن كان ابنا فاقتلاه، وإن كان بنتاً فتحيا)**[3]، ولكن القابلتين كما تذكر التوراة لم تنجزا لفرعون ما أراد، لخوفهما من الله، وتعذَّرتا لفرعون بأن نساء بني إسرائيل أقوى من نساء القبط حيث يلدن قبل أن تصل القابلة إليهن[4]، فأمر فرعون عندئذ جميع شعبه بقتل كلِ مولود ذكر يولد من أبناء بني إسرائيل واستحياء كل بنت، وخاصةً بعدما قام الكاهنُ الأكبر في مصر بإبلاغه أن ولداً يولد للعبرانيين يقوم بإهلاك فرعون وقومه، فاستشاط فرعون غضباً وزاد من نقمته وعذابه على بني إسرائيل، وتذكر التوراة أن فرعون سخَّر بني إسرائيل لخدمته وبناء المدن الضخمة، **(فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكي يذلوهم بأثقالهم فبنوا لفرعون مدينتي فيثوم ورعمسيس)**[5]، ولا تزال هذه

---

(١) السقا، نقد التوراة، ص٣٠، مرجع سابق.

(٢) الخروج (١/١-١٠).

(٣) الخروج (١/ ١٥-١٦).

(٤) الخروج (١/١٨-٢٠).

(٥) الخروج، (١/١١).

المدن شاهدةً على ظلم فرعون لبني إسرائيل، فهي موجودة في المنطقة الشرقية من دلتا النيل[١]، وفي هذا الزمن المظلم من تاريخ بني إسرائيل ولد موسى، وتذكر التوراة أن والد موسى "عمرام" تزوج من عمته "يوكابد"[٢]. وينتسب عمرام وزوجته إلى بيت لاوي بن يعقوب عليه السلام[٣]، وحينما ولد موسى خبأته أمه "يوكابد"، ثلاثة أشهر بعيداً عَن عيون فرعون وجنوده، وبعد ذلك لم تستطع أمَّه أن تخفيه فوضعته في سفطٍ من البردي، وهو قارب صغير مصنوعٌ من عيدان البردي التي تنمو على ضفاف النيل، والذي تم طلاؤه بالقار لمنع نفاذ الماء إلى داخل الصندوق[٤]، ثم وضعته في النهر، حيث وقفت أخته من بعيدٍ لتعرف ماذا يفعل به[٥]، وتذكر التوراة أن ابنة فرعون[٦] كانت في ذلك الوقت تغتسل في النهر مع بعض جواريها، فلمَّا رأت الصندوق أمرت بإحضاره، فأحضر لها، ولما فتحته وجدت فيه صبياً صغيراً يبكي، فرَقَّ له قلبها، حيث علمت أنه من أولاد العبرانيات [٧]، ومع علمها بكره والدها للعبرانيين إلا أن غريزتها دفعتها لحبه والحنو عليه، وفي تلك اللحظة تقدمت أخته من ابنة فرعون وسألتها إن كانت ترغب في أن تحضرَ امرأةً من العبرانيات لِكي ترضع المولود، ولمَّا رأت رغبتها في ذلك ذهبت وأحضرت أمها، فقالت لها ابنة فرعون: **(إذهبي بهذا المولود وأرضعيه لي وأنا أعطيك أجرتك)**[٨]، فذهبت به وأرضعته حتى كبر، ثم أرجعته إلى ابنة فرعون، التي اتخذته إبناً لها وأسمته بموسى بسبب أنها انتشلته مِنَ الماء[٩]، ونقرأ في هذه الأحداث أن موسى قد عاد إلى بيت أُمه، وعاش فيه فترة من الزمنِ لم تحددها التوراة، ثم رَجَع إلى قصر فرعون ليعيش في

(١) بوكاي، موريس، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم،ص١٩٣، ترجمة نخبة من الدعاة، دار الكندي، بيروت، ط١، ١٩٧٨م.

(٢) الخروج (٦/٢٠).

(٣)الخروج (٦/١٦).

(٤) ماستر فيديا، التفسير التطبيقي، ص١٣٢، بتصرف، مرجع سابق.

(٥) أنظر الخروج (٢/٣-٤).

(٦) أختلف في اسم إبنة فرعون، فيرى البعض أنها حتشبوت زوجة تحتمس الثاني وكانت عاقراً، ويرى آخرون أنها ابنة رمسيس الثاني الذي كان يشتهر بالقسوة واستعباد الأخرين، أنظر ماستر فيديا، التفسير التطبيقي، ص١٣٢، مرجع سابق.

(٧) أنظر الخروج (٢/٥-٦).

(٨) أنظر الخروج (٢/٧-٩).

(٩) الخروج (٦/(٩-١٠)

كنف ابنة فرعون وتحت رعايتها، وقد أصبح منذ ذلك الوقت ربيب ابنة فرعون، ونلحظ كـذلك عدم تحديد الزَمن الذي ولد فيه موسى، ولا تحديداً لاسم فرعون مصر في ذلك الزمن، ثم تطوي التوراة مرحلةً من حياة موسى دون ذكر أي تفاصيل لتلك المرحلة، تلك المرحلة التي رجع فيها موسى إلى قصر فرعون حتى أصبح شاباً، ومن الملاحظ أن علاقة موسى بفرعون فـي هـذه المرحلة كانت علاقة تبني دون ذكر لأي تفاصيل عَن طبيعة التبني وحدوده.

المطلب الثاني: طبيعة العلاقة بين موسى وفرعون في مرحلة الشباب

بعد أن طوت التوراة دون تفاصيل تذكر حياه موسى في قصر فرعون، إنتقلت للحديث عن شباب موسى، وهي مرحلة شهدت تغيراً جذرياً في علاقة موسى بفرعون، وذلك بعـد أن قتل موسى الرجل القبطي والذي يعد من أتباع فرعون، تقول التوراة في وصف عملية القتـل: **(وحدث في تلك الأيام لمَّا كبر موسى أنه خرج إلى إخـوته لينظر في أثقـالهم فـرأى رجـلاً مصرياً يضرب رجلاً عبرانياً من إخوته، فالتفت إلى هنا وهناك، ورأى أن لـيس أحـد فقتـل المصري وطمره في الرمل)**[1]، وهنا تنسب التوراة إلى موسى تهمة القتل بشأن المصري الذي اعتدى على أخيه الإسرائيلي[2]، فعندما اطمأن موسى أن ليس أحدٌ يراه قتل المصري وأخفـى جثته تحت الرمل، وفي اليوم التالي وجد موسى رجلين من العبرانيين يختصمان، فما كان منـه إلا أن خاطب المذنب منهما، سائلاً إياه عن سبب ضربه لصاحبه، فرد عليه المذنب قائلاً: **(من جعلك رئيساً وقاضياً علينا أمفتكر بقتلي كما قتلت المصري؟؟)**[3]، وكان هـذا العبـري يعلـم بحادثة قتل المصري في اليوم السابق، وذلك إمَّا عَن طريق العبراني الذي نصره موسى بقتـل المصري، أو بطريقة أخرى، فعلم موسى أن أمره قد فضح، وتذكر التوراة أن فرعـون علـم بالأمر، وطلب أن يقتل موسى، فهرب موسى من وجه فرعون وسكن في أرض مدين، وجلـس

---

(١) الخروج (٢/١١-١٢).

(٢)الخولي، محمد علي، اليهود من كتابهم، ص٢٤، دار الفلاح للنشر والتوزيع، الأردن، طـ (١)، ١٩٩٨م، بتـصرف، وانظر السقا، نقد التوراة، ص٤٠، مرجع سابق، والخولي، محمد علي، التحريف في التـوراة، ص٣١، دار الفـلاح للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٩م.

(٣) الخروج (٣/١٤).

عند بئرها[١]، وعند هذه النقطة تحوّل موسى من ربيب لابنة فرعون إلى شخص مطلوب مـــن قبل والدها في عمليه قتل لأحد أفراد شعبه، ونتيجةً لذلك انقطعت العلاقة بين موسى وفرعـــون مدةً زمنية، وهذه المدة غير محدَّدة في نصوص التوراة، وقد سردت التوراة بعضاً من الأحداث التي عاشها موسى في مدين، إبتداءً من التقاء موسى بسبع فتياتٍ لكاهن مدين "يثرون"[٢]، حيث قام موسى بسقاية الأغنام لهنَّ بعد أن طردهنَّ الرعاة[٣]، وتزوج موسى من صفُّوره إبنة يثرون والتي أنجبت له إبناً أسماه "جرشوم"[٤]، وذلك بعدما ارتضى موسى السكن عند ذلـــك الكـــاهن والزواج من إحدى بناته، مقابل عمله في رعي الأغنام عنده، دون تحديدالمـــدة الزمنيـــة لـــذلك الإتفاق، وتذكر التوراة أثناء تلك الفترة أن ملك مصر والذي كان يطارد موسى لقتله المـــصري قد مات، **(وحدث في تلك الأيام الكثيرة أن ملك مصر قد مـــات وتنهـــدَّ بنـــو إســـرائيل مـــنَ العبودية)**[٥].

المطلب الثالث: التكليف بالرسالة في نصوص التوراة

تذكر التوراة أنَّ موسى أثناء عمله في رعاية الأغنام لحماه يثرون، ساق الأغنام إلى جبـــل حوريب[٦]، وهناك رأى موسى شجرة صغيره مشتعلة ولكنها لا تحترق، فذهب ليستطلع الأمـــر فناداه الله من وسط تلك الشجرة، وطلب منه أن يخلع حذاءه لأنه في أرضٍ مقدَّســـة[٧]، فغطَّـــى موسى وجهه لأنه خاف أن ينظر إلى الله كما تقول التوراة[٨]، ثم كلَّم الله موسى مبيناً له السبب

---

(١) الخروج (١٥/٢).

(٢) يثرون، حمو موسى كان يسكن في مدين في صحراء سيناء، وقد وصل لمعرفة الله، وكان يعمل راعياً وكاهناً، زوّج موسى من ابنته صفوره، مقابل أن يعمل في خدمته ورعاية أغنامه، ومن المشكل أن التوراة ذكرت أسماء أخرى لحمو موسى مثل رعوئيل كاهن مدين، ورحوبات بن رعوئيل المديني، ورحوبات القيني، أنظر أحمد عبد الوهـــاب، تعـــدد نساء الأنبياء ومكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام، ص١٥، مكتبة وهبة، مـــصر، ط١، ١٩٨٩م، وانظـــر ماستر فيديا، التفسير التطبيقي، ص١٣٣، مرجع سابق، والبار، الله جل جلاله، ص ١٩٦، مرجع سابق.

(٣) الخروج (١٦/٢-١٧).

(٤) الخروج (٢٢/٢).

(٥) الخروج (٢٣/٢).

(٦) الخروج (٢/٣). وهو جبل سيناء، أنظر ماستر فيديا، التفسير التطبيقي، ص١٨٣، مرجع سابق.

(٧) الخروج (٥/٢/٣).

(٨) الخروج (٦/٣).

الذي ناداه من أجله، وهو إخراج بني إسرائيل من عبودية فرعون، وذلك بعد أن تذكَّر الله بني إسرائيل، وتذَّكر مثياقه مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وذلك بعد أن سمع الله أنين بني إسرائيل وصعد صراخهم إليه[١]، **(فالآن هلم فأرسلك إلى فرعون، وتخرج شعبي بني إسرائيل من مصر[٢])**، وعندها ظهر تردُّد موسى في قبول التكليف، وعدم الرغبة في حمل الرسالة، وعدم الثقة بالنفس حيث يقول: **(ومن أنا حتى أذهب إلى فرعون؟، وحتى أخرج بني إسرائيل من مصر؟)**[٣]، وفي موضع آخر قال له: **(هكذا تقول لبني إسرائيل يهوه إله آبائكم أرسلني إليكم)**[٤]، وبعد ذلك طلب الله من موسى أن يذهب ويجمع شيوخ وزعماء بني إسرائيل، وأن يخبرهم أن إله آبائهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب قد ظهر له، وطلب منه أن يقود بني إسرائيل ليخرجهم من المذلة التي يعيشون تحتها في مصر[٥]، وبحسب ما جاء في التوراة، فقد أمر الله موسى أن يذهب إلى فرعون "ملك مصر"، إذا أطاعه شيوخ وزعماء بني إسرائيل، وأن يذهبوا جميعاً إلى فرعون ويخبروه أن إله العبرانيين قد إلتقاهم، وطلب منهم أن يخرجوا لعبادته[٦]، وأخبر الله موسى مسبقاً بالنتيجة، وهي أن فرعون لن يسمح لهم أن يخرجوا من أرض مصر، **(ولكني أعلم أن ملك مصر لا يدعكم تمضون)**[٧]، ونتيجة لذلك فإن الله سينزل بفرعون وقومه أشدَّ الويلات والمصائب، وبعدها يطلق فرعون الإسرائيليين[٨]، وحسب التوراة فقد طمأن الله موسى لمَّا رآه متردداً في قبول الرسالة، وذلك بأنَّه سيجعل بني إسرائيل يحظون برضى المصريين وثقتهم، وطلب منه أن لا يُخرج بني إسرائيل من أرض مصر فارغي الأيدي، بل عليه أن يطلب منهم أن يحتالوا على المصريين، ويستغلوا رضاهم ليلة الرحيل عن مصر، ويأخذوا متاعهم وحُليِّهم، وبعد هذا كلِّه ورغم هذا الأمان الذي أعطاه الله لموسى، نرى موسى مرة أخرى متردداً في قبول الرسالة، وهذه المرة كانت حجته بحسب زعم التوراة، خشيته أن لا

(١) الخروج (٢/ (٢٤-٢٥).
(٢) الخروج (٣/ (١٠-١٢).
(٣)الخروج(٣/١١).
(٤) الخروج (٣/١٥).
(٥) الخروج (٣/١٦-١٧).
(٦) الخروج (٣/١٨).
(٧) الخروج (٣/١٩).
(٨) الخروج (٣/٢٠).

يصدّقه القوم بما يخبرهم به من تكليم الرب له وتكليفه بالنبوّة[١]، وفي تلك اللحظة سأله الله عمَّا يحمل في يده، فأجابه بأنها عصاه، فأمره الله أن يلقيها على الأرض، فإذا هـي حيَّـةُ عظيمـةٌ تتلوى، فهرب منها موسى خائفاً وجلاً، فقال الرب لموسى: **(مُدّ يدك وامسك بذنبها فمـد يـده وأمسك به فصارت عصاً في يده)**[٢]، وأخبره الله أن هذه العصا معجزةٌ له، ودليل صدقٍ علـى دعواه، ثم أمره الله أن يدخل يَده في عبه، فلما أدخلها وأخرجها فإذا هي برصاء مثل الثلج[٣]، ثم أمره الله بأن يعيدها، فأخرجها فإذا هي تعود كباقي جسمه، ثم أخبره الله أنهم إذا لـم يـصدقوا هاتين المعجزتين، ولم يصغوا لكلامه فعليه أن يغرف من ماء النهر، وأن يسكبه علـى الأرض الجافَّة، وعندها يتحول الماء الذي غُرف من النهر إلى دم فـوق الأرض[٤]، وبعـد أن أرى الله موسى المعجزات الثلاث، عادَ موسى للمجادلة مرةً أخرى وظهرَ تردده فـي قبـول الرسـالة، وتوسل إلى الله أن يعفيه من هذه المأمورية[٥]، ولكن هذه المرَّة بحجةٍ مختلفة، وهي أنه لا يحسن النطق، ولا يحسن الكلام الفصيح، وهذا ما يسبب له الحرج، وعدم معرفة النـاس لمـا يقولـه لهم[٦]، فقال موسى للرب: **(استمع أيها السيد لَست أنا صاحب كلام منـذ أمـس ولا أوّل مـن أمس، ولا من حين كلمت عبدك، بل أنا ثقيل الفم واللسان)** [٧]، فطمأن الله موسى أنه سـيكون معه، ويلقنه ما يقول أمام فرعون وقومه، ومع ذلك استمر موسى بالجدال ومحاولة التنصل منَ المهمة فيقول للرب: **(إستمع أيها السيد أرسل بيد من ترسل)**[٨]، فعندها حمي غـضب الـرب على موسى لكثرة جداله وتهربه من حمل المسؤولية، ومن ثم أخبر الرب موسى أنه سيرسـل معه هارون لأنه يحسن الكلام أكثر منه، فيكون ناطقاً باسمه، ويكون موسى إلهـاً لهـارون[٩]، وأخبره كذلك أن هارون سيخرج لاستقباله عند عودته، وأنه سيفرح بلقائه، وأن عليه أن يلقـن

---

(١) الخروج (٤ -٢).

(٢) الخروج (٤/٢-٤).

(٣) الخروج (٤/٦).

(٤) الخروج (٤-٩).

(٥) ماستر فيديا، التفسير التطبيقي، ص١٣٨، مرجع سابق.

(٦) البار، الله جل جلاله، ص١٩٧، بتصرف، مرجع سابق.

(٧) الخروج (٤/١٠).

(٨) الخروج (٤/١٢).

(٩) الخروج (٤/١٣).

هارون كلام الرب ليتكلم به أمام فرعون وأمام الشعب[١]، وبعد هذا يقتنع موسى بأن عليه حمل الرسالة، وأن يخرج بني إسرائيل من الذل والهوان الذي يعيشونه تحت حكم الفراعنة الظالمين، ثم عاد موسى إلى مدين وأخبر حماه يثرون بما حدث معه من لقاء الرب في أرض سيناء، وقال له أنه سيرجع إلى أرض مصر ليخرج قومه من ظلم فرعون، وأثناء وجود موسى في مدين أخبره الله أن جميع الأشخاص الذين كانوا يريدون قتله بسبب قتله القبطي قد ماتوا، فأخذ موسى زوجته وأولاده، وأركبهم على الدواب، ورَجع إلى مصر آخذاً معه عصاه[٢]، وتوردُ التوراة قصةً عجيبة حدثت مع موسى أثناء عودته مع أهله إلى أرض مصر، وهذه القصة أشبه بالخرافات، أو قُل إنَّ الخرافات أشبه بها، حيث تذكر التوراة أن الرب قَرَّر قتل موسى أثناء عودته إلى أرض مصر، فنزل بنفسه ليقوم بهذه المهمَّة، وعندها أخذت صفوره "زوجةُ موسى" صوانه "أي حجراً حاداً" وقطعت غرلة إبنها[٣]، ومست رجلي الرب بدماء ابنها وقالت له مسترحمةً: **(إنك عريس دم لي فأقلع الرب عن قتل موسى)**[٤]، وقبل ذلك طلب الله من موسى أن يكمل الطريق إلى مصر، ويبلغ دعوته لفرعون وقومه، وأن يطلق تحذيراً لفرعون مفاده أنه إذا لم يؤمن بالله، ولم يرتض أن يخرج بني إسرائيل من مصر، فإن الله سيقتل ابن فرعون البكر، من باب المجازاة بالمثل، كون إسرائيل الذي ينتمي إليه بنو إسرائيل ابن الله البكر[٥]، وبعدها أمرَ الله هارون أن يذهب إلى الصحراء ليلتقي بموسى، فذهب والتقاه، وأخبرَ موسى هارون بجميع ما جرى معه من لقاء الرب وما أمره به، والآيات التي منحها إيَّاه، ثم مضى موسى وهارون وجمعا شيوخ بني إسرائيل، وهناك تكلم هارون أمام الشعب، مخبراً إيَّاهم بما حدث مع موسى، وأراهم هارون المعجزات التي أيد الله بها موسى، وعندما رأى بنو إسرائيل

---

(١) الخروج (٤/١٤-١٧).

(٢) الخروج (٤/١٩-٢٠).

(٣) في إشارة لعملية الختان،والختّان إسم للمحل وهي الجلدة التي تبقى بعد القطع، والتي تجري للذكورعادةً، وهي مقدمة الفرج عند الذكور، انظر ابن قيم الجوزية، تحفة المودود بأحكام المولود، ص١٠٣، تقديم محمد سويد، المكتب العالمي للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٥، وانظر علوان، عبد الله، تربية الأولاد في الإسلام، (١/١٠٧)، دار السلام، ط٢، ١٩٧٨م.

(٤) البار، المدخل، ص٦٠، مرجع سابق، وانظر زنون كوسيد وفسكي، الأسطورة والحقيقة في التوراة، ص٩٧، ترجمة د. محمد مخلوف، دار الأهالي للطباعة والنشر، ط١، ١٩٩٦م، بتصرف.

(٥) الخروج (٤/٢١-٢٣).

هذه المعجزات علموا أن الرب قد افتقدهم وأنه أراد أن يخرجهم من العبودية والذل، فخروا لـــه ساجدين[1]، وعند هذه النقطة إبتدأت مرحلة جديدة، هي المرحلة العملية في الدعوة إلى الله أمام فرعون، والمواجهة مع الباطل.

---

(١) الخروج (٤/٢٧-٣١).

المبحث الثالث: مقارنه لأحداث هذه المرحلة بين القرآن والتوراة

عند دراسة قصة موسى مع فرعون من ميلاده إلى بعثته في كل من القرآن والتــوراة، نجدُ أن بعضاً من أحداث هذه المرحلة يتوافق ذكر التوراة لها مع ما أثبتــه القــرآن الكــريم، والبعض الآخر يختلف اختلافاً جزئياً أو كلياً بين الكتابين، وسأعرض من خلال هــذا المبحــث أوجه الاتفاق والاختلاف لأحداث هذه المرحلة بين نصوص الكتــابين مــستهلاً بــالتوافق ثــم بالاختلاف.

المطلب الأوّل: المتفق عليه بين الكتابين من أحداث هذه المرحلة

التصريح باسم موسى والسكوت عَن اسم فرعون

ورد اسم موسى في كتاب الله صراحةً مائة وستاً وثلاثين مَرَّةً[1]، وورد اســمُ موســى كذلك في نصوص التوراة الكثيرَ الكثير، ولم يُعْدَل في أي من الكتابين عن تسمية موسى بغيــر اسمه، بينما نجد أن اسم فرعون لم يرد في كلٍ مِنَ القرآن والتوراة صراحةً، بل عُدل عَن ذلــك إلى لقبه، وهذا ما يتناسب مع الفائدة المرجوَّة من إيراد القصة، وهو أخذ العبرة والعظة ولــيس السرد التاريخي فحسب.

الإبهام في زمن ولادة موسى وفرعون ووفاتهما

لا يستطيع أحدٌ أن يجزمَ بمعرفة تاريخ ولادة كل من موسى وفرعون ووفاتهمــا مــن خلال دراسة قصة موسى مع فرعون في كل من القرآن والتوراة، حيث لا يوجــد فــي كــلا الكتابين أي تحديد للزمن الذي ولُدِ فيه موسى وفرعون أو الزَمن الذي توفيا فيه[2].

---

(١) الخالدي، القصص القرآني، (٢/٢٧٠)، مرجع سابق.

(٢) البار، الله جل جلاله، ص١٨٦، بتصرف، مرجع سابق.

طبيعة الأجواء التي ولد فيها موسى عليه السلام

مَهَّد القرآن عند الحديث عَن ولادة موسى بالظروف الصعبة التي كان يعيشها بنو إسرائيل في ذلك الزمان، فقد أستعلى فرعون في الأرض وجعل أهلها شيعاً، يستضعف طائفة منهم، يذبح أبناءهم ويسخر نساءهم للخدمة والعمل تحت إمرته، وتحدثت التوراة كذلك عَن هذه الأجواء، فقد ذكرت أن ملكاً جديداً قد حكم مصر، وكان هذا الملك يُكنُّ الحقد لبني إسرائيل، فأمر بتقتيل ذكور بني إسرائيل منَ المواليد الجدد، وتسخير رجالهم ونسائهم للعمل في خدمته وبناء المدن الضخمة[1].

إلقاء موسى في اليم

عندما تحدث القرآن عن ولادة موسى ذكر خوف أُمه عليه، وما آل إليه هذا الخوف فيما بعد بأن وضعت موسى في التابوت، وألقت به في اليم، قال تعالى: ﴿ **إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ * أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ**﴾[2]، وتوردُ التوراة هذا الحدث، **(فقد خبَّأت أم موسى وليدها بعد خوفها عليه منَ القتل داخل صندوق وألقت به في اليم)**[3]، فكلا الكتابين يذكر حادثة وضع موسى في التابوت ثم القذف به داخل اليم مِن قبل أُمِّه بعد خوفها عليه.

الأخت المراقبة

ذكر القرآن أُخت موسى ودورها في مراقبة تابوت موسى في اليم بإيعاز من أُمهَا، ﴿**وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتۡ بِهِۦ عَن جُنُبٖ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ** ﴾[4]، واستمرت أخته في المراقبة الحذرة، حتى وقع موسى في يد آل فرعون، ثم تدخلت في اللحظة المناسبة لتقترح عليهم أن ترشدهم إلى مَن تكونُ له مرضعةً ومربيةً، ﴿ **فَقَالَتۡ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰٓ أَهۡلِ بَيۡتٖ**

---

(١)المرجع السابق،ص١٨٥،بتصرف.
(٢) طه (٣٩).
(٣)الخروج (٢/٢).
(٤) القصص (١١).

﴿ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴾[١]، وتذكر التوراة هذه الحادثة فتقول: **(ووقفت أختــه من بعيد لتعرفَ ماذا يفعل به)**[٢]، كما وتذكر التوراة تدخل الأخت عند القصر الفرعوني لكـــي ترشدهم إلى من يتولَّى إرضاع ورعاية موسى، **(فقالت أخته لابنة فرعون هل أذهب وأدعو لك امرأةً مرضعةً من العبرانيات لترضع لك الولد)** [٣].

إرضاع موسى على نفقة فرعون

بعد أن احتار القوم في شأن الوليد الصغير، وأرشد الله أخته لكي تتدخل في اللحظة المناســبة، وأحضرت أم موسى لكي ترضعه، وبعد قبوله ثديها استقر الرأي على أن تكون لـــه مرضـــعاً، وكان هذا على نفقة فرعون، ويقرأ هذا في قوله تعالى على لسان فرعون عندما أخذ يمنُّ علـــى موسى بعد أن رفض دعوته، ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾[4]، أي أنسيت أنك الذي ربيناك صغيراً في بيتنا، وعلى فراشنا، فعشت بيننا في نعمةٍ ورخاء؟[٥]، وتذكر التوراة أن ابنة فرعون أعطت أُمه الأُجرة على إرضاعه، فقالت ابنة فرعون: **(إذهبي بهذا الولد فأرضعيه لي وأنا أُعطيك أجرتك)**[٦]، وما هذا المال إلا مال فرعون، صاحب المال والـــسلطان في القصر.

رجوع موسى إلى حضن أُمِّه

ذكرَ القرآن رجوع موسى إلى حضن أمِّه، لكي يعيش في كنفها وتحت رعايتها، تحقيقاً لوعد الله لها بردّه لها ﴿ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴾[٧]، وأشارت التوراة لهذا

---

(١) القصص (١٢).
(٢) الخروج (٤/٢).
(٣) الخروج (٧/٢).
(٤)الشعراء (١٨).
(٥) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لإحكام القرآن، م٧(ج١٣/٦٥)، دار الكتب العلمية،١٩٩٣م.
(٦) الخروج (٩/٢).
(٧) القصص (١٣).

الأمر أيضاً **(فأخذت المرأة الولد وأرضعته)**[١]، وذلك بعد ما طلبت ابنة فرعون من أخت موسى أن تحضر من يرضع لها الوليد الصغير.

لا تفاصيل عن طفولة موسى

سكتَ القرآن عَن تفاصيل حياةِ موسى بعد رجوعه إلى أُمِّه كي ترضعه، ولم يُبيِّن القرآن كيف كانت حياته بعد ذلك، وانتقل مباشرةً للحديث عَن شباب موسى[٢]، وعند قراءة نصوص التوراة لا نجد تفصيلاً لحياة موسى في طفولته مع الإشارة إلى أننا نستطيع أن نقول: أن موسى قد رجع إلى قصر فرعون ليعيش فيه بعد أن أخذته أمه لإرضاعه بالأجرة، ويظهر هذا من خلال دراسة حياة موسى من خلال آيات القرآن ونصوص التوراة، فقد تمنن فرعون على موسى بتربيته موسى صغيراً في بيته سنيناً من عمره، ﴿ **قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ** ﴾[٣]، وما هذه السنين إلاَّ سنين طفولته، كون موسى رجع إلى أمه مباشرة بعدما امتنع عن قبول المراضع التي أحضرت لكي ترضعه، وقطعاً لا تكون الفترة الزمنية التي مكثها في قصر فرعون منذ أن التقطه آل فرعون حتى إرجاعه إلى أمه فتره طويلة حتى تقدر بالسنين، كون الوليد الصغير لا يستطيع احتمال هذه الفترة دون الحصول على حليب أمِّه أو ما يسد مكانه، فقد رجع إلى أمِّه وأُرضع هناك حتى كبر، ثم عاد إلى قصر فرعون ليعيش فيه، وهذه الفترة المقصودة في قوله ﴿ **وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ** ﴾[٤]، وتصرِّح التوراة كذلك برجوع موسى إلى قصر فرعون ليعيش كربيبٍ لابنة فرعون[٥]، وكل ذلك دون الحديث عَن تفاصيل تذكر عن طبيعة حياة موسى في طفولته، فلا نعلم كيف كانت علاقته بأُمِّه ولا بفرعون، ولا بمن حوله، فقد سكت الكتابان عن ذلك.

---

(١) الخروج (٢/٩).

(٢) الخالدي، مع قصص السابقين، ص٨٣، مرجع سابق.

(٣) الشعراء (١٨).

(٤) الشعراء (١٨).

(٥) انظر سفر الخروج (٢/١٠).

فرار موسى إلى مدين بعد قتل القبطي

وردت حادثة قتل موسى الرجل القبطي في كل من القرآن والتـوراة، ونتيجـةً لهـذه الحادثة، فرَّ موسى من وجه فرعَون إلى مدين هارباً خائفاً، ممتلأً قلبه بالرجاء، لكي ينجيـه الله من بطش فرعون وجبروته، وقد أشير في الكتابين إلى أن موسى وردَ ماء مدين، قال تعـالى: ﴿فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ * وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلۡقَآءَ مَدۡيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ * وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ ﴾[١]، وتشير التوراة كذلك إلى وقوع هذا الأمر، **(فسمع فرعون بقتل موسى القبطي، فطلب أن يقتل موسى، فهرب من وجه فرعون وسكن في أرض مدين وجلس عند البئر)**[٢].

موسى يرعى الغنم في مدين

كان موسى فتياً نبيلاً، أثار في نفس الشيخ وابنتيه اللتين سقى لهما أغنامهما عند البئـر عوامل الإعجاب، ولهذا قالـت إحـداهما: ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴾[٣]، وقد طلب الشيخ من موسى أن يعمل عنده في رعاية الأغنام مقابل أن يزوجه من إحدى بناته، فوافق موسى على ذلك، وتتفق التوراة مع القرآن بأن موسى كان يرعى الأغنام في أرض مدين، بعدما ارتضى أن يسكن مع الرجل الذي سقى لبناته الأغنام عند بئر مدين، تقـول التوراة: **(وأمَّا موسى فكان يرعى غنم يثرون حميه كاهن مدين)**[٤].

موسى يكلَّف بالرسالة في طور سيناء

تتفق التوراة مع القرآن بأن موسى كلف بالرسالة عند جبل الطور، أو ما يـسمى فـي نصوص التوراة بجبل "حوريب"، وذلك أثناء وجوده في صحراء سيناء، وبعد أن رأى ناراً تتقد من شجرة تقدم كي يستطلع الأمر، فناداه الله من تلك الشجرة، وأمره أن يخلع نعليه تعظيماً لهذه

---

(١) القصص (٢١-٢٣).
(٢) الخروج (١٥/٢).
(٣) القصص (٢٦).
(٤) الخروج (١/٣).

البقعة المباركة[١]، مبيناً له أنه اختاره لحمل رسالته، وتبليغ دعوته، وفي ذلك الموقف يذكر الكتابان أن الله خص موسى بالتكليم مباشرةً دون وساطة[٢]، وأن الله سأل موسى عَمَّا يحمل في يده، ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ * قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴾[٣]، وفي التوراة: **(فقال له الرب ما هذه في يدك فقال عصا)**[٤]، وبعدها أمره الله أن يلقي عصاه، فتحولت إلى ثعبانٍ يسعى، مما أخافه ودفعه للهرب من وجه ذلك الثعبان، فأمره الله بالعودة وأخذ العصا لتعود إلى أصلها وكانت تلك هي المعجزة الأولى لموسى حسب ما جاء في الكتابين، ويتفق الكتابان كذلك على أن الله أمد موسى بالمعجزة الثانية، وهي معجزة اليد البيضاء، قال تعالى: ﴿ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴾[٥]، وفي التوراة: **(ثم قال الرب أيضاً أدخل يدك في عبك فأدخل يده في عبه، ثم أخرجها فإذا هي برصاء مثل الثلج)**[٦]. وعِبُّ الرجل هو كمه[٧]، والكم هو مدخل اليد ومخرجها من الثوب[٨].

الأمر بالذهاب إلى فرعون وإخراج بني إسرائيل من عبوديته

بعدما كُلف موسى بالرسالة، وأُيِّد بالمعجزات، أمره الله أن ينطلق إلى فرعون، ويعرض عليه الإيمان بالله، وأن يطلب منه أن يطلق بني إسرائيل من عبوديته، وأن يعطيهم حرية العبادة، قال تعالى: ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ﴾ [٩]، وتقول التوراة: **(الآن هلم فأرسلك إلى فرعون وتخرج شعبي بني إسرائيل من مصر)**[١٠].

---

(١) بيومي، قصص القرآن، ص٢٤٩، مرجع سابق، والبار، الله جل جلاله، ص١٩٧، مرجع سابق، والخروج، (٥/٣).
(٢) الشعراوي، تفسير الشعراوي، (٢٨٤٥/٥) مرجع سابق، والخروج (٣/٤-٥).
(٣) طه (١٧-١٨).
(٤) الخروج (٢/٤).
(٥) طه (٢٢).
(٦) الخروج (٤/٣-٤).
(٧) إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، باب العين، ص٦٠٨، مرجع سابق.
(٨) المرجع السابق، باب الكاف، ص٨٣٤.
(٩) طه (٤٧).
(١٠) الخروج (١٠/٣).

الإشارة إلى عُقدة اللِّسان

يتضح لنا من قراءة قصة موسى في كل من القرآن والتوراة، أنَّه كان يعاني من عقدةٍ في لسانه، ولم يرد في كلا الكتابين بيانٌ لسبب هذه العقدة، وقد أكتفى الكتابان بالإشارة إلى هذه العقدة، التي كانت تسبب الحرج لموسى، كما بيَّن الله على لسان موسى قائلاً: ﴿ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي يَفْقَهُواْ قَوْلِي ﴾[1]، وجاءَ في التوراة أيضاً **(فقال موسى للرب استمع أيها السيد أنا لست صاحب كلام منذ أمس ولا أوّل من أمس ولا من حين كلمت عبدك بل أنا ثقيل الفم واللسان)**[2].

المطلب الثاني: أوجه الاختلاف بين الكتابين في هذه المرحلة

عند دراسة أحداث هذه المرحلة في نصوص القرآن والتوراة، نجدُ تناقضاً وتبايناً واضحاً في الكثير من أحداث هذه المرحلة بين الكتابين سواء كانت هذه الأحداث أحداثاً أساسية ورئيسة أو كانت تفاصيلاً دقيقة ثانوية، وبعض هذه التناقضات يظهر في مجال العقيدة وما يتعلق بالله، ومنها ما يتعلق بشخصية موسى وشخوص هذه المرحلة، ومنها ما يتعلق ببعض الأحداث الواردة في الكتابين، وسأقدِّم عرضاً أبين من خلاله أوجه الاختلاف بين الكتابين كما جاءت في نصوص القرآن والتوراة.

أولاً: الاختلاف في حقيقة الله وصفاته

تختلف الفكرة عن الله سبحانه وتعالى في القرآن عن تلك الفكرة التي تجسدها التوراة، فالله في القرآن هو رب العالمين الذي لا شريك له في ملكه ولا مدبر معه لشؤون خلقه، رب للجميع، وخالق كل شيء، متصفٌ بصفات الكمال والجلال والجمال، متنزهٌ عن كل صفات النقص والتشبه بالمخلوقات ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[3]، أمَّا الفكرة عن الله في التوراة فهي تعني أن الله إلهٌ خاصٌ ببني إسرائيل، وهم شعبه المختار دون سائر الخلق، وهو

(١) طه (٢٧-٢٨).
(٢) الخروج (٤/١٠).
(٣) الشورى (١١).

إله الحرية، إله الإنتقام من أعداء بني إسرائيل، سريع الغضب، المتقلب المتغيـــر المتجـــسد[1]، وهذه صفات الله التي ذكرت في التوراة عند الحديث عن قصة موسى مع فرعون من ميلاده إلى بعثته، والتي تتناقض تناقضاً واضحاً مع ما أثبته الله لنفسه في كتابه العزيز.

الإله ينسى ويتذكر

جاء في سفر الخروج **(فسمع الله أَنينهم أي "بني إسرائيل" فتذكر الله ميثاقه مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب)**[2]، وهذا النص ينسب التذكر إلى الله، والتذكر يستوجب النسيان، فهل ينـــسى الله؟؟ هكذا تقول التوراة، صفةٌ من صفات البشر، وهي صفةٌ من صفات النقص تنسب إلى الله، والقرآن نفى النسيان عن الله تعالى بقوله﴿**وَمَا: كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا** ﴾[3]، أي أنه تعالى لا ينسى شيئاً من ملكه حتى يختل بإهماله، وما كان ربك ناسيا ثوابه لعباده المؤمنين وعقابـــه للمـــسيئين ولا ينسى أحدا فيهمله[4].

الله يأمر بالسرقة والاحتيال!!

جاء في سفر الخروج أن الله أمر موسى أن يخبر قومه بأن عليهم أن يأخذوا الملابـــس والذهب من المصريين ليلة رحيلهم من مصر، ويخبروهم أنهم سيعيدوها لهم بعد حين، ثم يقوم بنو إسرائيل بعد ذلك بأخذ كل هذا المتاع من الحلي والملابس ويهربوا به دون أن يعيدوه إلـــى أصحابه، وهذا أمرٌ صريحٌ بالاحتيال من أجل السرقة[5]، والقرآن المنزَّل من عند الله فيه الأمر بالخير كلِّه، والنهي عَن الشر كله، ومن هذا الشر السرقة بكل أشكالها وألوانها، وقد جعـــل الله لمن يرتكب السرقة جزاء شنيعاً تشمئز منه النفوس الكريمة، وتنفرُ منه الطباع الـــسليمة، وهـــو

---

(١) السيد سعد الدين الصالح، العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية،ص٣٠٩، مكتبة الصحابة، جده، ومكتبة التـــابعين، القاهرة، ط٢، ١٤١٦هـــ.

(٢) الخروج (٢/٢٤).

(٣) مريم (٦٤).

(٤) أبوالسعود، تفسير أبي السعود، (٤/٢٥٠)، مرجع سابق.

(٥) الخولي، اليهود من كتابهم، ص١٤، مرجع سابق.

قطع اليد، قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾[1].

إسرائيل ابن الرب البكر

تزعمُ التوراة أن إسرائيل هو الإبن الأكبر للرب، وجاء ذلك بإقرار الرب كما تقول التوراة: **(فتقول لفرعون هكذا يقول الرب: إسرائيل إبني البكر، فقلت لك أطلق إبني** "أي **إسرائيل" ليعبدني، فأبيتَ أن تطلقه ها أنا أقتل ابنك البكر)**[2]، ويقصد هنا بإسرائيل الذي طلب الله إطلاقة هم بنو إسرائيل الذين كان يستعبدهم فرعون هم ومن جاء من نسلهم فيما بعد، وإسرائيل كلمة عبرية تتكون من مقطعين الأول "إسر" بمعنى "عبد" والثاني "إيل" بمعنى "الله"، فيكون معنى "إسرائيل" عبد الله، وإسرائيل هو يعقوب عليه السلام[3]،فها هي التوراة تدَّعي أن لله ابناً هو إسرائيل، والفرق بين ما جاء في التوراة في هذا الشأن من الخرافات، وبين ما أثبته الله لنفسه من الكمال والتنزه عن النقائص، أكثر وضوحاً من القمر ليلة البدر في السماء الصافية، فقد نزَّه الله نفسه عن اتخاذ الولد ﴿ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾[4]، أي لا يليق بالله اتخاذ الولد لأن الولد بضعةٌ من الوالد، فهو يشبهه والله تعالى لا شبيه له ولا مثيل ولا سميّ، واتخاذ الولد يدل على نقصه واحتياجه وهو الغني الحميد[5]، تعالى الله عمَّا يقولون علواً كبيراً.

التوراة وخداع الرب

تدَّعي التوراة أن صفوره زوجة موسى استطاعت أن تخدع الرب، وتزعمُ التوراة أن الرب قد غضب على موسى غضباً شديداً لأن موسى كان جباناً مثل بقية بني إسرائيل ورفض بدايةً أمر الرب بأن يذهب إلى فرعون خوفاً وفرقاً منه، وأعلن الرب أنه سينزل ليقتل موسى

---

(١) المائدة (٣٨).

(٢) الخروج (٤/٢٤-٢٦).

(٣) السقاف، أبكار، إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة، ص٩٩، مكتبة مدبولي، مصر، ط٢، ١٩٩٧م.

(٤) مريم (٩٢).

(٥) انظر السعدي، تيسير الكريم الرحمن، (١٨٧/٣)، مرجع سابق، والبروسوي، تنوير الأزهار، (٤٢٣/٢)، مرجع سابق.

لأنه رفض أن ينقذ إسرائيل "إبن الله البكر" من يد فرعون[1]، تقول التوراة: **(وحدثَ في الطريق أن الرب ألتقاه وطلب أن يقتله)**[2]، وفي التو تدرك صفوره أن الرب يريد قتله، فتأخــذ بيــدها قطعة من حجر الصوان وتجري لابنها عملية الختان، وتلمس بعد ذلك أَرجل موسى بالدم الناتج عن عملية الختان لأبنها[3]، وقالت حينئذٍ: **(إنك عريس دم لي)**[4]، وقامت صفوره بعملية الختان لابنها لإنقاذ زوجها من القتل على يد الرب الذي ثارت ثائرته لأن موسى لم يكــن قــد إختــتن بالإضافة إلى أنه رفض أن ينقذ بني إسرائيل من يد فرعون، ومست قدمي موسى بالدم لتظهــر للرب أن موسى قد أختن[5]، واقتنع الرب بذلك، وانفك عن قتله، واستطاعت بذلك زوجة موسى أن تخدع الرب، وهل يعقل هذا؟؟ الله مدبر السماوات والأرض، الذي لا تخفى عليه خافيةٌ فــي الأرض ولا في السماء، تخدعه امرأة من مخلوقاته!! ومن؟؟ زوجة نبيه وكليمه الذي شرَّفه الله بحمل رسالته وإعلاء كلمته، وهو الذي يعلم السر وما يخفى، تنزه الله عما تقول ألسنتهم بهتانــاً وزوراً.

ثانياً: المختلف عليه من أحداث هذه المرحلة بين الكتابين

بعد الحديث عن التناقض الواضح في حقيقة الإله بين القرآن والتوراة، من خلال دراسة هذه المرحلة من قصة موسى مع فرعون من ميلاده إلى بعثته، أتعرض للحديث عَن الاختلاف بين الكتابين في أحداث هذه المرحلة، سواء كان هذا الاختلاف جزئياً أو كلياً.

في التوراة تفاصيل أكثر عَن أحوال بني إسرائيل قبل ولادة موسى

عند الحديث في التوراة عَن الأجواء التي تزامنت مع ولادة موسى، نجد سرداً لتفاصيل لم ترد في القرآن الكريم، حيث اكتفى القرآن بالإشارة إلى الأجواء العامة التي ترافق معها مولد موسى، وهذه الأجواء هي فساد فرعون في الأرض، واستعباد بني إسرائيل، وتقتيل مواليــدهم

---

(١) البار، الله جل جلاله، ص٣٦، مرجع سابق.
(٢) الخروج (٤/٢٤).
(٣) الزيادي، محمد منير، الرسالة وبنو إسرائيل، (اليهودية)، ص٤٤، ١٩٩١م.
(٤) الخروج (٤/٢٤).
(٥) أحمد عبد الوهاب، تعدد نساء الأنبياء، ص١٦، مع بعض التصرف، مرجع سابق.

الذكور واستحياء الإناث منهم، أمَّا التوراة فتورد تفاصيلاً أخرى لم ترد في القرآن، وتتحدث هذه التفاصيل عَن طبيعة الاستعباد، فتذكر أن فرعون سخَّر الإسرائيليين لبناء المدن الضخمة مثـــل فيثوم ورعمسيس[١]، وكذلك توكيل فرعون لقابلتي العبرانيات مراقبة ولادة نـــساء العبـــرانيين، وقتل مواليدهم الذكور، وموقف القابلتين من هذا الأمر والاحتيال على قرار فرعون، ولا نجـــد في القرآن ذكراً لقابلتي العبرانيات، ولا إشارةً لاستخدام الإسرائيليين في بناء المدن الضخمة.

في القرآن... لا تفاصيل عن أفراد عائلة موسى

إكتفى القرآن في حديثه عن عائلة موسى عندما قصَّ علينا قصته، بالإشارة إلى هارون، أخِ موسى وشريكه في حمل الرسالة، وكذلك الإشارة إلى أَمِّه دون تفاصيل عَن إسمها وطبيعـــة حياتها، وكذلك الإشارة إلى أخت موسى ودورها بعد ولادة موسى وإلقائه في اليم، دون تفاصيل عنها، ولا يذكر القرآن شيئاً عن أفراد العائلة الآخرين، مثل والده وزوجته وأبنائه، بينما نجـــد شيئاً منَ التفصيل في التوراة عَن عائلة موسى، فوالد موسى الذي تسميه التوراة "عمرام" تزوج من عمته "يوكابد"[٢]، وهما ينتسبان إلى بيت لاوي بن يعقوب عليه السلام، بالإضافة إلى أخـــت موسى، ونجد في التوارة ذكراً لزوجة موسى "صفوره" إبنة كاهن مدين، ويأتي هذا تمشياً مـــع أسلوب القرآن في إيراد القصة، حيث يهتم بالعبرة والعظه، ويبتعد عن السرد التاريخي الخـــالي من الفائدة.

وصف حال أم موسى عند الولادة

عندما تحدث القران عَن ولادة موسى وصف حالة الخوف التي عاشتها أمه وصفاً دقيقاً، تلك الأم التي ملأ الرعب والخوف فؤادها، فأصبحت لا تفكر بشيء من الدنيا سوى موسى، وقد ذكر القرآن الإيحاء إلى أم موسى بإرضاعه ووضعه في التابوت وإلقائه في اليم، ولم يكن ذلـــك بمبادرةٍ شخصيةٍ منها، ثم ذكر تطمين الله لها على وليدها الصغير، والوعد بردِّه لهـــا ســـالماً، وبَعد ذلك أنه سيكون من المرسلين، ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ

---

(١) الخروج (١١/١).

(٢) الخروج (٢٠/٦).

﴿ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾[1]، بينما لا تـذكر التوراة شيئاً عَن حال أم موسى عند ولادته سوى خوفها، وإخفائها موسى ثلاثة أشهر من وجـه فرعون وأتباعه، ثم وضعته في تابوت وألقته في اليم، وهذا الأمر يظهر من خلال التوراة أنـه صدر من تلقاء نفس أم موسى ولم يكن بإيحاء من الله لها، وكيف يعقل أن ترمي الأمُّ الخائفـة الملتاعة مولودها في النهر؟؟ ولم تذكر التوراة البشرى لأُم موسى برده لها ولا أنه سيكون فـي كبره مِن المرسلين.

لا ذكر لزوجة فرعون في التوراة

عندما تحدثت التوراة عَنِ التقاط موسى من النهر، ذكرت أن ابنة فرعون هي التـي رأت الصندوق الذي وضع فيه موسى، وذلك أثناء نزولها للإستحمام في النهر[2]، ولا تذكر التـوراة شيئاً عَن زوجة فرعون، بل تذكر أن ابنة فرعون هي من كان لها الدور في حضانة موسـى، وتربيته في القصر، وذلك بعدما رقَّ له قلبها، بينما يذكر القرآن أن زوجة فرعون هي من قامت بحماية موسى من بطش فرعون، والمدافعة عنه ورعايته، ويذكر القرآن مجادلتها لزوجها حتى وافق على عدم قتلـه ﴿ وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا ﴾[3]، بالإضافة إلى أن التوراة لم تذكر حادثة تحريم المراضع على موسى والتي ذكرها القرآن في معرض الحديث عن تحقيق الوعد لأم موسى بردِّه إليهـا سـالماً مـن عـدو الإسرائيليين الأول فرعون.

منشأ تسمية موسى بهذا الاسم

لم يذكر القرآن شيئاً عن سبب تسمية موسى بهذا الاسم، وذلك لاهتمام القـرآن بـإبراز العبرة والعظة من أحداث القصة، وعدم تركـيزه على التفاصيل التي لا تتعلق بهذه الفائدة، بينما تذكر التوراة أن منشأ تسمية موسى بهذا الاسم هو ابنة فرعون، والتي قامت بانتشال موسى من

---

(١) القصص (٧).

(٢) الخروج (٢/٥).

(٣) القصص (٩).

النهر، وقد أسمته بهذا الاسم عندما أعادته أمه إليها بعد انقضاء الفترة التي عاشها في كنفها ورعايتها، وقد علَّلت ابنة فرعون سبب التسمية بهذا الاسم بأنها انتشلته من بين الماء [١]، كون كلمه "موسى" مكونة من مقطعين، الأول "مو" والتي تعني الماء في اللغة المصرية القديمة، والثاني: "شا" والتي تأتي بمعنى "الشجر" حيث وجد في النهر[٢].

موسى والقتيل

المتتبع لسير الأنبياء قبل نبوتهم، يجدها شاهدةً بأنهم أبعد الناس عَن المعاصي، كبائرها وصغائرها، لِعلو فطرةِ كل رسول، وصفاء نفسه، وسمو روحه، ليكون أُنموذجاً بين قومة، في أخلاقه ومعاملاته وأمانته، وفي بعده عَن ارتكاب القبائح التي تنفُر منها العقول السليمة والطباع المستقيمة، و ذلك حتى لا يكون هناك مطاعن في رسالته ودعوته[٣]، ومن هؤلاء الرسل نبي الله موسى، الذي اختاره الله من صفوة البشر، ورعاه منذ الصغر على عينه، كما قال تعالى: ﴿ وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴾[٤]، وجعله من المصطفين الأخيار المعصومين من الكبائر قبل النبوة وبعدها[٥]، لكن التوراة المحرَّفة تأبى إلاّ أن تلصق بموسى أبشع الأفعال وأقبحها، وعلى رأسها تهمة القتل العمد، وذلك حين أشارت التوراة إلى أن موسى قتلَ الرجل القبطي عمداً، بعدما نظر حوله فتأكد من خلُّو المكان مِن الشهود، فقرر قتل الرجل ودفنه[٦] تقول التوراة: **(نظر إلى هنا وهناك ورأى أن ليس أحد فقتل المصري وطمره في الرمل)**[٧]، ولا تذكر التوراة شيئاً يدلُّ على أن موسى ندم على هذا العمل، مما يلصق تهمة القتل العمد بموسى، بينما نجدُ أن القرآن بعيدٌ كل البعد عَن إلصاق تهمة القتل العمد بموسى، إذ عبر بلفظ الوكز وهو الضرب بجمع الكف في

---

(١) الخروج (٢/١٠).

(٢) طبارة، مع الأنبياء في القرآن، ص٢١٩، مرجع سابق.

(٣) الميداني، حبنكة عبد الرحمن، العقيدة الإسلامية وأسسها، ص٣٣٨، دار القلم، دمشق، ط٧، ١٩٩٤.

(٤) طه (٣٩).

(٥) انظر أقوال العلماء في عصمة الأنبياء، الصابوني، محمد علي، النبوة والأنبياء، ص٥٣، ط١٩٨٠،٢، مع بعض التصرف.

(٦) الخولي، التحريف في التوراة، ص٣١، مرجع سابق.

(٧) الخروج (٢/١٢).

الصدر [1]، فلم يضربه بآلةٍ من شأنها القتل عادة، كالأدوات الحادَّةِ أو الحجارة وغيرهـــا، وقــد أورد القرآن ندم موسى على هذه الفعلة واستغفاره والإقرار بأنها من عمل الــشيطان، وطلــب الرحمة والمغفرة مِنَ الله تعــالى: ﴿ قَالَ هَـٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ * قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[2]، وشتان بين القصتين.

موسى وصاحب النصيحة

قصَّ علينا رب العزة في سورة القصص حادثة قتل موسى الرجلَ القبطي، وبعدما فضح أمُر موسى، إجتمع الملأ من قوم فرعون يأتمــرون به ليقتلوه، ويشير القرآن إلى رجل حريصٍ على حياة موسى جاءه مسرعاً من أقصى المدينة ليخبر موسى بخبر القوم الذين اجتمعوا لقتله، ويسدي له النصيحة بالخروج مــن مصر ليحــولَ ذلك دون قتلـــه، قال تعــالى: ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴾[3]، وقد استجاب موسى لتلك النصيحة، وخرج من مصر متجهاً نحو مدين، فاراً مِن بطشِ فرعون وقومه، راجياً رحمة الله وفضله، ويرجح الشهيــد سيد قطب أنَّ هذا الرجــل هو مؤمن آل فرعون الذي كان يكتم إيمانه، والذي جاء ذكره في سورة غافر[4]، وقــد ســكت القرآن عَن اسم هذا الرجل، ويذكر البعض مِن أهل التأويل أن اسمه "حزقيــل"، وقيــل: اســمه "شمعون"، وقيل: اسمه"سمعان"[5]، ولا تذكر التوراة شيئاً عَن هذا الرجل، ولا عن نصيحته التي أسداها لموسى، وتكتفي التوراة بالإشارة إلى أن موسى فرَّ هارباً إلى مدين من تلقاء نفــسه دون أن يوجهه أحد أو يقدم له أي نصيحة[6].

(١)إبن منظور، لسان العرب، باب الكاف، مادة وكز، (٤٣٠/٥)، مرجع سابق.
(٢) القصص (١٥-١٦)
(٣) القصص (٢٠).
(٤) قطب، الظلال، (٦،٣٣٥)، مرجع سابق.
(٥) البغوى، معالم التنزيل، (٣٧٨/٣)، مرجع سابق.
(٦) الخروج (١٤/٢-١٥).

في أرض مدين

بعد أن ذُكر هروب موسى إلى أرض مدين مِن وجه فرعون في كلٍ من القرآن والتوراة، تطل علينا اختلافاتٌ طفيفة في تفاصيل هذه القصة بين الكتابين، فالقرآن يذكر أن موسى وجد فتاتين تمنعان أغنامهما من ورود الماء لئلا تختلط بأغنام الرجال عند البئر، بينما تذكر التوراة أنَّ موسى و جد سبع فتيات ليثرون كاهِن مدين[1]، والقرآن يذكر أن موسى اتفق مع والد الفتاتين على أن يقوم بالعمل عنده في رعاية أغنامه وخدمته ثماني سنين أو عشراً على التخيير، مقابل أن يزوجه إحدى بناته، وذلك بعدما أشارت عليه إحدى بناته باستئجار موسى لمَّا رأت من أمانته وقوته ما رأت، ولا نجد شيئاً عَن هذا الإتفاق بين موسى والرجل في التوراة، ولا تحديداً لعدد السنوات التي مكثها موسى في مدين، وتذكر التوراة زواج موسى من صفوره إبنة يثرون كاهن مدين والتي أنجبت له جرشوم[2]، بينما سكت القرآن عَن اسم زوجته واسم والدها، ولم يشر إلى جرشوم، فكل ذلك من مبهمات القرآن الكريم.

موت فرعون أثناء وجود موسى في مدين

تذكر التوراة أن فرعون الذي كان يطلب موسى لقتله قد مات أثناء وجود موسى في أَرض مدين، تقول التوراة: **(وحدث في تلك الأيام أي زمن وجود موسى في مدين أن ملك مصر قد مات)**[3]، ثم جاء فرعون آخر ليحل محلَّه، وهو الذي بُعث إليه موسى حسب رأي التوراة، بينما لا نجد شيئاً في القرآن يؤيد هذا الكلام، والظاهر أن موسى واجه فرعوناً واحداً، ولم يتحدث القرآن عَن أكثر من فرعون، ولا يوجد دليل بين أيدينا يثبت أن موسى قد واجه أكثر من فرعون[4].

---

(١) البار، الله جل جلاله، ص١٩٦، مرجع سابق.

(٢) الخروج (٢/٢٢).

(٣) الخروج (٢/٢٣)، والخروج (٤/١٩).

(٤) قاسم خضر، شخصية فرعون في القرآن، ص٩٠، بتصرف، مرجع سابق.

حال موسى عند التكليف بالرسالة

يذكر القرآن أن موسى بعدما أتمَّ العهد الذي بينه وبين الرجل الذي استضافه في بيته، قد سارَ بأهله قافلاً إلى أرض مصر، وفي صحراء سيناء وبالتحديد عند جبل الطور، ناداه الله بعدما دخل موسى الوادي المقدس ليستطلع أمر الشجرة التي تتقد ناراً، ﴿ **فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ * فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ** ﴾[١]، بينما لا تذكر التوراة أن موسى قد كُلِّف بالرسالة أثناء عودته إلى مصر، حيث تذكر أن موسى كان يرعى الغنم لحميه "يثرون" عند جبل حوريب، وعندها رأى ناراً تتقد مِنَ شجرةٍ فذهب لينظر إليها، فناداه الله من تلك الشجرة[٢]، وعند تتبع ما جاء في التوراة بشأن تكليف موسى بالرسالة، نجد اختلافاً واضحاً في كثير مِن التفاصيل بين الكتابين، ففي حين أننا نجد تفصيلاً دقيقاً للمكان الذي نودي منه موسى في صحراء سيناء في آيات القرآن الكريم، التي ذكرت أنَّ موسى نودي من الشجرة، وهذه الشجرة في شاطئ وادي طوى، وهذا الشاطئ هو جانب الوادي الأيمن، وهذا الوادي هو جانب الطور الأيمن، وهذه البقعة كلها البقعة المباركة[٣]، فإننا نجد أن التوراة قد اكتفت عند الحديث عَن المكان الذي نادى الله فيه موسى بالإشارة إلى جبل حوريب[٤] "جبل سيناء"، والشجرة التي نودي منها موسى عندما أراد أن يستطلع أمر الشجرة المشتعلة بالنار، وكذلك نجد أن التوراة ذكرت أنَّ موسى خاف أن ينظر إلى الله بسبب خوفه من الموت عند رؤية الله[٥]، وكأنَّ المجال كان مفتوحاً أمام موسى لكي ينظر إلى الله، والقرآن يذكر عكس ذلك، فقد استشرفت نفس موسى إلى أن تجمع بين التكليم والرؤية، قال تعالى على لسان موسى:

---

(١) القصص (٢٩-٣٠).

(٢) الخروج (٣/١-٢).

(٣) الخالدي، القصص القرآني، (٢/٣٥٤)، مرجع سابق.

(٤) الخروج (٢/(١-٣).

(٥) الخروج (٦/٣١).

﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ ﴾[١]ونرى أيضاً أن الله أيَّد موسى في ذلك الموقف بمعجزتين وهما العصا واليد البيضاء، وتذكر التوراة واحدةً أخرى، وهي معجزة تحول الماء المُخْرَج من النهر إلى دم، و ذلك بعد سكبه فوق اليابسة[٢].

الرسالة بين القبول والرفض

ذكرَ القرآن أنَّ الله أمرَ موسى بالذهاب إلى فرعون ليبلغه دعوته، وقد استجاب موسى لأمر ربِّه، سائلاً إيَّاه أن يشرحَ له صدره، وأن ييسِّر له أمره، وأن يحلل لَه عُقدةً كانت في لسانه، وأن يشدَّ عضده بأخيه هارون، فهو يعلم منه فصاحة اللسان وثبات الجنان، بينما تذكر التوراة تلَكُؤ موسى في قبول الرسالة، والتهرب منها أكثر من مرَّة، وفي سبيل ذلك تذكر التوراة أن موسى احتقر نفسه وقدرته على الذهاب إلى فرعون، فيقول مخاطباً ربه: **(من أنا حتى أذهب إلى فرعون وحتى أخرج بني إسرائيل من مصر؟)**[٣]، وفي موضع آخر يقول: **(إستمع أيها السيد: لست أنا صاحب كلام منذ أمس ولا أوَّل من أمس حين كلمت عبدك بل أنا ثقيلُ الفم واللسان)**[٤]، ونرى من خلال هذه النصوص أن التوراة تجعل موسى رسولاً متهرباً من المسؤولية، رافضاً أمْرَ ربِّه، حتى يستحق بذلك غضب الله وسخطه[٥]، ولا نجد في نصوص التوراة ذكراً للمسائل التي سألها موسى ربَّه كما جاء في القرآن الكريم، بل تنص التوراة على أن موسى استخدم عقدة اللسان التي كان يعاني منها كحجة في رفض قبول الرسالة، وتنص التوراة كذلك على أن الله أَيَّدَ موسى بأخيه هارون دون طلب مِن موسى كما جاء في القرآن، وتذكر التوراة كذلك أن موسى بعد ما قبل الرسالة عاد إلى مدين ليستأذن حماه يثرون بالرجوع إلى مصر[٦]، بينما لا نجد إشارةً إلى رجوع موسى إلى مدين بعد تكليفه بالرسالة، أو استئذانه من يثرون ليعود إلى أرض مصر.

---

(١) الأعراف(١٤٣).

(٢) الخروج (٤/٩).

(٣) الخروج (٣/١١).

(٤) الخروج (٤/١٠).

(٥) البار، الله جل جلاله، ص١٩٧، مرجع سابق.

(٦) الخروج (٤/١٨).

تمنن الله على موسى

بعدما صدر الأمرُ الإلهي لموسى بالبدء بالدعوة، وأيَّده الله بالمعجزات البيِّنات لتكون دليل صدقٍ على رسالته، وأعطاه مسائله التي سألها إيَّاه، ذكَّر الله موسى بنعمه عليه وفضله منذ منشئه وحتى تكليفه بالرسالة، ونقرأ هذا التمنن في سورة طه عند قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ * إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ * أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي * إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ * وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي** ﴾[1]، وفي هذه الآيات ذكَّر الله موسى بنعمه الكثيرة، من شرح الصدر، وتيسير الأمر، وحل عقدة لسانه، وتأييده بأخيه هارون، وقبل ذلك تخليصه من بطش فرعون عندما ألقى محبة موسى في قلب زوجة فرعون، وبعد ذلك انجائه مَرَّةً أخرى من بطش فرعون عندما أراد قتله لقتل القبطي وغيرها، وفي التوراة لا نجدُ ذكراً لهذا التمنن الذي ذكره الله في كتابه العزيز، وبدل ذلك نجد جدالاً طويلاً صوَّرته التوراة بين الله ونبيه موسى انتهى بقبول موسى حمل الرسالة[2].

مخاوف موسى عند التكليف بالرسالة

يذكر القرآن وكذلك التوراة مخاوف موسى عند تكليفه بالرسالة، فكلٌ منهما ذكر خوف موسى من التكذيب، والذي يتوقعه موسى من فرعون وقومه، قال تعالى على لسان موسى: ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ** ﴾[3]، وفي التوراة قال: **(هاهم لا يصدقونني ولا يسمعون لقولي بل يقولون لم يظهر لك الرب)**[4]، ويذكر الكتابان خوف موسى وخشيته من

---

(١) طه (٣٦-٤١).
(٢) الخروج (الإصحاح الثالث والرابع).
(٣)الشعراء (١٢).
(٤) الخروج (٤/١).

عقدة لسانه، ﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى ﴾ [١]، وفي التــوراة: **(بــل أنــا ثقيــل الفــم واللسان)** [٢]، ويذكر القرآن تخوفاً لم تذكره التوراة، وقد أشــار موســى إلــى هــذا التخــوُّف قائلاً: ﴿وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴾[٣]، وهذا التخوف مِنَ العقوبة التي قد تــصل إلــى القتل، لم تذكره التوراة، فقد طمأن الله موسى أن جميع القوم الذين كانوا يطلبونه لقتله قد مــاتوا جميعاً وكان ذلك وهو في أرض مدين[٤]، وهكذا نلحظ الاختلاف الواضح بين قصة موسى مــع فرعون من لحظة ولادته حتى لحظةِ تكليفه بالرسالة بين القرآن والتوراة، وهــذه الاختلافــات بعضها جوهري يتعلق بالعقيدة وحقيقة الإله وصفات رسول الله موسى، ومنها ما هــو ثــانوي يتعلق بتفاصيل القصة ومجرياتها.

---

(١) الشعراء (١٣).

(٢) الخروج (١٠/٤).

(٣) الشعراء (١٤).

(٤) الخروج (١٩/٤).

الفصل الثالث

مرحلة الدعوة ومواجهة فرعون

الفصل الثالث

مرحلة الدعوة ومواجهة فرعون

في هذا الفصل أُقدِّم عرضاً للمرحلة الدعوية العملية في قصة موسى مع فرعون، حيث أُقدِّم في المبحث الأوّل عرضاً لأحداث هذه المرحلة في القرآن الكريم مبيناً أهم المشاهد التـــي ذكرها القرآن الكريم، ثم أبين في المبحث الثاني مشاهد هذه المرحلة كما بينتها نصوص التوراة، ثم أُقدِّم في المبحث الثالث عرضاً لأوجه الاتفاق والاختلاف بين القرآن والتوراة عند الحـــديث عن مرحلة الدعوة في قصة موسى مع فرعون، مشيراً إلى أنني سأتناول في هذا الفصل قـــصة موسى مع فرعون من بداية عودته من أرض مدين إلى مصر مروراً بالأحداث التي جرت مع موسى أثناء دعوة فرعون وقومه، وسأقف عند نقطة خروج بني إســـرائيل مـــن أرض مـــصر لأتحدث عنها في الفصل الرابع من هذه الرسالة إن شاء الله.

المبحث الأول: موسى ودعوة فرعون في كتاب الله

لا يخفى على أحد أن مهمة موسى في هذه المرحلة كانت من أشق المهام فـــي تـــاريخ البشرية، فهو يقف أمام طاغيةٍ متجبر ادَّعى الألوهية والربوبية من دون الله، بالإضافة إلـــى أن فرعون ما زال يطلبه لقتله رجلاً من رجاله، فهو يقف أمام عدوٍ مباشرٍ له، وفي نفـــس الوقـــت استعبد فرعون قوم موسى حتى مردوا على الذل وألفوا الاستعباد[1]، فقد كانت مهمة مضاعفةً، شقِّها الأوّل يتعلق بفرعون نفسه، وما علق في نفسه من أفكارٍ ومعتقداتٍ وتسلط على الآخرين، وشقها الثاني يتعلق بمن استعبدهم فرعون، ويشار إلى أن أحداث المواجهة مع فرعون ذكـــرت في السور التالية: الأعراف وطه والشعراء والقصص ويونس وغافر والزخـــرف والدخـــــان والنازعـــات[2]، وسأقدِّم عرضـــاً لأحداث هذه المرحلة كما جاءت في كتاب الله عز وجل.

---

(١) العدوي، محمد أحمد، دعوة الرسل إلى الله تعالى، ص١٧٦، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٩.
(٢) عباس، القصص القرآني، ص٢٢٧، مرجع سابق.

المطلب الأوّل: اللقاء الأوّل وعرض الرسالة

إنطلق موسى بعد أن كُلِّف بالرسالة قاصداً فرعون في محطته الأولى، فوقف أمامه ليعرِّفه بدعوته، ويذكر مطالبه، فأخبر فرعون أنه رسولٌ من رب العالمين إليه وإلى قومه، وبيَّن له الغاية التي جاء من أجلها، وهي إخراج الناس من الظلمات إلى النور، وتحريرهم من عبودية غير الله، ورفع الظلم والحرج عن بني إسرائيل، وإخراجهم مما هم فيه من الذل والاستعباد، ونقرأ ذلك في قوله تعالى ﴿ **وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ * حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ قَدۡ جِئۡتُكُم بِبَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَرۡسِلۡ مَعِيَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ** ﴾[١]، ونلحظ أن أوّل شيءٍ قاله موسى لفرعون **(إني رسول من رب العالمين)**، وبذلك طعنه فيما كان يدعيه ويحرص عليه، وبيَّن له شعاره الجامع لكل ما تطمح إليه نفسه ونفوس المضطهدين المستعبدين من التحرر والخلاص، والشعور بالأمن والكرامة[٢]، ومن هنا نرى الشجاعة ورباطة الجأش في شخصية موسى، فقد طعن في دعوى فرعون أنه الإله المستحق للعبادة، وطلب منه أن يطلق بني إسرائيل من عبوديته، وهو ما لم يجرؤ على قوله أحدٌ لفرعون من قبل رغم أنه استعبد الآلاف من الإسرائيليين، وقد استطاع موسى بتوفيق الله استخدام عنصري الترغيب والترهيب بعد أن وضَّح معالم دعوته، فالترغيب يشير إليه قوله تعالى ﴿ **وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ** ﴾[٣]، والترهيب في قوله: ﴿ **إِنَّا قَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡنَآ أَنَّ ٱلۡعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ** ﴾ [4]، وفي ذلك لفتةٌ قرآنيةٌ حكيمةٌ تعلُّم الدعاة كيف يخاطبون من المدعو أقطار نفسه كلها، يحاولون الدخول إليه من بوابة البشارة وبوابة النذارة معاً، وإذا كان لا بدَّ من البشارة والنذارة، فلتكن البشارة براعة الاستهلال تغليباً لمعنى التفاؤل، مهما كان المدعو عالياً من المسرفين[٥].

---

(١) الأعراف (١٠٤ – ١٠٥).
(٢) فوده، عبد الرحيم، قصة بني إسرائيل من معاني القرآن، ص٤٠، الدار القومية للطباعة والنشر.
(٣) طه (٤٧).
(٤) طه (٤٨).
(٥) عماره، فقه الدعوة من قصة موسى عليه السلام، ص١٦٣، مرجع سابق.

المطلب الثاني: رد فرعون على موسى

إستغرب فرعون كلام موسى ربيبه السابق، ولكنه في بادئ الأمر لم يتجه إلى مجادلـــة موسى في أمر الألوهية والربوبية، وإنما شرع يمنُّ عليه ويبيِّن له فضله عليه في صباه، وذلك بأنه تربى في بيته، وما ذلك إلاَّ ليقطع على موسى كلامه الذي أصاب منه ما أصاب، ﴿ **قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ** ﴾[1]، وهذا يقتضي أن يكون موسى وفيًّا له، بعيداً عن كل ما يغيظه، ثم ذكَّره بما اقترفه من قتل الرجل الفرعوني، وأن من ارتكب جريمة قتـــلٍ كان آثماً بعيداً عن رحمة ربه وليس جديراً به أن يدعي حمل رسالته[2]، حيث قال له: ﴿ **وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ** ﴾[3]، فشرع موسى يرد التُّهم عن نفسه قائلاً: ﴿ **وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ** ﴾[4]، أي أتمُنُّ عليَّ بتربيتي وليداً في قصرك محتسبها عليَّ نعمةً؟ أليس منشؤها ظلمك واستعبادك لبني إسرائيل؟ فإن كنت أسديت إليَّ نعمةً فقد لاقـــى قومي منك الذل والهوان، فإني أتألم لآلامهم، وأشفق لحالهم[5]، وبعـــد هـــذا الجـــواب الملجـــم لفرعون، أخذ موسى يدحض التهمة الثانية التي وجهت إليه بقتله القبطي﴿ **قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ** ﴾[6]، فأفهمه أنه عندما قتل القطبي لم يكن كافراً كما زعم، وإنما كان ضالاً لم يوحَ إليه شيء، وإنما كان ذلك قبل النبوَّة[7]، وكان ذلك بغير قصدٍ ودون إصرار وبعد ذلك فررت مـــنكم لمَّا خفتكم فأكرمني ربي حينما وهبني علماً، ومَنَّ عليَّ بالرسالة[8] ﴿ **فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ** ﴾[9]، ومن هنا نستوحي طعنةً أُخـــرى لفرعـــون، وحجةً داحضةً عليه، وهذه الطعنةُ مفادها كيف تنكر يا فرعونُ عليَّ قتل رجل بغير قصدٍ وبغير

---

(١) الشعراء (١٨).
(٢) طبارة، مع الأنبياء في القرآن الكريم، ص٢٢٧، مرجع سابق، وانظر حمدي بن محمد نور الدين آل نوفل، قـــصص القرآن، ص٢٥١، مكتبة الصفا، ط١، ٢٠٠٢م.
(٣) الشعراء (١٩).
(٤) الشعراء (٢٢).
(٥) جاد المولي، قصص القرآن، ص١٢٠، مرجع سابق.
(٦) الشعراء (٢٠).
(٧) أحمد بهجت، أنبياء الله، ص٢٠٢، دار الشروق، ط٤، ١٩٧٧م.
(٨) عباس، القصص القرآني، ص٢٤٤، مرجع سابق.
(٩) الشعراء (٢١).

إصرار، وأنت الذي أمرت بتقتيل أبناء الإسرائيليين من غير ذنب ولا جُرْمٍ اقترفوه وأنت قاصدٌ إلى ذلك الفعل؟ فأيُّ الفريقين أحق بإلصاق تهمة القتل العمد والتسربل بصفة الإجرام والمجرمين؟ أنا أم أنت؟؟؟ وانظر كيف كان أدب موسى في دفاعه عن نفسه، فهو لم ينكر وقوع فعلته والتهمة، وإنما أنكر دوافعها، فهو لم يقتل المصري إلاَّ عن جهلٍ وغفلة كانت منه[١].

المطلب الثالث: محاورةٌ في أمر الربوبية

بعد ما ردَّ موسى على فرعون بقوةٍ وبيانٍ، وأخبره أنه رسول رب العالمين، شعر فرعون بأنه طعن في صميم كبريائه، فقوله **(رب العالمين)** يعني لفرعون أنه مثل غيره مِمَّن يحكمهم ويظلمهم، وأنه يخضع كما يخضعون لقوةٍ أعلى من قوته وقوتهم، وإرادة أمضى من إرادته وإرادتهم، وأنه لذلك يجب عليه أن يشعر بأنه مُسَوَّدٌ لا معبود[٢]، فحينئذ إستغلق باب النقاش أمام فرعون عن طريق التمنُّن وإلصاق التهم بموسى، فعمد إلى طريق آخر واهماً أنَّ به نصفته، وفيه سلامته، وهو مجادلة موسى في أمر الربوبية[٣]، فشرع يجادل موسى في ربوبية الله ويسأله مستهزئاً متكبراً وما رب العالمين؟؟ فأجابه موسى قائلاً: ربي رب السماوات والأرض، ربك وربُّ آبائك الأوّليين، فتميَّز فرعون غيظاً، وراح يثير الحقد والضغينة في نفوس من حوله على موسى، ويبعث دهشتهم وعجبهم واستنكارهم قائلاً: أيها القوم ألا تسمعون؟ موسى يدعي أن ربَّه، رب السماوات والأرض، ربنا ورب آبائنا الأقدمين، وها أنا أسأله عن حقيقة ربه فيذكرني بأفعاله[٤]، فانطلق لسان موسى قائلاً: ﴿ **قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ** ﴾[٥]، فاستمر فرعون في مجادلته قائلاً من هذا الرب الذي أرسلك إليّ لتدعوني إليه؟ فأجابه موسى بالصفة المنشئة المبدعة المدبرة من صفات الله، فهو الذي أبدع كل شيءٍ، وأعطاه ما يليقُ به من الخواص والمزايا وهداه لمنافعها ومصالحها[٦]، وعندما توقف فرعون ليسأله عن

---

(١) الخطيب، عبد الكريم، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص١٣٣، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٧٥م.

(٢) فوده، قصة بني إسرائيل، ص٤٢، مرجع سابق.

(٣) جاد المولى، قصص القرآن، ص١٢٠، بتصرف، مرجع سابق.

(٤) جاد المولي، قصص القرآن، ص١٢١، بتصرف، مرجع سابق.

(٥) الشعراء (٢٨).

(٦) الفتياني، الحوار القرآني، ص٧٦، مرجع سابق.

حال الأمم الماضية، أحال موسى ذلك إلى علم الله تعالى، الذي استأثر به وحده، فعلمها مكتوبٌ عند الله في اللوح المحفوظ، فهو لا يخطئ في حكمه ولا ينسى أحداً من عباده في كل زمان ومكان[(١)] ﴿ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾ [(٢)]، ثم مضى موسى يلفت نظر فرعون إلى آيات الله في الكون، فدار به مع حركة الرياح والمطر والنبات وأوصله مَرَّةً ثانيةً إلى الأرض، وهناك أفهمه أن الله خلق الإنسان من الأرض، وسيعيده إليها بالموت، ويخرجه منها بالبعث والنشور[(٣)] ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ * كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ *مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾[(٤)]، وفي قوله: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ﴾ تعريضٌ من موسى بفرعون وقومه، وذمٌ لهم، وإخبارهم بأنهم ليسوا من أولي النهى والعقول المتفكرة، لأنهم لم يلتفتوا إلى هذه الآيات الكونية الدالة على الوحدانية ولم يتدبروها[(٥)].

فرعون يلجأ إلى السخرية والتهديد

كان موسى قوي الظهر، مسدد الخطا، يستمد العون من الله العلي الكبير، وكانت إجاباته على أسئلة فرعون، شديدة الوقع على فرعون وقومه، مما جعل فرعون يتميَّز غيظـاً، فثـارت نفسه، وعجزت حجته، فلجأ إلى حيلة القوَّة والاحتيال، فترك فرعون نقض أدلة موسى لأنـه لا يملك حجةً يخاطب بها قومه، ولجأ إلى اتهام موسى بـالجنون[(٦)] ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾[(٧)]، أي أن رسولكم الذي يزعم أنه أرسل إليكم لمغلوبٌ على عقله، لأنه يقول قولا لا نعرفه ولا نفهمه، ففي ذلك الزمان لا يعرف الناس رباً سوى فرعون، فكـلام موسـى

(١) طباره، مع الأنبياء في القرآن الكريم، ص٢٢٩، مرجع سابق.
(٢) طه (٥٢).
(٣) أحمد بهجت، أنبياء الله، ص ٢٠٤، مرجع سابق.
(٤) طه (٥٣- ٥٥).
(٥) الخالدي، القصص القرآني، (٤١١/٢)، مرجع سابق.
(٦) جاد المولى، قصص القرآن، ص١٢١، بتصرف، مرجع سابق.
(٧) الشعراء (٢٧).

عندهم غير مألوف ولا معروف[١]، ونرى أن فرعون في هذا الموقف نقل القضية من ميـدانها الفكري الواسع، إلى ميدان شخصي ضيّق، فقد ترك نقض الأدلة، وتحـوّل إلـى الكـلام عـن شخصية موسى وعقليته، وأخذ يسدد إليه الشتائم ليقوم بتشويه شخصيته أمام القوم[٢]، فتجاهـل موسى اتهام فرعون له بالجنون ولم يحفل بسخريته وقال: ﴿ **رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ** ﴾[٣]، ومن هنا نلمح الأدب الرفيع الذي تحلّى به موسى في دعوته عنـد أشـدّ خصومه، فقد تعرض للسب والشّتم، ولكنه رفَّع نفسه الكريمة عن قول السوء والرد على الشتائم، وقد مضى صادحاً بالحق، مما أثار نفس فرعون، فتمرد واستعلى وهدد بالبطش والعنف، وهذه عادة الجبابرة، فإنهم إذا عورضوا بشيء وعجزوا عن الحجة اشـتغلوا بالعقوبـة[٤]، فخاطـب موسى قائلاً: ﴿ **لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَـٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ** ﴾[٥]، وما هذا التهديـد إلاّ لأن فرعون يخشى يقظة الشعب وتأثير موسى عليهم، ولأن فرعون يكره الدعاة إلى الحق لأن في ذلك تهديد لملكه وجبروته، وفيه بيان زيف دعواه بأنه هو الرب المستحق للعبـادة[٦]، وقـد عدل فرعون إلى أمر آخر بعد التهديد، فأمر ببناء صرح ليصعد به إلى السماء وهـو الوسـيلة لتصفية الحساب بينه وبين رب موسى، وأوهم القوم أن الصعود إلى السماء أمرٌ تنالــه قدرتــه، فأصدر أمره إلى وزيره هامان أن يطبخ له الآجر، ويبني له صرحاً يأخذ في السماء صعداً حتى ينالها، ويطّلع إلى إله موسى، ثم أتبع ذلك بأنه يظنُّ كذب موسى فيمـا يدعيــه[٧]، ولمّـا رأى موسى أن نفس فرعون قد ثارت واشتد غضبه، أعمل عقله واستخدم حنكته حتى يمتص غضب فرعون وغيظه، وفي نفس الوقت حتى يحرجه بين القوم، فقال له على جهة التلطُّـف ﴿ **أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ** ﴾ [8]، أي هل تستمر في عزمك أن تسجنني إن جئتك بشيء عظيم يدل على

---

(١) الطبري، تفسير الطبري، م١١،(ج١٩،٨)، مرجع سابق.

(٢) الخالدي، القصص القرآني، (٤١٧/٢)، مرجع سابق.

(٣) الشعراء (٢٨).

(٤) الفتياني، الحوار القرآني، ص٨١، مرجع سابق.

(٥) الشعراء (٢٩).

(٦) قطب، الظلال، (٢٠٣/٦)، بتصرف، مرجع سابق.

(٧) النجار، عبد الوهاب، قصص الأنبياء، ص١٨٦، مؤسسة الحلبي للطباعة والنشر.

(٨) الشعراء (٣٠).

أني مرسلٌ من رب العالمين ويدل على قدرة الرب الذي بعثني إليك؟[١]، وفي كلام موسى هــذا إحراجٌ لفرعون من جهتين اثنتين، أولاهما: إمَّا أن يرفض فرعون الــسماح لموســى بعــرض البرهان الذي معه ويضعه في السجن، وبهذا يفتضحُ أمام قومه،وثانيتهما: أن يسمح له بعــرض برهانه فيطَّلع القوم على البرهان ويعرفون الحق، فكانت هذه الخطوة خطوةً ذكيَّة من موسى في مواجهة فرعون[٢]، فأضطر فرعون للموافقة لما ظنَّ أن ذلك يخرجه من الإجابة علــى أســئلة موسى المحرجةِ له، وكانت تــلك هي حكمــةُ الله وإرادتــه، فأجــرى معجزةً على يــد نبيــه موسى تحاكي ذلك النوع الذي برع فيه القوم، حتى يفرغوا كل علومهم، ويستنفذوا كل جهودهم، وعندما لا يستطيعون مجاراة تلك المعجزات يكون ذلك أدعى لعجزهم وإقامة الحجة علــيهم[٣]، ومما يدلُّ على أن القوم كانوا بارعين في مجال السحر ما قاله الملأ لفرعون بعد أن ألقى موسى عصاه وشاورهم فرعون في الأمر، ﴿ **قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ * يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٖ** ﴾[٤] وكلمة "سحَّار" صيغة مبالغة من "ساحر" تدل دلالة واضحة أن في ذلك الزمان والمكان كان هناك من لديه الخبرة الواسعة والعلم الدقيق في هذا الفن، وهو ما يشير إلى تقدم صنعة السحر في ذلك الوقت بين القوم، فقدَّم موسى الآيتين اللتين أُوتيهما في تلــك الليلــة المباركة في وادي طوى في سيناء، العصا واليد البيضاء، ﴿ **فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ * وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ** ﴾[٥]، ففوجئ فرعون بما رأى، كما فوجئ الملأ من حوله بما يرونه، عصا خشبيــة تتحــول إلى ثعبان حي مبين، ويدُ موسى السمراء عندما يخرجها من جيبه تخرج بيضاء ناصعة البياض[٦]، ومع هذا كله أراد فرعون تعمية الأنظار، فبادر بشقاوته إلى التكذيب والعناد، فما كان منه إلاَّ أن اتهم موسى بالسحر أولاً ﴿ **قَالَ لِلۡمَلَإِ حَوۡلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ** ﴾[٧]، أي قال لحاشيته من القادة وأشراف قومه الذين تجمَّعوا حوله إنَّ هذا الرجــل

---

(١)الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، التفسير الكبير، م١٢،(ج٤،ص١١٣)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.

(٢)الخالدي، القصص القرآني، (٢ / ٤٢١)، مرجع سابق.

(٣)جاد المولى، قصص القرآن، ص١٢١، مرجع سابق.

(٤) الشعراء (٣٦- ٣٧).

(٥) الشعراء (٣٢-٣٣).

(٦)الخالدي، القصص القرآني، (٤٢١/٢)، مرجع سابق.

(٧) الشعراء (٣٥).

لبارع في السحر[1]، ثم أخذ ينفِّرُ القوم من موسى لئلا يصدقوا قوله وذلك باتهامه أنه يريــد أن يخرجهم من أرضهم بما يلقيه بينهم من العداوات، فيفَّرق جمعهم عن طريق سحره وما يدَّعيــه من النبوَّة[2]، ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾[3]، ونرى هنــا أن فرعون لمَّا هاله أمرُ موسى وما جاء به، وشعر بضعفه وهوانه، لجأ إلى ملاطفة قومه واستمالة قلوبهم وعواطفهم، ممَّا دَل على أنه قد خارت قواه، فحط عن منكبيه كبرياء الربوبية، وارتعدت فرائصه حتى جعل نفسه مأموراً بعد أن كان يدعي كونه آمِراً، بل إلهاً قادراً، وليس هذا فحسب بل أراد فرعون شيئاً أبعد من ذلك، أراد بخبثه أن يضمن انحياز الملأ المتنفِّــذين لــه، وعــدم تفكيرهم بالسير مع موسى، ولو ثبت لهم أنَّ الحق معه، فهم مهدَّدون بــالخطرمن قبــل دعــوة موسى، ومراكزهم ومناصبهم في خطر مباشر، فإن سكتوا عن موسى وتركوه يتصل بالنــاس ويدعوهم إلى دينه فسوف يقضي عليهم، ويفوِّت عليهم مصالحهم ومكاسبهم[4]، وهذه الملاطفــة المصطنعة تظهر تنازل فرعون مرغماً وتحت ضغط الحق الزاحف، فهو مــن اليــوم رهــن إشارتهم وتابع لرأيهم[5]، وذلك بعد أن كان يردِّدَ على مسامعهم فيقــول لهــم: ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾[6]. أقول: وقد لجأ فرعون إلى هذه الملاطفــة اســتمالة لعقول كبراء القوم بعد أن سُدَّت أمامه أبواب الحيل والمكائد تجاه موسى ودعوته، فشاور قومــه لا حباً في رأيهم، وإنما بحثاً عن مخرج له من أزمته، وقد وجد عندهم ضالته، فقد صدَّقوه بمــا يقول لا حباً فيه، وإنما طمعاً في الجاه والمال والسلطان، وخوفاً من البطش والتنكيل، وقد صدَّق القوم فرعون ونزلوا على رغبته، ويدلُّ على ذلك قولهم لموسى وهارون ﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾[7].

---

(١) الزحيلي، التفسير المنير، م١١ (ج١٩، ١٤٤)، مرجع سابق.

(٢) الرازي، التفسير الكبير، م١٢ (ج٢٣، ١١٤)، مرجع سابق.

(٣) الشعراء (٣٥).

(٤) الخالدي، القصص القرآني، (٤٢٣/٣)، بتصرف، مرجع سابق.

(٥) عمارة، فقه الدعوة من قصة موسى، ص٥٠، مرجع سابق.

(٦) غافر (٢٩).

(٧) يونس (٧٨).

وزيادة على ذلك أشاروا على فرعون إرجاء موسى وهارون حتى يتم إحضار كبار السحرة في مملكة فرعون حتى يبارزوا موسى ويغلبوه ﴿ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ * يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٖ ﴾[1]، وكان اتهام موسى بالسحر من شقاوة فرعون وكثرة جهله وقلة عقله، وقد طلب فرعون من موسى أن يواعده إلى وقتٍ معلوم ومكان معلوم، وكان هذا من مقاصد موسى، وهو أن يظهر آيات الله وحججه وبراهينه جهرةً بحضرة الناس جميعاً[2]، وهذا ما لم يكن متوافراً لديه من قبل، فاتفق الطرفان على ذلك، ﴿ وَلَقَدۡ أَرَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ * قَالَ أَجِئۡتَنَا لِتُخۡرِجَنَا مِنۡ أَرۡضِنَا بِسِحۡرِكَ يَٰمُوسَىٰ * فَلَنَأۡتِيَنَّكَ بِسِحۡرٖ مِّثۡلِهِۦ فَٱجۡعَلۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكَ مَوۡعِدٗا لَّا نُخۡلِفُهُۥ نَحۡنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانٗا سُوٗى * قَالَ مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحٗى ﴾[3]، فحدَّد لهم موسى موعداً هو يوم الزينة، وقد ذكر البعض أنه أحد أعيادهم التي يجتمعون فيها، وقيل هو يوم عاشوراء أو يوم النيروز أو يوم شم النسيم أو يوم وفاء النيل [4]، وقد اختار موسى موعداً دقيقاً وهو وقت الضحى من يوم الزينة، أي أوّل النهار في وقت اشتداد الشمس ليكون الحق أظهر وأجلى، ولم يطلب ذلك ليلاً، لئلا يختلط الأمرُ على الناس، وحتى يكون ذلك أدعى لكثرة الحضور والإقبال[5].

المطلب الرابع: إجتماع فرعون بالسحرة

أرسل فرعون إلى جميع السحرة المهرة في مملكته فجاءوا، فاجتمع وخطب بهم، ووعدهم ومنَّاهم إن هم تغلَّبوا على موسى بمكافأة جزلة وأن يقربهم منه، وكان السحرة قد استغلوا حاجة فرعون إليهم في ذلك الوقت فقالوا له: ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ

---

(١) الشعراء (٣٦ –٣٧).

(٢) ابن كثير، قصص الأنبياء، ص٣٠٨، مرجع سابق.

(٣) طه (٥٦– ٥٩).

(٤) انظر البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، م٢(ج٤/ ص٢٥)، مؤسسة شعبان، بيروت، وابن الملقن، سراج الدين أبو جعفر عمر بن الحسن علي بن أحمد النجوى الأنصاري الشافعي، تفسير غريب القرآن، ص٢٤٦، تحقيق سمير طه، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٨٧، وأحمد بهجت، أنبياء الله، ص٢٠٩، مرجع سابق.

(٥) بيومي، قصص القرآن، ص٢٥٧، مرجع سابق.

* ﴿قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِين ﴾[1]، ومن هنا نستشعر أن فرعون كان يسخِّر الناس لخدمته وتثبيت أركان حكمه دون أجر ودون مكآفأةٍ، ولهذا تجرأ السحرة هنا فطلبوا الأجر والثواب مستغلِّين حاجته إليهم، بعدما ألفوا سُخْرَته، فأجابهم بأنه سيعطيهم الأجر الجزيل ويزيدهم فوق الأجر بتعيينهم في مناصب الدولة الحساسة والمراتب العالية، ويغدق عليهم المال والغذاء والكساء الفرعوني[2].

موسى يحذر السحرة

جاء السحرة جادِّين لغلبة موسى وقهره، فوقف عليه السلام محذراً لهم قائلاً: لا تختلقوا على الله الكذب، ولا تقولوا لما جئت به السحر، فيهلككم الله بعذاب من عنده، فتشاور السحرة فيما بينهم، وتجاذبوا أطراف الكلام ليروا رأيهم في موسى وأخيه، فقالوا: تعلمون أنَّ هذين الرجلين خبيران بصناعة السحر، وهما إنما يريدان بسحرهما أن يغلباكم ليستوليا على خيرات البلاد، ويخرجاكم من أرض مصر، وأن يذهبا بمهنتكم العظيمة "صنعة السحر"، فقد كانت سبباً لجمعهم المال والعطايا[3] ﴿فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ * قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ ﴾[4] وموقف السحرة هذا يدل على أنهم جاءوا لاهثين خلف الأموال وحباً في المنح والعطايا لا حباً في الدفاع عن فرعون وأفكاره، ولم يثنهم كلام موسى وتحذيره لهم، وكان ذلك لجهلهم بما جاء به موسى، فهم لم يشاهدوه بعيونهم وإنما حكموا عليه بحكم فرعون.

المطلب الخامس: اللِّقاء الموعود وإيمان السحرة

جاء اليوم الموعود لالتقاء السحرة بموسى، وتدفقت جماهير غفيرةٌ على ساحة العرض، وجاء السحرة مجتمعين على قلب رجل واحد، وفاوضوا موسى على أن يكون البادئ

---

(١) الأعراف (١١٣- ١١٤).
(٢) محمد أبو فارس، إن فرعون علا في الأرض، ص٥٣، مرجع سابق.
(٣) انظر الطبري، تفسير الطبري، م٩ (ج١٦/ ٦٢٢٥) بتصرف، مرجع سابق.
(٤) طه (٦٢ – ٦٣).

في الإلقاء[1]﴿ قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ﴾[2]، وجاء تخيير السحرة لموسى بابتداء الإلقاء أو تأخيره في إشارة منهم إلى موسى والحاضرين أنهم لا يبالون بما جاء به موسى، وأنهم على يقين من النصر سواء أكان موسى أوّل من يلقي أو المتأخر فـــي ذلـــك، ﴿ قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْ ﴾[3]، فطلب منهم موسى الإبتداء في الإلقاء فألقى السحرة حبالهم وعصيهم فخيِّل لموسى والحاضرين أنها حياتٌ تسعى، ويقال أنهم عمدوا إلى حبالٍ وعصى، فأودعوها الزئبـــق وغيره من الآيات التي تضطَّرب بسببها تلك الحبال والعصي اضطراباً يخيَّل للرائي أنها تسعى باختيارها، وإنما هي تتحرك بسبب تلك الآلات والمواد[4]، فعند ذلك سحروا أعينهم وأخـــافوهم وهم يقولون: ﴿ بِعِزَّةِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡغَـٰلِبُونَ ﴾[5]، ﴿ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴾[6]، أي أضمر في نفسه خوفاً ظناً منه أنها تقصده[7]، والوجس حالةٌ تحصلُ من النفس بعد الهاجس، لأن الهاجس مبتدأ التفكير ثم يكون الواجس، وهذا الواجس إنما مجبولةٌ علية النفس البشرية، وقيـــل إنما أضمر خوفاً لخاطرٍ في نفسه عندما خيِّل إليه أن عصي السحرة تحولت إلى حيَّات مـــن أن يخالج الناس شك فلا يتبعوه[8]، فأوحى الله إلى موسى أن لا تخف، إنك علـــى الحـــق، والحـــق منتصرٌ على الباطل فألقى موسى عصاه، فجعلت تلقفها، تبتلعها حية حية، ثم أخذها موسى فإذا هي عصاه في يده كما كانت، فأدرك السحرة أن هذا ليس بسحر، فهم أدرى الناس بعلوم السحر وفنونه[9]، وأيقنوا أنه لو كان ساحراً لما غلبهم، فوقعوا لله ساجدين ﴿وَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَـٰجِدِينَ *

---

(١) طبارة، الأنبياء في القرآن الكريم، ص٢٣١، بتصرف، مرجع سابق.
(٢) طه (٦٥).
(٣) طه (٦٦).
(٤) ابن كثير، قصص الأنبياء، ص٣٠٩، مرجع سابق.
(٥) الشعراء (٤٤).
(٦) طه (٦٧).
(٧) النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود، تفسير القرآن الجليل المسمىّ بمدارك التنزيـــل وحقـــائق التأويـــل، (٢٠١/٣)، المكتبة الأموية، دمشق، وانظر تعيلب، عبد المنعم أحمد، فتح الرحمن في تفسير القـــرآن، (٢١٣٥/٤)، دار الـــسلام، ط١، ١٩٩٥م، والنيسابوري، محمود بن أبي الحسن، إيجاز البيان عن معاني القرآن، (٣٥/٢)، تحقيق علـــي العبيـــد، مكتبة التوبة، ط١، ١٩٩٧م.
(٨) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل، مفردات ألفاظ القرآن، ص٥١٣، تحقيق محمد سيد الكيلاني، دار المعرفة، بيروت.
(٩) الطبري، محمد بن جرير، قصص الأنبياء، ص٢٦٢، تحقيق جمال بدران، الدار المصرية اللبنانية، ط٢، ٢٠٠٠م.

﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ * رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾[1]، وعندها غلت مراجل الحقد والضغينة في قلب فرعون، واحتدم غيظه لتلك المفاجأة التي فجأته، مستطيرة الشرر، شديدة الضرر، على حين كان يرجو من ورائها تقوية لسلطانه، وتدعيماً لبهتانه، فإذا هي عاصفة هوجاء، تقوّض ذلك العرش الذي أسس على الزور والبهتان[2]، وهنا أخذ فرعون يتهم السحرة بالتآمر مع موسى على ملّته وشعبه، وألقى باللائمة عليهم، ووصف موسى بأنه أستاذهم الذي علمهم السحر، واستهجن عليهم بكبريائه إيمانهم بموسى قبل استئذانه، ﴿ قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَ ﴾[3] وفي موضع آخر ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴾[4]، وتوعّدهم فرعون بانتقام شديدٍ وهو تقطيع الأيدي والأرجل من جانبين متخالفين زيادة في التعذيب والتصليب في جذوع النخل فهي من أقوى الأخشاب وأخشنها[5]، ﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ ﴾[6]، ويدلُّ على شدَّة وعيده لهم قوله: ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ ﴾ فقد آثر استخدام "**في**" للدلالة على إبقائهم عليها زماناً مديداً فكأنهم مستقرّون فيها أي النخل[7]، وفي هذا إشارةٌ إلى تمكينهم من المصلوبة فيه أجسادهم تمكين المظروف في ظرفه، وأراد بذلك إدخالها في أجسامهم، ودوامهم على ذلك زمناً طويلاً[8]، وهنا جاء رد السحرة الذين آمنوا بموسى ليقطع على فرعون تجبُّره ووعيده، فقد أشرق نور الحق في قلوب هؤلاء المؤمنين، فلم يزدهم التهديد إلاَّ ايماناً على ايمانهم، فقالوا له: ﴿ قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ﴾[9] فوقف فرعون عاجزاً أمام من اطمأنت قلوبهم لربها وسلَّمت أمرها إليه، فهو صاحب الأمر في الأولى

---

(١) الأعراف (١٢٠ – ١٢٢).

(٢) جاد المولى، قصص القرآن، ص١٣٢، مرجع سابق.

(٣) طه (٧٠– ٧١).

(٤) الأعراف (١٢٣).

(٥) القاسمي، محمد جمال الدين، تفسير القاسمي المسمَّى محاسن التأويل، (م٧، ج١١، ١٧٧)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، ط٢، ١٩٧٨م.

(٦) طه (٧١).

(٧) أبو السعود، تفسير أبي السعود، (٤/ ٢٩٥)، مرجع سابق.

(٨) البقاعي، نظم الدرر، (٥/٣١)، بتصرف، مرجع سابق.

(٩) طه (٧٢).

والآخرة، وهذا فرعون لا يملك إلاَّ الجزء الفاني من الحياة الدنيا، وأمَّا ربهم فيملك كــلاً مــن دنياهم وأخراهم، ويردُّون على فرعون مقولته أن عذابه الأدوم والأفظع بأن الله أعدَّ للمجــرمين الذين جحدوا آياته عذاباً لا يميت الإنسان فيستريح منه ولا ينتهي إلى حياة[1] ﴿ **إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ** ﴾[2]، ويشار إلى أن القرآن سكت عن تفصيل مصير السحرة بعد ذلك، ولم يذكر كيف تصرَّف معهم فرعون بعدما اعتصموا بإيمانهم مستقبلين التهديد والوعيد بقلب المؤمن المتعلق بربه، المستهين بحياة الأرض كلِّها وما فيها ومن فيها[3].

المطلب السادس: المؤامرة على موسى وقومه

بعد ما كان من إيمان السحرة وخذلان فرعون وقومه، وانتصار الحق واندحار الباطل، لم يزد فرعون وقومه إلاَّ كفراً وعناداً وبعداً عن الحق، فأخذ الأمراء والكبراء بتحريض فرعون على أذيَّة موسى وقومه[4]، ﴿ **وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ** ﴾[5]، فتعالى فرعون في بطشه وعنفوانه، واستطار شــرره وبهتانــه، فقــرَّ قراره، وأصدر أوامره إلى جنده وعُمَّاله ﴿ **قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ** ﴾[6]، والظاهر من السياق أن الأمر بقتل بني إسرائيل واستحياء نسائهم كان بعد بعثة موسى وهو خلاف التقتيل والاستحياء اللَّذين تزامنا مع ولادة موسى، ثم أخذ فرعون ينزل بهــم صنوف العذاب وألوان الأذى فضجُّوا لاجئين إلى موسى ليحميهم من أذى الكــافر الجبَّــار[7]، ﴿ **قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَا** ﴾[8]، فسكَّن موسى مــن ثــورتهم، وهــدأ روعهم ومنَّاهم الخير والنجاة، قائلاً لهم: ﴿ **عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي**

---

(١) الحمصي، أحمد فايز، قصص الرحمن في ظلال القرآن،(١/١٣٠) وما بعــدها، مؤســسة الرســالة، ط١، ١٩٩٥، بتصرف.
(٢) طه (٧٤).
(٣) الخالدي، القصص القرآني، (٢/ ٤٧٩)، بتصرف، مرجع سابق.
(٤) ابن كثير، قصص الأنبياء، ص٢٩٠، مرجع سابق.
(٥) الأعراف (١٢٧).
(٦) الأعراف (١٢٧).
(٧) جاد المولي، قصص القرآن، ص١٣٣، مرجع سابق.
(٨) الأعراف (١٢٩).

﴿ ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾[1]، واستمر موسى في دعوته يمهد لقومه سبيل النجاة، ويتجه إلى ربه بقلب ثابتٍ، وإيمان موثوق، واطمئنان موفور، أما فرعون فقد خلص إلى ملأ من قومه يأتمرون بموسى ليقتلوه، فذلك أقرب طريقٍ أمامهم، وأدنى السبل لبقاء ملكهم، وذلك بعد أن أعيتهم الحيل، وسدَّت أمامهم منافذ الخلاص[2]، ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴾[3]، ومن خلال كلام فرعون هذا تبرز صفةٌ أُخرى من صفات ذلك الطاغية، وهي صفة الخوف، فكان عرض فرعون من خلال كلامه (**ذروني أقتل موسى**) إخفاء خوفه لأن أحداً ما لم يمنع فرعون أصلاً من قتل موسى، فهو صاحب السلطة المطلقة والكلمة الأولى، وكان فرعون قد أستيقن أن موسى نبي وما جاء به ليس بسحر، ولكنه خاف إن همَّ بقتله أن يُعَجِّل له بالعقوبة، أو أن لا يُسلَّط عليه فيفتضح أمره[4]،

وما منعه من الإيمان سوى الكفر والعناد، وأراد فرعون كذلك أن يستميل قلوب من معه من الملأ والحاشية بتلك المشورة الخطيرة وهي قتل موسى، وأراد أن يشركهم فيها دون الإنفراد بالرأي حتى لا يعاب عليه رأيه في حالة وقوع نتائج سلبيةً نتيجةً لعملية القتل، ومن الممكن أيضاً أنه قال هذا لأنه كان في خاصَّة فرعون من لا يؤيد قتل موسى، لأن قتله لا ينهي الإشكال، فقد يوحي هذا للشعب بتقديسه واعتباره شهيداً، والحماسة الشعورية له وللدِّين الذي جاء به، وخاصةً بعد إيمان السحرة في مشهد شعبي جامعٍ وإعلانهم سبب إسلامهم[5]، وقد عللَّ فرعون إرادته قتل موسى بحبه لمصلحة قومه وشعبه، وخوفاً من أن يبدِّل موسى دين قومه بعد أن يغلبهم فيدينون له ويتركون دين الآباء والأجداد، أو أن يظهر في الأرض الفساد بالقتل

---

(١) الأعراف (١٢٩).

(٢) جاد المولي، قصص القرآن، ص١٣٤، مرجع سابق.

(٣) غافر (٢٦).

(٤) الحاوي، محمد بن عمر نووي، مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، (٣٤٦/٢)، ضبط محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٧م.

(٥) ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد، زاد المسير في علم التفسير، (٧٦/٧)، تخريج أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٧، والحمصي، قصص القرآن في ظلال القرآن، ص١٣٩، مرجع سابق.

والفتن[1]، وكأنه أراد أن يوحي إلى شعبه أن موسى بدينه الجديد سيقسم الشعب إلى قسمين بين مؤيد ومعارض، ونتيجة لهذا الإنقسام سيقع القتل وتنزل الفتن بالشعب فضلاً عن صدهم عن دين آبائهم، وهو يريد أن يريحهم من هذا الشر كله بقتله، أمَّا موسى فإنه لا يزيد بعد أن سمع ما سمع من تهديد فرعون له بقتله على أن يقول مستجيراً بربه ﴿ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴾[2]، وهذه استجارة من موسى والتجاء لله تعالى، من أن يسطو فرعون وغيره عليه بسوء، وفي هذا إشعارٌ إلى الثقة العالية التي نجدها في نفس موسى تجاه ربِّه ودينه[3].

المطلب السابع: مُؤمن آل فرعون

بعدما كان من اجتماع الملأ والتآمر على قتل موسى، وبعد أن برَّر لهم فرعون ما سيقدم عليه من قتل موسى، ذكر القرآن لنا خبر رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه، هذا الرجل دافع عن موسى دفاعاً مجيداً، مبيناً لهم أنه يجب عليهم التريُّث في الحكم على موسى بالقتل، وبالأخص أنه جاءهم بالمعجزات الدالة على صدقه[4]، وقد سكت القرآن عن اسم هذا الرجل فهو من مبهماته، ولم تذكر السنة كذلك ما يُبيِّن لنا اسمه، وقد بيَّن القران أن هذا الرجل من آل فرعون وليس من الإسرائيليين، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ ﴾[5]، فقد نصَّ القرآن على أنه من قوم فرعون، ويذكر البعض أن اسمه "حزقيل" وقيل: اسمه "شمعون" وقيل: "سمعان" وقيل: "خير" وقيل: "حبيب"[6]، وقد اختصت سورة غافر

---

(١) الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم، تفسير الخازن، المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، م٤ (ج٦/ ٧٨)، دار الفكر، بيروت، والجزائري، أبو بكر جابر، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، (٤/ ٥٢٧)، دار الخير، ط ٢، ١٤١٩هـ.

(٢) غافر (٢٧).

(٣) إبن كثير، قصص الأنبياء، ص٢٩١، مرجع سابق.

(٤) كشك، عبد الحميد، المستكبرون والمستضعفون في القرآن الكريم،ص٦٤، دار المختار الإسلامي، مصر.

(٥) غافر (٢٨).

(٦) البغوي، معالم التنزيل، (٣/٣٧٨)، مرجع سابق، وابن كثير، البداية والنهاية، م١ (ج١/٣٢)، مرجع سابق.

بذكر قصته، ولعلَّها سُمِّيت بسورة "المؤمن" تكريماً له، وإشادةً بموقفه، ودعوة المؤمنين لاتباعه والإقتداء به في دعوته[1].

دفاع الرجل المؤمن عن موسى

لمَّا كان الحق لا يعدم نصيراً، قام هذا الرجل يدافع عن موسى، مبيناً لهم دوافعه العقلانية لرفض فكرة قتل موسى، وقد عرضها المؤمن بطريقة تبعد عنه الشبهة، وفي نفس الوقت تقنع الحاضرين بعدم جدوى هذه الفكرة، وأوَّل هذه الدوافع التي كانت على هيئة استفهام إنكاري لماذا يتم قتل رجل يقول ربي الله؟ وما الفائدة من ذلك؟؟ خصوصاً أنه قد جاءهم بالآيات الدالة على صدقه، وعلى فرض أنه كاذبٌ فيما يقول ما نالهم منه ضرر، ولا يحملون شيئاً من إثمه، وإذا كان صادقاً أصابهم بعض الوعيد الذي توعدهم به[2]، ﴿ **وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ** ﴾[3]، وحتى يبعد الرجلُ الشبهة عن نفسه قدَّم احتمال الكذب ثم أتبعه على سبيل الافتراض احتمال كون موسى صادقاً، محذراً إياهم ومخوفاً من ارتكاب جريمة قتل بحقه لئلا يقع بهم العذاب ولو على سبيل الاحتمال، ويشير المؤمن من خلال حديثه إلى المعجزات الواضحات التي جاء بها موسى مذكراً إياهم بها، وذلك حتى لا تتغافل نفوسهم عنها، ويرجع إلى أذهانهم الهزيمة التي لحقت بهم يوم الزينة علَّهم يراجعون نفوسهم فيما يخططون له، محذراً إياهم من هزيمة أُخرى قد تلحق بهم إذا أرادوا إيذاء موسى، وقد خاطب الرجل المؤمن القوم بصيغة الجمع في قوله ﴿ **أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً** ﴾ مع أن حقيقة من أراد القتل هو فرعون، وإنما شاورهم في الأمر إشاركاً لهم معه في الجريمة وتحمل المسؤولية، وأراد المؤمن من خلال المخاطبة بصيغة الجمع أن يشعرهم أنهم إذا وافقوا على الجريمة فهم شركاءُ فيها، وهم قتلة مثل فرعون، وهذا من باب تخويفهم مما هم مقدمون عليه، علَّهم يتحركون لرفض فكرة قتل

---

(١) الخالدي، مع قصص السابقين، (٥/ ٩٩)، مرجع سابق.

(٢) علي فكري، أحسن القصص، (٢/٨٥)، دار الكتب العلمية، بيروت ط٧، ١٩٧٩م.

(٣) غافر (٢٨).

موسى[1]، وقد فوجئ فرعون بموقف الرجل المؤمن، وعجب كيف يجرؤ أحد آلِه على مخالفته، ورد دعوته، وكيف يشيرُ عليه بغير ما يريد، وكيف يخرج على اللعبة الإستشارية الفرعونية[2]، فردَّ فرعون قاطعاً عليـه اقتراحـه ﴿ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾[3].

أقول: ومن هنا تتضح لنا فكرتان من خلال المشهد الأوّل الذي دافع فيه الرجل المـؤمن عـن موسى، الأولى: أن بيت فرعون كان مخترقاً من الداخل فقد استطاع موسى أن يوصل رسـالته إلى صميم بيت فرعون، وبين المقربين إليه، فهذا الرجل من آله يكتم إيمانه بدعوة موسى، هذا بالإضافة إلى زوجة فرعون المؤمنة الصابرة المحتسبة والتي كانت أقرب المقربين إليه والتـي أعلنت إيمانها بموسى ودعوته، والفكرة الثانية: هي حقيقة تلك الإستشارة التي أوهم فرعون بها من حضر مجلسه من الكبراء والزعماء، فقد كانت إستشارة زائفةً كشفت حقيقتها عندما قـاطع فرعون الرجل المؤمن في عرض أفكاره قائلاً له: ﴿مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾[4]، فهذه هي حقيقةُ فرعون المستبد بآرائه، والذي يصادر عقول الناس وأفهامهم، ويريدُ أن تذوب جميع العقول في عقله، وأن تتلاشى الآراء عندما يقول برأي ما، بل يجب على تلـك العقول أن تلغي تفكيرها وتهجر أي رأيٍ آخر لها، وتنصاع لأمره فكل ما يصدر منه في زعمه هو الحق، فهو مجردٌ من كل نقص، فلا ينطقُ إلاّ حقاً ولا يقول إلاّ صدقاً[5]، ثم عـاد الرجـل المؤمن إلى ساحة المناظرة والمدافعة عن موسى من جديد محذراً الملأ بالجملة من أن يصيبهم العذاب مثل ما أصاب الذين من قبلهم من الأمم السابقة، وذكرّهم بنعمة الله عليهم من العلوّ فـي الأرض والتملُّك والرياسة، وما عليهم إلاَّ أن يراعوا هذه النعمة ويحفظوها من الزوال بشكر الله وتصديق رسوله، وعليهم أن يحذروا نقمة الله إن هم كذبوا رسله، فلا يستطيع أحـدُ أن يغنـي عنهم من الله شيئاً[6]، ﴿يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن

---

(١) الخالدي، مع قصص السابقين، (٥/ ١١٢)، مرجع سابق.

(٢) الخالدي، صلاح عبد الفتاح، التفسير الموضوعي بين النظريـة والتطبيـق، ص٢٣١، دار النفـائس، الأردن، ط١، ١٩٩٧.

(٣) غافر (٢٩).

(٤) غافر (٢٤)

(٥) محمد أبو فارس، إن فرعون علا في الأرض، ص٧٢، مرجع سابق.

(٦) حوى، الأساس، (٩/٤٩٥٧)، مرجع سابق.

جَآءَنَا ﴾[1]، قال لهم محذراً: ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ﴾[2]، ونجد هنا أن الرجل المؤمن صعَّد في لهجته وحدَّته مع الملأ، فبعد أن كان في الموقف الأوَّل مخاطباً إياهم بالعقلانية والنصح التام مع إبعاد الشبهة عن نفسه نجد أن لهجته قد مالت إلى التحذير من العذاب، والنقمة إن هم كذَّبوا رسول الله، ولكنه بقي محافظاً على لهجةٍ تحببيَّةٍ إلى قومه تقربه منهم، واعتبار نفسه واحداً منهم، يهمه أمرهم، ويحرص على مصلحتهم، ويبدو هذا من قولة **(يا قوم)** ومن جعله نفسه معهم في قوله **(من ينصرنا)**[٣]، ونلاحظ كذلك أنه استخدم المؤثر التاريخي في خطابه لهم، وذلك عندما ذكَّرهم بالتاريخ السابق للأمم الماضية، ثم أخذ يذكِّرهم برسالة يوسف عليه السلام السابقة، وهي لفتةٌ تاريخيةٌ عقديَّة، فذكرهم بموقفهم من يوسف ومن شكِّهم في رسالته، وفرحهم بموته، وظنِّهم انقطاع الرسالة بعده، وهم يعلمون هذه الحقائق، ولكنه يذكِّرهم بها، فهو يستخدم المؤثر الإيماني لئلاً يكرِّروا مع موسى ما فعلوه مع يوسف سابقاً: ﴿ وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ ﴾[٤]،

ومن خلال هذا الموقف نلاحظ أن الرجل المؤمن قد استطاع أن يصل إلى قلوب الحاضرين وأن يقصي فرعون عن تصدِّر الكلام، وأجبره أن يخفف من عجرفته وسطوته في كلامه، ثم عاد فرعون ليقطع كلام الرجل مَرَّة أُخرى، وخاصةً بعد أن رأى أن الأمرقد يفلت من بين يديه، وأن كلام الرجل المدافع عن موسى قد وقع في قلوب الناس موقع التصديق والإقناع، فأصدر أوامره إلى وزيره هامان بأن يبني له صرحاً عالياً، وبناءً عظيماً يصعد به إلى السماء، وهو الوسيلةُ ليرى من خلاله صدق موسى أو كذبه كما زعم، وأوهم القوم بأن الصعود إلى

---

(١) غافر (٢٩).

(٢) غافر (٣٠- ٣١).

(٣) الخالدي، مع قصص السابقين، (١١٤/٥)، مرجع سابق.

(٤) غافر (٣٤).

السماء أمرٌ تناله قدرته، فأصدر هامان أمره أن يطبخ الآجر بعد أن يوقد عليه، ويبني صـــرحا يأخذ في السماء صعداً[١]، ثم أتبع ذلك بأنه يظنُ كذب موسى فيما يدَّعيه.

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ * أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَـٰذِبًا ﴾[٢]، ونرى هنا أن فرعون لم يكن من الجهل لدرجة أنه يأمل أن ينال السماء ببناء عال، ولكنه أراد أن يتغفَّل القوم الذين معه، حتى لا يخـــامرهم شـــك فـــي قدرته[٣]، وهو بخبثه وحنكته أراد أن يشغل القوم بعمل مطوّل وهو عمل هذا الصرح المصنوع من هذا الطين المحروق وهو "اللبن" أو "الطُّوب" من أجل أن ينسى القوم الدعوة والتفكير بهـــا عن طريق عامل الزمن، فتحويلُ التراب إلى طين ثم الإيقاد على الطين بإشعال النار تحته، ثـــم حرق الطين ليكون آجُرًّا، ثم استخدام هذا الآجر المحروق في بناء الصرح الضخم، كل ذلك فيه تسويف وتأخيرٌ وتطويلٌ وإشغال[٤]، وهنا لا بُدَّ من الإشارة إلى أن هامان وصرحهُ الذي بنـــاه لفرعون لم يرد عنهما تفصيلٌ في الكتاب والسنَّة، فهما من المبهمات في القرآن فلا نعلم نـــسب هامان وما جرى معه وكيف أصبح وزيراً مقرباً من فرعون، ولا ما كان من بناء الصرح بعـــد ذلك.

وبعد هذا الموقف الهزلي من فرعون عاد المؤمنُ ليصدح بإيمانه جهرةً لأوّل مرَّة، داعياً قومـــه للإيمان بموسى واتباعـــه، ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾[٥]، وفي هذا الحديث تحد صريح وواضح بكلمة الحق الذي لا يخشى منها سلطان فرعون الجبـــار، ولا ملأهُ المتآمرين معه من أمثال هامان وقارون[٦]، ففرعون قبل قليل كان يردِّد في قومه قوله **(وما أهديكم إلاَّ سبيل الرشاد)**، والمؤمن في هذه اللحظة يقول لهم: **(إتبعـــوني أهـــدكم ســـبيل الرشاد)**، وهو يشير إلى أن سبيل فرعون وآله وما هم عليه هو سبيل الغيِّ والفساد، ومن هـــذه النقطة ابتدأت المواجهة العلنيةُ بين الرجل المؤمن الذي يمثِّل دين موسى والطاغية فرعون أمام

(١) النجار، قصص الأنبياء، ص١٨٦، مرجع سابق.
(٢) غافر (٢٦-٢٧).
(٣) طبارة، مع الأنبياء في القرآن، ص٢٢٩، مرجع سابق.
(٤) الخالدي، مع قصص السابقين، (١١٨/٥)، مرجع سابق.
(٥) غافر (٣٨).
(٦) قطب، الظلال، (٧/ ١٨٤)، مرجع سابق.

الملأ، فأخذ الرجل ببيان حقيقة هذه الدار الفانية المنقضية، وأن عليهم أن يزهدوا فيهــا لأجــل الآخرة الباقية، ثم شرع في إبطال ما هم عليه وتخويفهم ممَّا يصرون عليه[1]. فقال لهم: ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ * تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ * لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾[2]، وفي قوله ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾تجريدٌ للطاغية فرعون من كل قوة وعزة وفاعلية، وتبين أنه لا يملك من مقوِّمات النفع والضرر شيئاً في الدنيا والآخرة[3]، وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدلُّ على شجاعة الرجل المؤمن وجرأته في الحق، هذا الرجل الذي واجه فرعون سراً بالنصيحة في بداية الأمر ثم ما لبث إلاَّ أن أعلن إيمانه، وتحدَّى فرعون، ولم يرهب طغيانه ولا سلطانه ولا بطشه[4]، ولقد صرح الله في كتابه أنه أنجاه من مكرهم ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴾[5]، وفي هذا دليلٌ على أنهمَ أرادوا الإيقاع به، لكن الله خلَّصه مما همُّوا به من إلحاق العذاب به كونــه خــالفهم واتبــع طريــق موسى[6].

المطلب الثامن: نشاط موسى الدعوي في تلك المرحلة

برغم ما صبَّه الطاغية فرعون على بني إسرائيل من العذاب وألوان الإهانــة، وذلــك بسبب إيمان جزء منهم بموسى ودعوته، وشروعه بتقتيل أبناء المؤمنين منهم واستحياء نــسائهم مرَّة ثانية، بعد أن كان مثل ذلك قبل ولادة موسى ليحول بين بني إســرائيل وبــين الإيمــان، وليبقيهم مستعبدين له[7]، رغم ذلك كله استمر كليم الله موسى في تبليغ دعوة ربه موصياً قومه

---

(١) حجازي، التفسير الواضح، م٣ (جـــ٢٤/٣٧)، مرجع سابق، وابن كثير، البداية والنهايــة، م١ (ج١/٢٣٦)، مرجــع سابق.
(٢) غافر (٤١- ٤٣).
(٣) النيسابوري، غرائب القرآن، (٦/ ٣٧)، بتصرف، مرجع سابق.
(٤) الخالدي، مع قصص السابقين، (٥/١٢٨)، مرجع سابق.
(٥) غافر (٤٥).
(٦) حوى، الأساس، (٩/٤٩٦٤)، بتصرف، مرجع سابق.
(٧) الخالدي، القصص القرآني، (٣/٨)، مرجع سابق.

بالثبات على طريق الحق والصبر على الشدائد، وهذا يعني أن مرحلة الظلم والاستعباد اقتربت نهايتها وحانت ساعةُ النَّصر والفرج[1]، ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[2]، والظاهر أن بني إسرائيل انقسموا بشأن دعوة موسى إلى قسمين:

القسم الأول: وهم قلَّةٌ آمنوا بموسى ودعوته، ويظهر ذلك من قوله تعالى ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾[3]، وقوله **(فما آمَن)**يعني تقليل المؤمنين به لأنه نفى الإيمان ثم أوجبه لبعضهم، ولو كان الأكثر مؤمناً لأوجب الإيمان أولاً ثم نفاه عن الأقل[4]، وقيل إنَّ الذين آمنوا بموسى كانوا صغار السن من قومه وهم الأقلية[5].

أمَّا القسم الثاني فقد كانوا الأغلبية من قوم موسى فلم يؤمنوا بدعوته خوفاً من الفتنة والقتل من فرعون، أو هم الذين كان إيمانهم ركيكاً يتقلب مع الأحوال والأزمان، وهؤلاء أشار الله إلى تبرُّمهم من دعوة موسى ودينه الذي سبب لهم الإيذاء من قبل فرعون وقومه في قوله: ﴿ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ﴾[6] أي خاطبوا موسى قائلين ما الذي جنيناه من دعوتك وقدومك؟، فلم تزدنا دعوتك إلاَّ تقتيلاً في أبنائنا واستحياء لنسائنا[7]، وهذا التبرُّم يوضح لنا صفةً ملازمةً لبني إسرائيل تكشف عن ضعف نفوسهم، فهم لا يريدون أن يتحمَّلوا المسؤولية، ولا أن يدفعوا ثمن النصر والتمكين، وإنما يريدون نصراً سهلاً، وتمكيناً ميسوراً بدون جهد ولا مواجهة ولا ثباتٍ ولا تضحية[8]، وفي ظل هذا الوضع الصعب الذي سبَّب انقسام الإسرائيليين بشأن دعوة موسى، وازدياد الأذى من فرعون وقومه، طلب موسى من فرعون إطلاق سراح

---

(١) الشوكاني، فتح القدير، (٢/٢٩٤)، بتصرف، مرجع سابق.
(٢) الأعراف (١٢٨).
(٣) يونس (٨٣).
(٤) الأندلسي، البحر المحيط، (٥/ ١٨٢)، مرجع سابق.
(٥) أنظر البقاعي، نظم الدرر، (٣/ ٤٧٣)، مرجع سابق، وأبي السعود، تفسير أبي السعود، (٣/٣٦٨)، مرجع سابق.
(٦) الأعراف (١٢٩).
(٧) البقاعي، نظم الدرر، (٣/٨٨)، مرجع سابق.
(٨) قطب، الظلال، (٣/ ١٣٥٥)، بتصرف، مرجع سابق، والخالدي، القصص القرآني، (٣/١٣)، مرجع سابق.

الإسرائيليين وأن يرسلهم معه ويسلمهم إليه لتخفَّ حدَّة المواجهة، ويتمكن من تربية وتقوية أتباعه ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ * أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾(1)، أي سلِّموا إليَّ بني إسرائيل وأرسلوهم معي، ولا تتعرضوا لي، ودعوا الأمر بيني وبينكم مسالمةً إلى أن يقضي الله بيننا، ولكن فرعون رفض هذه الدعوة ولم يقبل هذه الموادعة، ولم يتركه مع قومه، وإنما استمر في تعذيبهم واضطهادهم(٢)، فرفع موسى صوته إلى الله قائلاً: ﴿ أَنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴾(٣)، أي مشركون قد امتنعوا عن إطلاق بني إسرائيل ومن الإيمان بدعوتي(٤).

موسى يُربِّي أتباعه سراً

عندما اشتدَّ الأذى ببني إسرائيل بسبب عبادتهم وإيمانهم بموسى، أخذ كليم الله موسى ينهج نهجاً آخر في تربية الجماعة المؤمنة معه، فأخذ يقوم بالتعبئة الروحيَّة النظاميَّة، وهما ضروريتان للأفراد والجماعات وبخاصة قبيل المعارك والمشقَّات(٥)، وتتمثل هذه الطريقة بتربية الأتباع في صورةٍ سرِّية بعيدةٍ عن أنظار فرعون وأتباعه، حتى لا يلحق بهم الأذى، وبالتالي تتم المحافظة قدر الإمكان على الجماعة من القتل والبطش والتعرض لألوان العذاب وصنوف الأذى(٦)، قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(٧)، وقد أذن الله للمؤمنين في هذه المرحلة الحرجة أن يؤدُّوا عباداتهم في بيوتهم سراً. أقول: وقد خصَّ الله ذكر الصلاة في الآية السابقة كون الصلاة هي العبادة الأبرز في الدين وهي عمدة أساسه وبنيانه، وغيرها من العبادات قد يستطيع الإنسان أن يخفيها عن الآخرين إلى حدٍ كبير، أمَّا الصلاة وبخاصة صلاة الجماعة منها، لا بُدَّ فيها من التجمِّع والتجمهر وهذا ما قد يلحظه الأعداء والراصدون بشكل أسرع من غيره،

---

(١) الدخان (١٧– ١٨).
(٢) إبن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٤/ ١٤١)، مرجع سابق، وحوى، الأساس، (٩/ ٥١٩١)، مرجع سابق.
(٣) الدخان (٢٢).
(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، م٨ (ج١٦/ ٩١)، مرجع سابق.
(٥) قطب، الظلال، (٤٦٩/٤)، مرجع سابق.
(٦) إبن كثير، قصص الأنبياء، ص٣٣٢، بتصرف، مرجع سابق.
(٧) يونس (٨٧).

وتحمل الآية إرشاداً للجماعة المؤمنة للإستعانة بكثرة الصلاة لدفع ما هم فيه من البلاء والشدِّة استدلالاً بقوله تعالى ﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴾(١)، (وبما رواه ابو داوود في سننه عن رسول الله أنه كان ﷺ إذا حزبه أمرٌ أي أشتد عليه صلَّى)(٢)، وقد لجأ موسى إلى هذه الطريقة ليعزل الجماعة المسلمة عن الجو العام المملوء بالفساد والفتنة، وحتى يستطيع أن يطهرها ويزكِّيها وينظِّمها حتى يأتي وعد الله بالنصر والتمكين.

المطلب التاسع: تسليط العذاب على فرعون وقومه

لقد جرت سنة الله في خلقه أنَّ الذنوب والمعاصي تجلب العقوبة والعذاب لمرتكبيها، ولا عقوبة إلاّ بذنب﴿ فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦ ﴾(٣)، والعقوبة تتنوَّع بتنوع الذنوب، تلك سنةٌ لا تبديل لها ولا تحويل، ولقد جاء موسى بالمعجزات من ربه دليل صدق على دعواه، ورآها فرعون وقومه عياناً، ولكنهم جحدوها مع أنهم استيقنوا صدق رسول الله موسى، ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمًا وَعُلُوًّاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾(٤)، فأرسل الله لهم آياتٍ أخرى تحمل في طياتها العذاب والهوان، وذلك في إشاراتٍ جديدةٍ إلى فرعون وقومه علّهم يعودون إلى صوابهم، ويقلعون عمَّا هم فيه من الاستكبار والعناد، ولقد أشير في القرآن إلى هذه الآيات بصورة مجملة في قوله ﴿ فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمًا فَٰسِقِينَ ﴾(5)، وقوله ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٍ﴾(٦)، وفصّلت في موضعين من سورة الأعراف في

(١) البقرة (٤٥).

(٢) أبو داوود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، سنن أبي داوود، م١ (ج٢/ ٣٥)، كتاب الصلاة، باب قيام النبي ﷺ من الليل، حديث رقم (١٣١٩)، تعليق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى.

(٣) العنكبوت (٤٠).

(٤) النمل (١٤).

(٥) النمل (١٢).

(٦) الإسراء (١٠١).

قوله ﴿ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴾[1]، أي لقد اختبرناهم وابتليناهم بالسنين وهي سني الجوع بسبب قلَّة الزروع ونقصٍ من الثمرات[2].

وحدوث القحط ونقص الثمرات في أرض مصر المخصبة المثمرة كي تلفت النظر وتهز القلب وتثير القلق، وتدعو إلى اليقظة والتفكر[3]، وفي موضع آخر قال تعالى ﴿ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمًا مُّجۡرِمِينَ ﴾[4]، فتصبح الآيات تسعة وهي "العصا واليد البيضاء والجراد والقمَّل والضفادع والدَّم والطوفان ونقص السنين والثمرات"، أمَّا قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ ﴾[5]، فقد أشكل على البعض حتى عَدُّوا الرجز آية أخرى فأصبحت الآيات أكثر من المنصوص عليه في القرآن الكريم، فهو ليس آية مستقلة بذاتها، فالرجز يأتي بمعنى العذاب، والعذاب كلمةٌ عامةٌ تشملُ كل ما ذكره الله من ألوان العذاب التي سلطها على بني إسرائيل، والرجز يأتي بمعنى الاضطراب كذلك[6]، ومنه قيل رجز البعير رجزاً وناقة رجزاء، إذا تقارب خطوها واضطرب لضعف فيها[7]، وقد سمِّيت تلك الآيات رجزاً لأنها ابتلاءٌ وعذابٌ متتابعٌ صبَّه الله عليهم، وأدت هذه الآيات إلى اضطراب أحوالهم وفسادها[8].

ويشار هنا إلى أن أصناف العذاب التي ذكرت في الآيات السابقة قد أُبتلي بها قوم فرعون دون الإسرائيليين الذين عافاهم الله من تلك الإبتلاءات، ونقرأ ذلك في قوله ﴿ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴾[9]، وموضع

---

(١) الأعراف (١٣٠).

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٢/٢٣٩)، مرجع سابق.

(٣) قطب، الظلال، (٣/ ٦١٥)، مرجع سابق.

(٤) الأعراف (١٣٣).

(٥) الأعراف (١٣٤).

(٦) الدامغاني، الحسين بن محمد، قاموس القرآن، ص١٩١، تحقيق عبد العزيز سيِّد الأهل، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

(٧) الراغب، المفردات، ص١٨٧، مادة رجز، مرجع سابق.

(٨) الخالدي، قصص القرآني (٣/٣٢)، مرجع سابق.

(٩) الأعراف (١٣٠).

الشاهد في الآية على أن العذاب أُختص به قوم فرعون دون الإسرائيليين هو قوله **(آل فرعون)** وكلمة آل في القرآن تأتي على ثلاثة وجوه، الأوَّل: بمعنى القوم والتبع كما في قول ﴿ **وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ** ﴾ (1)، والثاني بمعنى أهل البيت والحاضرين من أهل القوت والنفقة مثل قوله ﴿ **إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ** ﴾(٢).

والثالث بمعنى القرابة والذرية مثل قوله ﴿ **وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ** ﴾(٣)، أمَّا آل فرعون فإنهم أهل دينه وقومه وأشياعه(٤)، ومعروف أن الإسرائيليين ليسوا من قوم فرعون ولا من أهله ولا ممن كانوا على دينه فخرجوا من آله، كما ونلاحظ رحمة الله بعباده من خلال إرسال هذه الابتلاءات وذلك من عدَّة وجوه، الوجه الأول: أن الله لم يجعل تلك الضربات الموجهة إلى قوم فرعون ضربات قاضية مهلكة، وإنما كانت على شكل إنذارات تفسد حياتهم، وتدق ناقوس الخطر في أذهانهم، وتدبُّ الرعب في نفوسهم علَّهم يرجعون إلى صوابهم، ومن المعلوم أنَّ الابتلاءات قد تجعلُ الإنسان يفكر في ذنوبه ويؤوب إلى خالقه، على عكس العذاب المهلك الذي لا ينفع معه الندم، ويختم للإنسان على ما مات عليه من المعاصي والآثام، والجانب الثاني: أن هذه الابتلاءات لم تكن في الظاهر دفعة واحدة، بل كانت على مراحل متتابعة للرغبة في أن يذكَّروا ويتوبوا(٥)، وذلك أخف على النفس من أن تكون الابتلاءات دفعة واحدةً كما جاء في قوله تعالى﴿ **ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ** ﴾(٦)، كما ويلاحظ أن الآيات السبع المذكورة في سورة الأعراف لم تكن من المعجزات التي يراد بها التحدي كالعصا واليد البيضاء وإنما هي "إبتلاءات" من الله لفرعون وقومه، وعذابٌ أوقعه بهم وَصَبَّه عليهم، بسبب بطشهم ببني إسرائيل وتعذيبهم، وهذه الآيات ليس بها تحدٍ كالعصا واليد البيضاء، الآيتان اللتان قدمهما موسى واعتبرهما دليلاً على نبوَّته لأنهما خارقتان للعادة، بالإضافة إلى أنه تحدَّى بهما فرعون وقومه في يوم الزينة(٧)، ولا نجد

---

(١) القمر (٤١).
(٢) القمر (٣٤).
(٣) آل عمران (٣٣).
(٤) أنظر عميره عبد الرحمن، دقائق لغة القرآن في تفسير ابن جرير الطبري، (٩٨/١)، عالم الكتب، ط١، ١٩٩٢م.
(٥) الشعراوي، تفسير الشعراوي، ص٤٣٢٠، بتصرف، مرجع سابق، وحوى، الأساس، (١٩٨٣/٤)، مرجع سابق.
(٦) الأعراف (١٣٣).
(٧) الخالدي، القصص القرآني، (٣/ ٢٤-٢٥)، بتصرف، مرجع سابق.

في القرآن الكريم تفصيلاً للكيفيَّةِ التي وقعت بها هذه الابتلاءات، ولـذلك نـسلم بوقوعهـا ولا نخوض في تفاصيلها كون هذه التفاصيل مستمدة من الروايات الإسرائيلية، ويـذكرُ القـرآن أن فرعون وقومه كانوا في حال وقوع نقم الله عليهم يتوجهون إلى موسى راجين منه الدعاء لهـم عند الله لكي يرفع عنهم هذه الابتلاءات حتى إذا رفعت نكثوا عهودهم، وعادوا إلـى أسـلوب الخداع والمراوغة والعناد[١]، فعندما أنزل الله عليهم القحط والجدب توجهوا إلى موسى يسألونه أن يدعو الله لهم لمنزلته الرفيعة عنده أن يرفع عنهم هذا البلاء، واستعدوا أن يؤمنوا بـه لقـاء ذلك، وأن يستجيبوا لأمره في تحريـر الـشعب المستـضعف[٢] ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُواْ يَـٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ * فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَـٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴾[٣]، وهكذا كانت حالهم في كل مَرَّةٍ يقع بها عليهم عذاب الله وسخطه، ولقد أبت طبيعة فرعون وقومه الموغلة في السوء، الإذعان لله بعد أن توالت عليهم الآيات الواضحات، فاستمروا في إجرامهم وظلمهم لبني إسرائيل، وكلما جاءتهم آيةٌ كانت أكبر من أختها، ومع ذلك كانوا يقابلونها بالضحك والـسخرية والاستهزاء تارة، وتارة تضيق بهم السبل فيسارعون إل موسى طالبين منه أن يدعوا لهم ربـه لكي يكشف العذاب عنهم واعديه بالإيمان والتسليم ثم ما يلبثوا أن ينكثوا عهدهم، حتـى نـالوا غضب الله واستحقوا عقابه وهم على تلك الحالة[٤]، وقد سجَّل الله عليهم هـذا الموقـف بقولـه ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَـٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ * وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَـٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[٥]، ويشير القرآن كذلك إلى أن فرعون وقومه كانوا على علمٍ بأن موسى عبد الله ورسوله إليهم، فقد كانوا يخاطبونه قائلين**(يا موسى ادع لنا ربك)** فهـم يثبتون رباً لموسى بعدما كان فرعون يقول له ولكل من حوله **(أنا ربكم الأعلى)**، ولكن القـوم عندما كانوا يسارعون إلى موسى طالبين منه الدعاء، لم يكن اتجاههم إلى موسى اتجاهـاً إلـى الإيمان، بل كان من أجل رفع العذاب والابتلاء عنهم، ويظهر ذلك من خطابهم لموسى **(ادعُ لنا**

---

(١) قطب، ظلال القرآن، (٣ / ٦١٨)، مرجع سابق.
(٢) محمد أبو فارس، إنَّ فرعون علا في الأرض، ص٨٨، مرجع سابق.
(٣) الأعراف (١٣٤– ١٣٥).
(٤) طباره، مع الأنبياء في القرآن، ص٢٣٨، بتصرف، مرجع سابق.
(٥) الزخرف (٤٧ –٤٨).

ربك) فقدَّم الجار والمجرور كونه يخصهم برفع العذاب، فقد كان طلبهم لرفع العذاب أولاً، وتحقيقاً للمصلحة الذاتية**(ادع لنا)** وبعد ذلك سوف ينظرون في أمر الاسرائيليين[١]، وقد كان فرعون وقومه يتهمون موسى ومن معه بأنهم سبب ما يحلُّ بهم من عذاب ونقمةٍ، وهذا ما يُسمى بالتشاؤم أو التطُّير، وإن أصابتهم سرَّاء اعتبروا ذلك من جهدهم وسعيهم وكدِّهم ونتاج عقولهم، وقد ردَّت عليهم الآية الكريمة وبيَّنت أن ما أصابهم كان جزاء وفاقاً بسبب ما ارتكبوه من ظلم وإفساد ﴿**فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[٢].

تبجح فرعون واستهزاؤه بموسى

لم تجد الموعظة الحسنة والكلمة الطيِّبة والقول اللَّين نفعاً مع فرعون وقومه، فلم يزدهم ذلك إلاَّ تجبراً وعناداً، ثم وقعت عليهم البلايا والمصائب، فهزت نفوسهم وأوقعتهم في ضنك شديد، فلجأوا إلى موسى ليدعو الله لهم برفع العذاب قاطعين على نفوسهم العهود والمواثيق بالإحسان والإيمان، ثم ما لبثوا أن نكثوا عهدهم وطعنوا في دين موسى، ولم يكتف فرعون بذلك بل وقف بين الناس مستهزئاً بموسى، داعياً قومه للمقارنة بينه وبين موسى، ونقرأ ذلك في قوله تعالى على لسان فرعون ﴿ **وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ * أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ * فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ * فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ** ﴾[٣]، فها هو المغرور بماله وما أوتي في هذه الحياة الفانية من زخرف ومتاع يجمعُ قومه وينادى فيهم بعد أن كُشف العذاب عنهم خوفاً من أن يؤمن بعضهم بموسى مفتخراً مغروراً بما ملك من ملك مصر وتصرفه فيها قائلاً:"أليس لي ملك مصر لا ينازعني فيها أحدٌ ولا يخالفني فيها مخالف؟ وهذه الأنهار، أنهار النيل وفروعه تجري من تحت قصري؟ أفلا ترون ما أنا فيه من العظمة والملك؟" مقارناً نفسه بموسى الذي لم تصل يداه إلى ملك

---

(١) باجودة، تأمُّلات في سورة الأعراف، ص٣٢٠.
(٢) الأعراف (١٣١).
(٣) الزخرف (٥١ –٥٤).

فرعون وحكمه، ناسباً المهانة لموسى[1]، ويتمادى فرعون في غروره حين عدَّ نفسه خيراً مـن موسى ﴿ أَمْ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾[2] أي "ضعيفٌ حقير"[3]، وأخـذ ينتقص من حق رسول الله موسى ويزدريه لكونه لا يستطيع أن يعبرَّ عَمَّا يجول فـي خـاطرة وهي "الحبسة التي كانت في لسانه"[4]، وذلك إن دلَّ على شيء فإنه يدل على أن احتقار الآخرين وازدرائهم من إفرازات النزعة الفوقية التي تملَّكت نفس فرعون، فهو يرى كل ما عداه حقيـراً تافها لا قيمة له[5]، وبعد أن أورد فرعون على مسامع قومه مطاعنه على موسى، وبهرهم بمـا لديه من مال وملك وسلطان، أخذ يوهم قومه أن رسل الله يجب أن يكونوا كرسل الملـوك مـن طبقة الأغنياء والمترفين ﴿ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ ﴾[6]، والمعنى: فهلا أُلقـي علـى موسى إن كان صادقاً أسورة من ذهب؟ "وهو جمع سوار"، "وهو ما يلبس في اليد عادةً باعتبار أن هذا من علامات الزعامة والسيادة عندهم"[7]، ونرى هنا أن فرعون أراد بهذه المقارنـة أن يعلي مكانته أمام قومه، ويضع من مكانة موسى، وذلك عن طريق إيهام الجموع أنَّ القوة إنمـا تكون بالمال والجاه والسلطان والتملّك، وهو ما يعبَّر عنه بالقوة الاقتصادية والعسكرية، وكـل ذلك يملكه فرعون ولا يملكه موسى، وعن طريق استغلاله لما كان معروفاً عن موسـى مـن حبسة اللسان وعدم قدرته على التعبير، وهذا ما يعرف بالفروقات الفردية بين الأشخاص، ولأن قوم فرعون كانوا مفتونين بزخرف الحياة الدنيا الفانية، محبين للمال والجاه والسلطان، إستطاع فرعون أن يلغي عقولهم ويجمِّد تفكيرهم عند هذه النقطة مما ساقهم لاتباعه والإعـراض عـن موسى ودعوته، وقد أشار الله إلى ذلـك بقولـه ﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴾[8]، أي استخف فرعون بعقول قومه ودرَّجهم من حال إلى حال إلى أن صدَّقوه فـي

(١) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٤/١٣٠)، مرجع سابق، والطبري، تفسير الطبـري، م١٣(٢٥/ ١٠٤) ومـا بعدها، مرجع سابق.
(٢) الزخرف (٥٢).
(٣) السيوطي، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن الكمال، وجلال الدين محمد بن أحمد، تفسير الجلالين، ص٦٥٢، تقديم محمد كريم راجح، دار القلم.
(٤) كشك، المستكبرون والمستضعفون، ص٦٨، مرجع سابق.
(٥) قاسم توفيق، شخصية فرعون في القرآن، ص٧٣، مرجع سابق.
(٦) الزخرف (٥٣).
(٧) انظر الطبري، تفسير الطبري، م١٣ (ج٢٥/ ١٠٥)، مرجع سابق.
(٨) الزخرف (٥٤).

دعواه الربوبية[1]، وبعد أن أخذ منهم الإعتراف بربوبيته استطاع فرعون الاستخفاف بعقول قومه فيما دون ذلك من الأمور، وما كان ذلك إلاَّ كما أشارت الآية لفسقهم وخروجهم عن طريق الحق والصواب، وما خرجوا عن طريق الحق والضلال إلاّ حُبَّاً في المال والجاه والسلطان، ولذلك كان فرعون يبهرهم دائماً بماله وسلطانه، وكان ذلك هو السوط المسلَّط على قلوب هؤلاء، فقد علموا صدق موسى ولكنهم رفضوا الإذعان له والتمسك بالحق، وما ذاك إلاَّ حباً في المال الذي يملكه فرعون، وخوفاً من بطشه وجبروته، وما ساعد على خفة أحلامهم وقلة عقولهم إلاَّ تلك الخرافات والعقائد الباطلة التي امتلأت بها قلوبهم، ولما تعرضوا له من التضليل والعزل عَمَّا من شأنه أن ينوِّر لهم الطريق ويجلي لهم الحقائق[2].

موسى يجأرُ بالدعاء إلى الله

لمَّا رأى موسى استكبار فرعون وملئه وإصرارهم على الكفر، وازدياد عدائهم على المؤمنين وبطشهم بهم وقمعهم لهم، توجه موسى إلى الله تعالى يدعو على فرعون وملئه، فهذا هو سبيل المظلوم المقهور، والله لا يخيِّب مظلوماً لجأ إليه[3]، وقد سجل لنا القرآن هذا الدعاء فقال عزَّ من قائل: ﴿ **وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلاً فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ** ﴾[4]، وهذه الدعوة العظيمة التي دعى بها كليم الله موسى على فرعون وقومه لتكبُّرِهم عن الحق، وقد ذكر موسى في الدعاء أسباب الإفساد الكبرى التي استخدمها فرعون وقومه، وهُما ما يغتر به من يُعظِّم أمر الدنيا، وهما الزينة والأموال[5]، والزينة هي الدنيا وزخارفها ومصالحها ومنافعها، والمال هو عصب الحياة والوسيلة التي تقضى بها الحاجات، وقد استخدم فرعون هاتين الوسيلتين في إغراء الناس حتى يبقوا في صفه ولا يسيروا مع ركب

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، م١ (ج١/٢٣٩)، مرجع سابق.
(٢) قاسم توفيق، شخصية فرعون في القرآن، ص١٣٣، مرجع سابق.
(٣) طهماز، عبد الحميد محمود، الإنسان بين التقدير والتكليف في سورة يونس، ص١٠٩، دار القلم، دمشق، ودار العلوم، بيروت، ط١، ١٩٨٩م.
(٤) يونس (٨٨).
(٥) ابن كثير، قصص الأنبياء، ص٣٣٣، مرجع سابق.

موسى والمؤمنين، فقد كان يأمر قومه أن يمنحوا الموالين له الأموال الكثيرة ليشتروا نفوسهم ويكسبوا ولاءهم، وأن يحرموا المؤمنين بموسى من هذه الأموال[1].

أقول: وقد ركَّز موسى في دعائه على قضية المال "العامل الاقتصادي"، كونه هو العامل الأبرز والأقوى في إحياء الشعوب وتقدمها مادياً، فالأموال سبب في إيجاد السلاح وبالتالي ازدياد قوة الشعوب، وبضعف الجانب الإقتصادي تضعف الشعوب عسكرياً، وتنزلق إلى قاع الأمم والحضارات، وفي ذلك إشارةٌ إلى أن موسى قد دعى عليهم بالهلاك والخسران والضعف، وهذا معنى قوله **(ربنا اطمس على أموالهم)**، وقد دعى عليهم أيضاً بقوله**(واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم)**، أي أَحكم يا رب الأربطة على تلك القلوب فلا يخرج ما فيها من كفر، ولا يدخل ما هو خارجها من الإيمان، لأن هؤلاء قد افتروا افتراء عظيماً، وأن تظلَّ الأربطةُ على قلوبهم حتى يروا العذاب الأليم، وموسى كان قد دعا على آل فرعون بهذا الدعاء لا خوفاً منهم ولا من ضلال قوم فرعون أنفسهم، وإنما كان ذلك خوفاً من استمرار إضلالهم لغيرهم، وإجبار الآخرين على اتباع الباطل، وقد استجاب الله دعوته ودعوة أخيه هارون، وطمس على أموال فرعون وملئه، وطبع على قلوبهم بالكفر، وأوصى الله موسى وهارون أن يستقيما على طريقه، ويثبتا على دينه، ولا يتبعانّ سبيل فرعون وملئه[2]، ﴿ **قَالَ قَدۡ أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا فَٱسۡتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ** ﴾[3]، وقد استجاب دعوة موسى على فرعون وقومه دون تحديد الكيفية والله تعالى أعلم.

قارون يناصر فرعون على موسى وقومه

لقد ذكر الله في كتابه نماذج كثيرةً للطغاة المستبدين ومن والاهم وناصرهم، ومن تلك النماذج رجلٌ من قوم موسى اسمه قارون، وهذا الرجل كان يمثِّل القوة الإقتصادية العظيمة في عصر فرعون، وهو أحد أركان الثالوث الباغي الذي كان يحكم مصر، وقد قرن الله اسمه باسم

(١) رضا، محمد رشيد، تفسير القرآن الكريم المعروف بتفسير المنار، (٤٧٢/١١)، دار المنار، مصر، ط٤، ١٣٧٣هـ، بتصرف.

(٢) الخالدي، القصص القرآني، (٤١/٣)، مرجع سابق.

(٣) يونس (٨٩).

فرعـــــون، ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ * إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَقَـٰرُونَ فَقَالُواْ سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴾[1] وفي موضع آخر قال تعـــالى ﴿ وَقَـٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُواْ سَـٰبِقِينَ ﴾[٢]، ولم يذكر القرآن أية تفاصيل عن قارون ونسبه سوى أنه أثبت أنه من بني إسرائيل وليس من قوم فرعون، وذلك بقوله تعالى ﴿ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ ﴾[٣]، وقد انحاز قارون إلى فرعون، فقطع ما بينه وبين قومه من الوصل، ووصل ما بينه وبين فرعون[٤]، ولقد ورد في قصة قارون تفصيل لمنهج الهيمنة على بني إسرائيل من خلال إفساد المفاهيم، حتى أصبح الكثيـــرون يعتقـــدون أن الشخص الذي يملك المال الكثير هو صاحب الحظ الكبير في هذه الدنيا[٥]، مما غرَّر بالكثير من الإسرائيليين وجعلهم تبعاً لفرعون، ولا أُريد أن أخوض في تفاصيل قصة قارون في كتـــاب الله وإنما أريد أن أتناول منها ما يخدم فكرة ظلم فرعون لبني إسرائيل، وتمثَّل هذا الظلم باســـتخدام وسائل متعدِّدة في سبيل ذلك وهي:

الوسيلة الأُولى: ظلم الإسرائيليين وإغرائهم

شارك قارون فيما كان يملك من أموال في ظلم الإسرائيليين واضطهادهم جنبـــاً إلـــى جنب مع فرعون الطاغية، وبالإضافة إلى أن قارون كان يحاول مراراً وتكراراً إغراء ضعاف الإيمان بما لديه من أموال وزخارف حتى استطاع أن يوقع بهم، قال تعالى﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾[٦]، فقد بهرهم قارون بما يملك من أموال فأخذت تطير لها قلوبُ فريق منهم وتتهـــاوى لها نفوسهم، وأصبحوا يتمنون لأنفسهم مثل ما أوتي قارون وأصبحوا يحسون أنه أوتـــي حظـــاً

---

(١) غافر (٢٣-٢٤).
(٢) العنكبوت (٣٩).
(٣) القصص (٧٦).
(٤) البقاعي، نظم الدرر، (٥/٥١٧)، مرجع سابق.
(٥) الخضري، محمد صالح، منهج الدعاة إلى الله في رحاب سورة الكهف والقصص، ص١١٧، تقديم أحمد حسن فرحات وعبد الستار أبو غدَّه، دار النفائس، الأردن، ط١، ١٩٩٨م.
(٦) القصص (٧٩).

عظيماً يتشهَّاه المحرومون[1]، ونلاحظ هنا التفرقة التي غرسها قارون بين قومه حتى أصبحوا فريقين، **الفريق الأول:** مبهور بما لديه من أموال وزينة وزخارف، **والفريق الثاني:** المتمسك بدينه وعقيدته، والذي ينظر إلى الدنيا على أنها حياةٌ زائفةٌ، وهذا مما لا شك فيه يوقع الضعف والهوان في صفوف المؤمنين بإغرائه طائفةً منهم وتثبيط عزائمهم وإشغالهم بالحياة الدنيا عن دينهم وعقيدتهم.

الوسيلة الثانية: إستخدام قارون أمواله لنشر الفساد في الأرض

لقد أنعم الله على قارون بالمال الكثير حتى صعب على الرجال حمل مفاتيح الخزائن، والمال وسيلةٌ لتحقيق المراد فإما أن يستخدمه الإنسان في فعل الخير وإمَّا أن يستخدمه في فعل الشر، وقد سخَّر قارون ماله الذي آتاه الله في الإفساد في الأرض ونشر الرذيلة، ويظهر ذلك من خلال النصائح التي أسداها له قومه حين قالوا لـه ﴿**وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ**﴾[2]، فلو أنه كان يسخر ماله في فعل الخير لما أحتاج قارون إلى هذه النصيحة، وإنما نهاه قومه عن الإفساد عندما شاع فساده، وقد ذكر من مظاهر إفساده أنَّه اقترف المعاصي والآثام، وانشغل بالدنيا عن الآخرة، وجحد رسالة موسى، والكبر الذي كان في نفسه على قومه حتى اغتر عليهم بكثرة ماله وولده، ونسب ما آتاه الله من الكنوز إلى نفسه بعلمه وحيلته، وقيل إنَّه دبَّر مكيدة لموسى كي يُتَّهم بالزنا، وذلك بعد أن أعطى امرأة من البغايا بعض المال لكي تلصق التهمة بموسى عليه السلام[3].

الوسيلة الثالثة: الامتناع عن إفادة الآخرين بماله

عندما رأى القوم أن قارون سادر في طغيانه، لا هم له إلاَّ أن يستكثر من المال، وإن تضوَّر غيره جوعاً، وأن يكتسي من اللباس ما يزيِّن به نفسه، وإن رأى العُريَّ في قومه فاشياً، وهذا كله مع غرور واستئثار وبطر واستكبار، فلمَّا رأى قومه ذلك منه، نقموا عليه طريقته، وحاولوا

---

(١) قطب، الظلال، (٦/ ٣٧٦)، مرجع سابق.
(٢) القصص (٧٧).
(٣) الطبري، تفسير الطبري، م١١ (ج٢/١٣٦)، بتصرف، مرجع سابق، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، م٧ (ج١٣/٢٠٥)، بتصرف، مرجع سابق.

أن يثيروا فيه روح الخير، وأن ينبهوه إلى ما غاب عنه، فنصحوه أن لا يغويه ماله عن الآخرة، وأن لا يحول ذلك بينه وبين الإحسان إلى قومه وإقالة عثرة المحتاجين، ومسح دموع البائسين، وبذلك ينال الثواب والحمد في الدنيا والآخرة[1]، فقال له قومه ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[2]، أرادوا منه أن يحسن للفقراء والمحتاجين كما أحسن الله إليه، فأمدَّه بالمال الكثير والنعم الوافرة، فما كان منه إلاَّ أن أجابهم متكبراً عن قبول النصيحة في جملةٍ واحدةٍ تحمل شتى معاني الفساد ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾[3]، أي إنما أعطيت هذا المال على علم عندي بوجوه المكاسب، وأنا مستحق لهذا الإكرام[4]، وهذه الإجابة تحمل في طياتها إشارات من قارون إلى قومه بأنه لن يساعد الفقراء والمحتاجين من قومه لأنه اكتسب هذا المال بحنكته وذكائه، فهو من خصوصياته وليس لأحد حقٌ فيه، ونسي قارون أنَّ في ماله مستحقاتٍ قد فرضها الله للفقراء من وجوه الزكاة والصدقة، ولكنه لم يذعن لأمر الله، واحتكر المال في يده، وامتنع عن إفادة قومه الإسرائيليين الذين كانوا يعيشون حياة الضنك والفقر والهوان، وهذا هو شأن المترفين في كل زمان، فهم ينمُّون الثروة ويدخرونها لأنفسهم ويبذلونها تحت عناوين شتى، كلها لا تتجاوز شهوة الإنسان ورغبته في أن تكون له الهيمنةُ على مصالح الناس وتوجهاتهم، وذلك للضغط عليهم ومنعهم من السير في طريق آخر غير الطريق الذي يريده أصحاب تلك الأموال[5]، وهذا ما يعبَّر عنه اليوم بالرأسمالية، فالمال محتكرٌ في تلك الأيادي التي تمسك تلك الأموال، و التي تسلك كلَّ الطرق في سبيل تحصيل أموالها وشهواتها دون رقيب، ودون النظر، إلى احتياجات الآخرين ورغباتهم، وقد شكلت خطوة احتكار قارون لتلك الأموال في يده وعدم إعانة الآخرين، ضربة لقومه وأبناء جلدته، فهم يرون المال بين أيديهم دون القدرة على الإستفادة منه، وهذا ما أوجد بينهم ما يسمى بالطبقية والإقطاع، وجسد فكرة الإحتكار، وكلُّ هذا يضعف النفوس، ويشربها من كؤوس الحقد والحسد، فهذه الوسائل التي

---

(١) جاد المولي، قصص القرآن، ص١٥٤، مرجع سابق.
(٢) القصص (٧٧).
(٣) القصص (٧٨).
(٤) الفتياني، الحوار القرآني، ص١٨٠، مرجع سابق.
(٥) فرح موسى، الأنبياء والمترفون في القرآن، ص ٢٧٥، دار الهدى، بيروت، ط١، ١٩٩٧.

اتبعها قارون الخبيث لبث الفرقة والحسد بين أبناء قومه مناصرة لفرعون، الذي استغل قارون في تثبيت حكمه وفرض سيطرته على بني إسرائيل، وكل هذه الوسائل كانت تجتمع تحت صفة واحدة كبرى، استقرت في نفس قارون وهي صفة الكبر، والتي قادته في نهاية الأمر إلى أن يخرج على قومه مختالاً متكبراً، يلبس الثياب الجميلة متزيناً بزينته، منتفشاً بماله، ليريهم أنه هو الأغنى والأقوى[1].

الجزاء من جنس العمل

لقد استكبر قارون عن الحق، وبغى على قومه، واستطال فوق الأرض غروراً وكبرياءً، فما كان من الله إلاَّ أن جازاه بجزاء من جنس عمله، فقد هوى في بطن الأرض التي علا واستطال فوقها جزاءً وفاقاً، وذهب ضعيفاً عاجزاً لا ينصره أحدٌ، ولا ينتصر بمال أو جاه[2]، ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴾[3]، أي ما أغنى عنه ماله ولا خدمه ولا حشمه، فهوى في باطن الأرض، وهوت معه الفتنة الطاغية التي جرفت بعض الناس، وكشفت عن قلوبهم قناع الغفلة والضلال، ووقف من تمنَّى أن يكون له مثل الذي مع قارون يحمد الله أنه لم يُعْط مِثلَ ما آوتي قارون، وذلك حينما رأى المصير البائس الذي انتهى إليه بين ليلة وضحاها، وعلم أن الثَّراء ليس آية دالة على الرضا من الله، فهو يمنُّ بالرزق على من يشاء من عباده، ويضيقه لأسباب أُخرى غير الرضا والغضب[4]، ولقد عقَّب القرآن على قصة قارون بقوله ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[5]، أي تلك الدار الآخرة نجعل نعيمها للذين لا يريدون تكبراً عن الحق في الأرض وتجبراً عنه ولا فساداً[6].

---

(١) الخالدي، القصص القرآني، (٣/٥٥)، مرجع سابق.

(٢) العفاني، سيد حسين، روضة الناظر ونزهة الحاضر في الجزاء من جنس العمل، (١/٣٢٢)، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٢، ١٩٩٦م.

(٣) القصص (٨١).

(٤) قطب، الظلال، (٦/٣٧٧)، مرجع سابق.

(٥) القصص (٨٣).

(٦) الطبري، تفسير الطبري،م١١ (ج٢ / ١٣٧)، مرجع سابق.

لا تفاصيل عن كيفيّة الخسف

نلحظ أن القرآن أجمل الحديث عن الخسف بقارون وداره، فلم يفصِّل هذا المشهد العنيف المؤثر، ولم يذكر كيفيَّة حدوث ذلك[1]، كما أن القرآن لم يحدد وقت ومكان ذلك الخسف[2]، لا تفاصيل عن ذلك كله في القرآن، ويأتي الخسف بمعنى "ذهاب الشيء كله"[3]، وينسجم هذا المعنى مع مغزى الخسف بقارون، فقد خسف الله به وبداره وما كان فيها من مالٍ ومتاع حتى غاب ذلك كله وذهب في باطن الأرض، وأصبح لا يرى ولا يشاهد، وقد خاض الأقدمون في تفاصيل الخسف فذكروا أموراً كثيرةً وأحداثاً جمة، وكل ذلك من طرق الإسرائيليات، والتي لا نسلِّم بصحتها، ولذلك نتوقف عن الحديث عن كيفية الخسف ومكانه وزمانه، ونسكت عما سكت القرآن عنه، تمشياً مع العبرة المرجوّة من إيراد القصة في القرآن الكريم[4]، وأودُّ أن أشير إلى أنني ذكرت قصة قارون ضمن قصة موسى مع فرعون كون القرآن قرن بين قارون وفرعون، عندما ذكر رسالة موسى في قوله ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴾[5] وهذا قد يشير إلى أن قارون كان في قمَّة قوته وفتنته زمن بعثة موسى إلى فرعون، بالإضافة إلى أن قارون يمثل أُنموذجاً لأعوان الظلمة، وهو قد أعان فرعون على قومه "بني إسرائيل" عندما بغى عليهم، وقارون نفسه يمثل العقلية التي يفكر بها فرعون تجاه موسى.

وأشير كذلك في نهاية حديثي عن مرحلة الدعوة التي خاضها موسى أمام فرعون كما جاءت في كتاب الله، أن هذه المرحلة كانت مرحلة شاقَّةً، تحمَّل فيها نبي الله موسى أعباءً كثيرةً، فقد لاقى ما لاقى من السخرية والاستهزاء، واتهم بأنه ساحرٌ ومجنون، وهُدِّد بالسجن والتعذيب،

---

(١) الخالدي، القصص القرآني، (٦١/٣)، مرجع سابق.

(٢) قطب، الظلال، (٣٧٢/٦)، مرجع سابق.

(٣) الراغب، المفردات، ص١٤٨، مرجع سابق.

(٤) انظر تفصيل الروايات الإسرائيلية في قصة قارون عند ابن الأثير، المبارك محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني، الكامل في التاريخ، (٢٠٤/١)، دار الصدر، بيروت، ١٩٦٥م، والطبري، تاريخ الطبري، (٤٤٦/١)، مرجع سابق، وابن كثير، قصص الأنبياء، ص٣٩٧، مرجع سابق.

(٥) غافر، (٢٣ –٢٤).

وطعن عليه السلام في عقيدته ودينه وأخلاقه، ودبِّرت مكائد لقتله، هذا بالإضافة إلى عناد قومه الإسرائيليين وقسوة قلوبهم، مما زاد دعوته صعوبةً وتعقيداً، وقد صبر كليم الله موسى على ذلك كُلُّه احتساباً للأجر والثواب عند الله، وتحلَّى بتلك الروح العالية العظيمة حتى استطاع أن يوصل رسالته إلى قلوب الناس المؤمنين الصادقين كما أرادها الله عز وجل.

المبحث الثاني: مشاهد المواجهة في التوراة

في هذا المبحث أقدم عرضاً أبيِّن فيه الأحداث التي جرت مع موسى أثناء تبليغه رسالة ربه إلى فرعون وقومه كما توردها التوراة في سفر الخروج، هذا السفر الذي ينفرد بإيراد قصة موسى مع فرعون كاملةً من ولادته حتى خروجه مع بني إسرائيل من أرض مصر وغرق فرعون وجنوده[١]، وتجدر الإشارة إلى أن التوراة توردُ تفاصيل دقيقة لكثير من أحداث هذه المرحلة والتي تتعلق بأنساب الإسرائيليين وأسماء العائلات التي تنتمي لبني لاوي بن يعقوب عليهم السلام وذلك بحسب مواليدهم، وغيرها من الأمور التي لا تتعلق تعلقاً وثيقاً بقصة موسى مع فرعون[٢]، وهذه الأمور لن أتعرض لها أثناء حديثي عن قصة موسى مع فرعون في مرحلة الدعوة والمواجهة مكتفياً بذكر الأحداث الرئيسة التي تتعلق بدعوة موسى فرعون للتصديق به والإيمان برسالته.

المطلب الأَوَّل: اللقاء الأوَّل مع فرعون

عاد موسى إلى مصر بعد أن التقى بأخيه هارون في صحراء سيناء وبعد أن جمعا شيوخ بني إسرائيل وزعماءهم وأخبراهم بما جرى مع موسى من لقاء الرب والتكليف بالرسالة، قام هارون بعرض المعجزات التي آتاها الله موسى لتكون دليل صدقٍ على نبوته ورسالته، فآمن لهما الشعب وخرُّوا ساجدين لرب العالمين لأنه نظر إلى ذلِّهم وهوانهم[٣]، وهذا كُلُّه قبل أن ينطلق موسى وهارون إلى فرعون، وبعد أن حصل موسى وهارون على تأييد الشعب ذهبا إلى فرعون، وعرض عليه موسى مطلبه الأساسي وهو إطلاق بني إسرائيل ليعبدوا الله في البريَّة[٤]، وقد أنكر فرعون على موسى هذا الطلب محتجاً أنه لا يعرف ربَّ موسى فقال له: **(من هو الرب حتى اسمع لقوله فأطلق إسرائيل؟* لا أعرف الرب وإسرائيل لا أُطلقه)**[٥]،

---

(١) السقا، نقد التوراة، ص٣٠، مرجع سابق.

(٢) انظر الخروج (٦/ (١٤-٢٥).

(٣) الخروج (٤/٣١).

(٤) الخروج (٥/١).

(٥) الخروج (٥/ (٢-٣).

ويتضح لنا مما ذكرته التوراة أن رسالة موسى جاءت لهدف أساسي وهو إخراج بني إسـرائيل من عبودية فرعون، ولم نقرأ في التوراة شيئاً يدل على أن موسى قد عـرض الإيمـان علـى فرعون، وكأنَّ فرعون مستثنى من هذه الرسالة، وأن دعوة موسـى مختـصةٌ بالإسـرائيليين ومصالحهم دون غيرهم من الشعوب التي كانوا يتعايشون معها جنباً إلى جنب في أرض مصر، وقد عاد موسى مَرَّةً أخرى ليؤكد لفرعون بعد رفضه إطلاق الإسرائيليين أن الرب قـد إلتقـاه وكلفه بالرسالة، وعرض على فرعون إطلاق الإسرائيليين ثلاثة أيام كي يذبحوا للرب قـرابين لئلاَّ يصيبهم بالأوبئة أو القتل[1]، فاحتج فرعون مرَّة أخرى على موسى وهارون متهما إيـاهم بأنهما إنما يريدان أن يعطِّلا بني إسرائيل عن أشغالهم المناطة بهم، ونلاحظ أيضاً أن فرعون لم يحتج على موسى عندما طلب منه أن يطلقهم ليذبحوا لإلههم بأنه هو الإله الأوحد لهم، ولم يعر لذلك انتباها، وإنما كان جلُّ اهتمامه على أن لا يتوقف بني إسرائيل عن أعمـالهم، وأمـره أن يبقيهم حتى لا تتعطل تلك الأعمال، مما يشير إلى أن فرعون حسب نصوص التوراة لـم يـدِّع الأُلوهية على بني إسرائيل في ذلك الزمن، ونتيجة لتحركات موسى الدعوية ومطالبه التي قدَّمها لفرعون أمر فرعون زبانيته بحرمان الإسرائيليين من بعض ما كانوا يعطونهم إيَّاه مقابل عملهم، وذلك حتى يثقل عليهم أعمالهم فلا يلتفتوا إلى كلام موسى، ويضجُّوا من دعوته ويتهمـوه أنـه السبب الرئيس في إثقال فرعون الأعمال عليهم وحرمانهم من بعض ما كانوا يأخذونـه مقابـل عملهم، تقول التوراة: **(فأمر فرعون في ذلك اليوم مسخري الشعب ومدبريه قائلا: لا تعـودوا تعطوا الشعب تبناً لصنع اللِّبن كأمس وأوَّل من أمس ليذهبوا هم ويجمعوا تبنـاً لأنفـسهم)**[2]، وقد نجح فرعون في ما رمى إليه فقد ضج الإسرائيليون على موسى وخاصموه واتَّهمـوه أنـه السبب في تشديد فرعون عليهم وحرمانهم من حقوقهم ونتيجة لذلك فقد ضجَّ موسى لربه معاتباً إياه ومقرعاً له ومتهماً إيَّاه بأنه هو السبب في كل ما يجري لبني إسرائيل وأنه مقـصرٌ تجـاه

---

(١) الخروج (٥/٣).
(٢) الخروج (٥/ (٦ –٧).

الشعب الضعيف[١]، قال موسى لربِّه: **(يا سيِّد لماذا أسأت إلى هذا الشعب؟؟ لماذا أرسلتني؟؟ فإنه منذ دخلت إلى فرعون لأتكلم بإسمك أساء إلى هذا الشعب وأنت لم تخلص شعبك)**[٢].

المطلب الثاني: ميثاق الله مع بني إسرائيل

بعدما ضجَّ الإسرائيليون لموسى، وضجَّ موسى لربه وعاتبه على تقصيره تجاه بني إسرائيل – كما تزعم التوراة – طمأن الله موسى بأنه سوف يفي بالعهد الذي قطعه على نفسه تجاه بني إسرائيل، والذي كان أبرمه مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام، ومقتضى هذا العهد أن يعطيهم الله أرض كنعان لهم ولذريتهم من بعدهم أبد الدهر، وكنعان تعني الأرض المنخفضة، وبالعبرية تعني بلاد الأرجوان، وقد أُستخدم اسم كنعان في أوَّل الأمر للدلالة على غربي فلسطين ثم أصبحَ اللفظ علماً على ما هو متعارفٌ عليه جغرافياً باسم "فلسطين" وعلى قسم كبير من سوريا[٣]، وبحسب التوراة فقد نسي الله هذا العهد مُدَّةً من الزمن ثم عاد بعد ذلك ليتذكره[٤]، وبحسب التوراة كذلك تصبح هذه الأرض ملكاً للإسرائيليين طيلة الزمان، بالإضافة إلى أن الله سيتخذهم شعباً مختاراً، ويكون لهم إلهاً، وسيخرجهم من ذلهم واستعبادهم من قبل المصريين[٥]، ومن الملاحظ على كلام التوراة هذا أنها ذكرت أن الله أعطى الإسرائيليين كل هذه الامتيازات " فهم شعب الله المختار وأعطاهم أرض كنعان....." دون أن تذكر الاستحقاق والثمن الذي قدَّمه الإسرائيليون حتى استحقوا كل هذا العطايا والمميزات، فلا نجد ذكراً لأي سبب من أسباب التمكين، أين إيمانهم؟؟ أين تضحياتهم؟؟ أين صبرهم على الابتلاءات؟؟ بل على العكس من ذلك تذكر التوراة أموراً من شأنها الحطٌ من قَدْر الإسرائيليين لا رفع مكانتهم، ومنها مخاصمتهم لموسى واتهامهم له بعدما منع فرعون عنهم قليل الأعطيات، وكان هذا في أوِّل اختبار لهم أثناء دعوة موسى، إلى غير ذلك من المثالب والمفاسد التي تذكرها

(١) البار، الله جل جلاله، ص١٩٩، بتصرف، مرجع سابق.

(٢) الخروج (٥/ (٢٢-٢ ٣).

(٣) المسيري، عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، (١١٥/٤)، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩٩م.

(٤) الخولي، اليهود من كتابهم، ص٧، مرجع سابق.

(٥) انظر الخروج (٦/ (٣-٨).

التوراة في حقِّهم، فهل من قرَّع الرُّسل وخاصمهم واتهمهم بالفساد والإفساد يستحق أن يرث الأرض ويكون لله شعباً مختاراً؟؟!!.

أقول: وكأنَّ هذا المشهد يوحي أنَّ الرب قد أعطى هذه الميِّزات والعطايا لبني إسرائيل إسترضاءً لهم بعد أن سخطوا عليه وعلى رسوله موسى، وكأنه يدلِّلهم ويستعطفهم ويطلب القرب منهم ويشتري سكوتهم، فماذا بعد هذا الدلال؟!!، وبعد كل هذه المحفِّزات فقد رفضوا أن يسمعوا لموسى ولم يصدِّقوا كلامه وأعرضوا عنه، تقول التوراة: **(فكلم موسى هكذا بني إسرائيل "أي بما وعدهم به الرب"، ولكن لم يسمعوا لموسى من صغر النفس ومن العبودية القاسية)**[١].

المطلب الثالث: تقديم المعجزات أمام فرعون

أمر الله موسى أن يعيد الكرَّة مَرَّةً بعد مرَّةٍ، ويدخل على فرعون ويطلب منه ثانيةً أن يطلق الإسرائيليين من عبوديته، وكما تقول التوراة فإن الله أخبر موسى مسبقاً أن فرعون لن يستجيب لطلبه برضاه[٢]، وقد نصَّب الله موسى إلهاً لفرعون وجعل من هارون نبياً لموسى، وهو "أي هارون" مكلَّفٌ بالحديث أمام فرعون، وبصناعة المعجزات أمامه وأمام الشعب، تقول التوراة: **(فقال الرب لموسى: أنظر أنا جعلتك إلها لفرعون، وهارون أخوك يكون نبيَّك* أنت تتكلم بكل ما آمرك به* وأخوك هارون يكلِّم فرعون ليطلق بني إسرائيل من أرضه)**[٣]، وهنا يظهر التناقض الواضح بين نصوص التوراة، فكيف يكون موسى رسولاً وإلهاً في آن واحد؟؟ فهل سيكون عابداً أم معبوداً؟؟ وهل جاء موسى ليخرج قومه من عبودية فرعون وذله لهم، أم جاء ليدخل فرعون في عبوديته؟؟ فهذه النصوص تظهر خللاً واضحاً في العقيدة والدين الذي جاء به موسى كما تبيِّن ذلك نصوص التوراة، وقد أرشد الله موسى إلى تقديم معجزة العصا إذا طلب منهم فرعون دليلاً على صدقهم، وعلى هارون أن يأخذ العصا ويطرحها أمام فرعون لتصبح ثعباناً يسعى[٤]، وبعد أن قدَّم هارون عصاه أمام فرعون جمع الأخير السحرةَ فطرح كلٌّ

---

(١) الخروج (٦/٩).
(٢) الخروج (٧/٤).
(٣) الخروج (٧/ (١-٢).
(٤)الخروج (٧/١٠).

واحدٍ منهم عصاه، فصارت العصي ثعابين، ولكن عصا هارون ابتلعت عصيَّهم[١]، ومن هــذا الكلام يتضح أن هارون هو من كلِّف بتقديم المعجزات أمام فرعون وهو الذي تبارى مع السحرة لا موسى عليه السلام، ولا تذكر التوراة أن موسى وهارون قدَّما المعجزة الثانية، وهي معجزة اليد البيضاء، وعلى ما يبدوا فقد اكتفى الإثنان بتقديم معجزة العصا، مع الإشارة إلى أن التوراة ذكرت تقديم معجزة اليد البيضاء أمام الشعب الإسرائيلي قبل الإنطلاق لدعوة فرعون وتكليمــه بشأن إطلاق الإسرائيليين[٢].

المطلب الرابع: سخط الله على فرعون وقومه

كما أخبر الله موسى فقد رفض فرعون الاستجابة لطلبه، وكان منه الكفر والعناد، ولذلك استحق فرعون عقوبات ربَّانية كي تستدرجه لإطلاق الإسرائيليين من قبضته، وكانت أولى تلك العقوبات هي "عقوبة الدم" فقد طلب الله من موسى مَرَّة أخرى أن يذهب إلى فرعــون ويــأمره بإطلاق الإسرائيليين، وأن يأخذ معه العصا التي تحوَّلت إلى ثعبان يسعى، فرفض فرعون طلبه، فعندئذٍ طلب موسى من هارون أن يمدَّ عصاه إلى النهر ويضربه بها فتحــول النهــر إلــى دم، وأصبحت رائحة النهر نتنةً نتيجة لموت الأسماك التي تعيش في ذلك النهر، ثم طلــب الله مــن موسى أن يأمر هارون أن يضرب بعصاه مياه المصريين فتحولت كل مياهم لدمٍ، فلم يــستطع أحدٌ منهم أن يجد ماءً صالحاً للشرب[٣]، واستمر الحال على ذلك سبعة أيام متواصلة، وقد حفر المصريون حُفراً على جانبي النهر كي يستطيعوا الحصول على ماءٍ صالح للشرب[٤]، وبعــد ذلك انطلق موسى إلى فرعون ثانيةً بأمر من ربه، وأعاد عليه طلبه بإطلاق الإسرائيليين مضمِّناً ذلك الطلب تهديداً آخر إلى فرعون مفاده، أنه إذا أصر على موقفه من إطلاق الإسرائيليين فإن الله سيرسل عليهم الضفادع حتى تدخل كلَّ أماكنهم وبيوتهم وفرشــهم، وتــصعد كــذلك علــى أجسامهم مما يفسد حياتهم ومتاعهم[٥]، ومع ذلك فقد أصرَّ فرعون على موقفه فأمر الله موســى

(١) الخروج (١١/٧).
(٢) الخروج (٣٠/٤).
(٣) الخروج (٧/(٢٤ – ٢٥).
(٤) الخروج (٨/(١ –٤).
(٥) الخروج (٨/(٥– ١٦).

أن يأمر هارون بأن يمدَّ يده بالعصا على الأنهار والسواقي، حتى إذا فعل صعدت الضفادع على أرض مصر[1]، وبعد اشتداد الأمر على فرعون وقومه دعا فرعون موسى وهــارون وطلــب منهما بحسب التوراة أن يصليا لربهما كي يرفع عن المصريِّين ما أصابهم به من الضفادع مقابل أن يطلق فرعون سراح الإسرائيليين، وفي اليوم التالي قام موسى وهارون بالصلاة إلى الــرب وطلبا منه أن يرفع الضفادع عن فرعون وقومه، فخرجت كل الضفادع من بيوت المــصريين واستقرت في النهر[2]، وبدل أن ينفِّذ فرعون ما وعد به موسى وهارون نكث عهوده وعاد إلى طبيعته الخبيثة، ونتيجة لذلك فقد أمر الله موسى أن يطلب من هارون أن يمدَّ عصاه إلى تــراب الأرض، فتحَّول تراب الأرض إلى بعوضٍ يهاجم الناس والبهائم، ومع ذلك فقد أصرَّ فرعــون على موقفه، فهدَّده موسى بأن الله سيرسل عليهم "الذُبَّان" –حسب تعبير التوراة– حتــى تمتلــئ بيوت المصريين ذبَّاناً، فرفض فرعون إطلاق الإسرائيليين، فأرسل الله علــيم الــذبَّان بأعــدادٍ كبيرة، حتى أفسد عليهم حياتهم ومعيشتهم[3]، والذبَّان هو الذباب، والأصوب أن نقــول الــذباب وليس الذبَّان، والذباب كلُّ حشرةٍ طائرةٍ، حيث يطلق على النمل وغيره من الحشرات الطــائرة، كما ويطلق الذباب على الطاعون[4]، أمَّا البعوض فهو جنسٌ معينٌ من الحشرات المضرة مــن ذوات الجناحين، ويطلق عليه العامَّةُ "الناموس" ويطلق البعوض على البقِّ أيضاً[5]، وعلى كــلٍ فإن هذه الحشرات بجميع أنواعها مؤذيةٌ للإنسان والحيوان، فهي تحمــل وتنقــل الكثيــر مــن الأمراض والأوبئة، ممَّا يعرِّض الكثيرين للإصابة بالأمراض المختلفة، وقد حما الله الإسرائيليين كما تقول التوراة من كل ما أصاب به المصريين من ألوان العذاب وأصنافه، وكان الإسرائيليون يعيشون في منطقة جاسان، وهي منطقةٌ خصبةٌ في دلتا النيل الشرقية بمصر، وكانــت مكانــاً مناسباً للحياة حيث تتوفَّر فيها مقوِّمات الحياة الأساسيَّة من الكلأ والماء، وكانت قريبة من بلاط

---

(١) الخروج (٨/(٥ – ٦).

(٢) الخروج (٨/ (٨ – ١٤).

(٣) الخروج (٨/١٥ –١٢).

(٤) إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، مادَّة "ذبَّ"، (١/٣٢٠)، مرجع سابق، وانظر ابن منظور، لسان العرب، "باب الباء"، (١ /٣٨٢)، مرجع سابق.

(٥) المرجع السابق، مادّة بَعَضَ، (١/ ٦٥)، وابن منظور، لسان العرب، مادة بَعَضَ، (٧/١٢٠)، مرجع سابق.

فرعون[1]، وعندما اشتد الأمر على فرعون وقومه دعا فرعون موسى وهارون وقــال لهمــا: **(اذهبوا واذبحوا لإلهكم في هذه الأرض "أي أرض مصر)**[2]، وكانت هذه مناورةً من فرعــون، فهو لم يسمح للإسرائيليين بالخروج من مصر وهو ما كان يطالب به موسى، وإنما سمح لهم أن يذبحوا لربهم في أرض مصر مع بقائهم فيها، ولكن موسى رفض هذا الأمر، وطلب من فرعون أن يطلق الإسرائيليين مسيرة ثلاثة أيام في الصحراء، وبعد جدال طويل بين موسى وفرعــون سمح الأخيرُ بخروج بني إسرائيل، لكن بعد أن يرفع ربُّ موسى العذاب عن المصريين، وكانت هذه خديعة أخرى من فرعون، فما أن رفع العذاب حتى عاد لإمساك الإسرائيليين في قبــضته، ورفض السماح لهم بالخروج من أرض مصر[3]، فأرسل الله وباءً شديداً قتــل جميــع مواشــي المصريين دون أن يمسَّ مواشي الإسرائيليين بسوء، ومع ذلك لم يطلق فرعون الإســرائيليين، فأرسل الله على المصريين غباراً كان من نتائجه ظهور الدمامل والبثــور علــى المــصريين ومواشيهم، ومع ذلك بقي فرعون مصِّراً على موقفه، فأرسل الله عليهم البرد الشديد والرعــود القويَّة، فمات من الناس والبهائم ومن أصيب بالبرد والرعود والنار الناتجة عن الرعود، وكــل هذا ما لم يعهده الناس في ذلك الزمان والمكان، وضرب البردُ جميع العــشب وكــسَّر جميــع الأشجار[4]، وهنا حدث تغيُّر ملحوظٌ في لهجة فرعون تجاه موسى وأخيه، فاعترف بأنــه هــو المخطيء، وأنه وشعبه الأشرار، وأن الله "رب موسى" هو البار[5]، فهــذه أوّل مَــرَّةٍ يعتــرف فرعون بالخطأ ويعترف بأن الله هو المحسن، وذلك بعدما كان يعتد برأيه ولا يرضى قبول رأي من أحد غيره، ويلحظ من هذا كما يظهر من خلال دراسة نصوص التوراة أن العــذاب الــذي أرسل عليهم قد ازدادت حدَّته وقوّته، فبعد أن كان يتعرض في بداية الأمــر لإفــساد حيــاتهم والتنغيص عليهم، أصبح الآن يتعرض لحياتهم بالأمراض والأوبئةِ الفتاكة، فغدت أرواحهم فــي خطر جسيم، وهــذه الأمــراض قضت على كثيــر من الشعب مما أفزع فرعون وأخافه ممــا جعله يعترف بالخطأ ولو ظاهرياً، وبوجود الرب وإحسانه، ومن ثمَّ قدَّم لموسى الوعــد ثانيــة

---

(١) دار المنهل، موسوعة الكتاب المقدس، ص٩٧، إصدار دار المنهل، بيروت، ١٩٩٣.

(٢) الخروج (٨/٢٥).

(٣) انظر الخروج (٨/ (٢٥ –٣٢).

(٤) الخروج (٩/(٦ – ٧).

(٥) الخروج (٩/(٢٧ – ٢٨).

بإطلاق الإسرائيليين بعد أن يرفع الربُّ العذاب عنهم، ولكنَّه كعادته نكث العهد ثانيـــةً، فهـــدَّده موسى أن الله سيرسل عليه وعلى شعبه الجراد الذي سيغطي وجه الأرض ويأكل جميع الشجر النَّابت مما سيصيبهم بالقحط والجدب والجوع الشديد[١]، فرفض فرعـــون إطلاقهـــم فحقَّـــق الله لموسى ما وعد به، فأرسل الجراد على المصريين، فضجَّ الناس وانطلقوا إلى فرعون طـــالبين منه أن يطلق رجال الإسرائيليين ليعبدوا الرب إلههم[٢]، ونلاحظ أن هذه أوّل مرةٍ يـــتكلم القـــوم فيها مع فرعون ويقدِّموا له احتجاجاً على شكل اقتراح بإطلاق رجال الإسرائيليين، وهذا إن دلَّ على شيء فإنه يدلُّ على شدِّةِ ما أصابهم من العذاب الذي أنزله الله عليهم بسبب طيغانهم، ومن جهةٍ أخرى يدل على الاستبداد والدكتاتورية التي يحكم بها فرعون قومه، فهو المسيطر على كل أحوالهم حتى أنه أصبح يتحكم بآرائهم وأفهامهم، وحياتهم وأرواحهم غدت ملكاُ في يديه يتصرف فيها كيفما شاء، وقد احتج القوم عليه بأن أرض مصر قد خربت وأصبحت لا تـــصلح للحيـــاة بسبب الجدب وكثرة الأمراض والأوبئة التي أصابت الناس، فقد ضعفت بهائمهم نتيجةً للجـــدب والأمراض، ومات جزءٌ كبيرٌ منها، ومع ذلك يصرُّ فرعون على عدم إطـــلاق الإســـرائيليين، فأشاروا عليه بالسماح لرجالهم بالخروج[٣]، ولكنَّ موسى رفض هذا العرض، وأصرَّ علـــى أن يخرج كل الشعب رجالاً ونساءً، كباراً وصغاراً، ومع بهائمهم وأغنامهم، وبعد جدال مريرٍ مـــع فرعون، أصرَّ فرعون على موقفه من إبقاء النساء والأطفال والسماح للرجال فقط بـــالخروج، وذلك خوفاً من عدم عودتهم إذا خرجوا جميعاً، وعندئذٍ من سيقوم بخدمه فرعون ويحقـــق لـــه مطالبه وأهدافه، ولأن موسى عندها يستطيع أن يبلغ دينه ودعوته ويغرسها في قلوب أتباعـــه، ولن يعودوا تبعاً لفرعون، ولكنَّ موسى بقي مصراً على طلبه، فطرد من قصر فرعون مع أخيه هارون، فحقق الله وعده بأن أرسل على المصريين أسراب الجراد فأكلت ما تركه البـــرد مـــن عشب الأرض وخضرتها، وغطَّى الجراد وجه الأرض حتى أظلمت، فدعا فرعون موسى وأخاه وطلب منهما أن يصفحا عنه لآخر مرَّة، وأن يصليا للرب لكي يرفع عنهم العذاب والجـــراد[٤]،

---

(١) الخروج (١٠/ (٣ – ٧).
(٢) الخروج (١٠/ ٧).
(٣) الخروج (١٠/ ١٠).
(٤) انظر الخروج (١٠/ (١٢ – ١٦)

ففعلا فأرسل الله ريحاً غربيَّةً شديدةً جداً، فحملت الريح الجراد، وطرحته في "بحر سـوف"[١]، ومع ذلك كله فقد نكث فرعون عهده ولم يطلق الإسرائيليين[٢]، فأرسل الله عليهم الظلام الدَّامس، واستمر هذا الظلام ثلاثة أيام، حتى لم يستطع أحدٌ أن يبصر الذين حوله من الناس، ولم يستطع أحد أن يقوم من مقامه مُدَّة ثلاثة أيام، ولكنَّ الإسرائيليين لم يغطِّهم هذا الظَّلام، وكان لهم نـورٌ في مساكنهم[٣]، فعاد فرعون مرَّةً أخرى لمفاوضة موسى، وانتهت تلك المفاوضات بأن سـمح فرعون للإسرائيليين جميعاً بالخروج شريطة أن يتركوا أغنامهم ومواشيهم، فرفض موسى هذا العرض وأصرَّ على إخراج المواشي أيضاً، فرفض فرعون ذلك، وفي هذه المرة طلب فرعون من موسى أن لا يريه وجهه مرَّةً أخرى، فوافق موسى على ذلك وقال له موسى: **(أنا لا أعود أرى وجهك مرَّةً أخرى)**[٤].

المطلب الخامس: الربُّ يوجِّه ضربةً قاصمةً للمصريين

أخبر الله موسى أنه سيوجه ضربةً قاسيةً إلى فرعون وقومه، ونتيجـةً لهـذه الـضربة سيقوم فرعون بطرد الإسرائيليين طرداً من أرض مصر، لا إخلاءً لسبيلهم ولكن تخلُّصاً مـنهم كونهم السبب في الضربات المتلاحقة التي وجهت للمصريين، **(ثم قال الرب لموسـى ضـربةً واحدةً أيضاً أجلب على فرعون وعلى مصر بعد ذلك يطلقكم من هنا، وعندما يطلقكم يطـردكم من هنا بالتمام)**[٥]، وكانت هذه الضربة تتلخَّص في أن ينزل الرب إلـى أرض مـصر لـيلاً وعندها يقوم بقتل كل بكر من قوم فرعون، ومن ضمنهم ابن فرعون البكر، وكذلك يقتـل كـل بكور الحيوانات والمواشي، وعندها تمتلئ بيوت المصريين حزناً وغماً لموت بكورهم، وذلـك جزاءً وفاقاً على ظلمهم للإسرائيليين، وكما تقول التوراة فقد طلب الله من الإسرائيليين مساعدته في تمييز بيوتهم عن طريق وضع علامات خاصة عليها بالدم، وذلك حتى يتجنب الـرب قتـل

---

(١) هو البحر الأحمر ومعنى الاسم بالعبرية بحر القصب، انظر، منهل الحياة، موسوعة الكتاب المقدس، ص٦٣، مرجـع سابق.

(٢) الخروج (١٠/ ٢٠).

(٣) الخروج (١٠/ (٢١– ٢٢).

(٤) الخروج (١٠/ ٢٩).

(٥) الخروج (١/١١).

بكورهم تقول التوراة: **(فإني أجتاز في أرض مصر في هذه الليلة وأضرب كل بكر في أرض مصر من الناس والبهائم... ويكون الدم لكم علامةً على البيوت التي أنتم فيها فأرى الدم وأعبر عنكم...)**[١]، وهنا يضرب الرب موعداً لبني إسرائيل ليوجِّه الضربة فيه لأعدائهم المصريين وكونه عاجزاً عن التمييز بين بيوتهم وبيوت أعدائهم فقد طلب مساعدتهم في تميزها وذلك بوضع دم عليها[٢]، ويشكل هذا النص التوراتي أنموذجاً من نماذج جهل الإله في نظر اليهود، حيث يعتقد اليهود أنَّ صفة العلم عند الإله ليست صفة انكشاف عامٍ لكل ما كان وما يكون، وإنما هي صفةٌ محدودةٌ، فالله – في ظنهم – قد يعلمُ بعض الأشياء على غير وجهها الصحيح، ثم يبدو له خطؤه فيغير من خطته ويعدل عمَّا عزم عليه[٣]، فالله هنا يعجر عن تعيين بيوت الإسرائيليين دون مساعدة، فهو محتاج لغيره، ولمن؟؟ للبشر الذين خلقهم بيده!!! وما هذا إلاَّ تمام الضعف والقصور، وقبل توجيه الضربةِ طلب الله من موسى أن يخبر قومه بأن عليهم أن يطلبوا الملابس والذهب من المصريين، حتى إذا أُذن لم بالخروج أخذوها ولم يعيدوها[٤]، وقد أمر الله موسى كذلك أن يجعل موعد توجيه الضربة للمصريين عيداً على طول الزمان **(ويكون لكم هذا اليوم تذكاراً فتعيِّدونه عيداً للرب في أجيالكم فتعيِّدونه فريضةً أبديَّة)** [٥]، وهذا العيد أصبح يسمى فيما بعد "عيد الفصح" أو "عيد الفطير"[٦]، وهو عيدٌ معتبر عن السامريِّين كذلك " أحدى طوائف اليهود" وهو عيدٌ دينيٌّ نصَّت عليه التوراة وهو أوَّل أعيادهم[٧]، ويطلق عليه بالعبرية "بيساح" ويسمى أيضاً "عيد الفسح"، أي الفرج بعد الضيق، وكلمة الفسح كلمةٌ عبريَّةٌ تعني العبور أو المرور أو التخطي، وذلك نسبة إلى عبور "الرب" ملك العذاب فوق منازل العبرانيّين دون المساس بهم بأي أذى[٨]، وهذا العيدُ يحتفل به اليهود في اليوم الرابع عشر من الشهر الأوَّل من سنتهم الدينية، وهو شهر نيسان، ويمتد احتفالهم به سبعة أيام بعد يوم

(١) الخروج (١٢/ (١٢– ١٣).

(٢) الخولي، التحريف في التوراة، ص٣٥، بتصرف، مرجع سابق.

(٣) سعد الدين، العقيدة اليهودية، ص٣١٤، مرجع سابق.

(٤) انظر سفر الخروج (١١/ ٢).

(٥) الخروج (١٢/ ١٤).

(٦) ماستر فيديا، التفسير التطبيقي، ص١٥٢، مرجع سابق، وعرفات عبد المجيد فتاح، اليهودية عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية، ص١٣٨، دار عمار، الأردن، ودار البيارق، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

(٧) انظر الشريدة، محمد حافظ، وغوراني، عمر عبد الخالق، الطائفة السامرية، ص٩٣، ط١، ١٩٩٤م.

(٨) السعدي، غازي، الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، ص١٤، وما بعدها، دار الجيل، عمان، ط١، ١٩٩٤م.

العيد نفسه، وينتهي احتفالهم به في اليوم الحادي والعشرين من شهر نيسان[1]، ولهذا العيد عند اليهود طقوس كثيرةٌ لا مجال للخوض فيها لئلاً تخرج بنا عن صلب الموضوع في البحث[2]، وعندما جاء موعد توجيه الضربة نزل الرب إلى الأرض، وضرب كل بكر في أرض مصر "من بكر فرعون الجالس على كرسيِّه إلى بكر الأسير الذي في السجن، وبكر كل بهيمةٍ أيضاً"[3]، وهذا يعني أن الرب لم يستثن من بكور المصريين أحداً، فقد مات كل بكورهم، من بكر زعيمهم فرعون حتى بكر الذليل الأسير الذي يقبع في سجون فرعون، ولم يكتف الرب ببكور البشر، فقد امتدت يده لتنال بكور المواشي والحيوانات، فقد جمعت الضربة بين الخسارة البشرية والخسارة المادية مما زادهم إيلاماً وتوجعاً، فضجَّ فرعون نفسه وضجَّ معه الناس من حوله، فدعا موسى وهارون على عجلةٍ ليلاً وقال لهما: (**أُخرجا من بين شعبي أنتما وبنو إسرائيل، واذهبوا واعبدوا الرب كما تكلمتم خذوا أغنامكم أيضاً وبقركم كما تكلمتم واذهبوا وباركوني أيضاً وألحَّ المصريون على فرعون ليطلقهم عاجلاً من الأرض لأنهم قالوا جميعنا أموات**)[4]، وقد استغل الإسرائيليون هذه الضربة الموجعة والتي أجبرت فرعون على السماح لهم بالخروج جميعاً لعبادة الرب، فحملوا متاعهم والأموال والحلي التي أخذوها على سبيل الإعارة من المصريين وأضمروا سرقتها في نفوسهم "كما أمر الرب"، وكان رحيلهم كما تذكر المصادر من مدينة "رمسيس"[5]، وهي مدينة مصرية قرب الساحل على الجانب الشرقي من دلتا النيل، وكانت هذه المدينة قبل ذلك تدعى "أفارين" العاصمة الشمالية لفراعنة الهكسوس، وهي مدينة بناها الإسرائيليون غصباً وإجباراً عندما كانوا يعيشون في ظل عبودية الفراعنة[6]، وقد رحل

---

(1)علي عبد الواحد وافي، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ص٣٤، دار نهضة مصر، القاهرة.

(2) انظر التفاصيل، السعدي، الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، ص١٤، مرجع سابق، وانظر الشنطي، عماد الدين عبد الله، اليهودية والمسيحية في الميزان، ص١١٩ وما بعدها، دار المناره، ط١، ٢٠٠٤م، وانظر عرفات فتاح، اليهودية عرض تاريخي، ص١٣٨، مرجع سابق.

(3) الخروج (٢٩/١٢).

(4) الخروج (٣١/١٢-٣٣).

(5) الخروج (٣٧/١٢).

(6) أنظر دار منهل الحياة، موسوعة الكتاب المقدَّس، ص١٥٨، بتصرف، مرجع سابق.

الإسرائيليون إلى مدينه "سكُّوت" وهي مدينةً مصرية حط فيها بنو إسرائيل رحالهم أوَّل مَرَّةٍ بعد خروجهم من مصر[1].

أقول: أقف عند هذه النقطة في حديثي عن مرحلة الدعوة والمواجهة التي خاضها موسى مع فرعون بعدما كلف بالرسالة كما بينتها نصوص التوراة، كونها النقطةُ التي انقطعت عندها دعوة موسى إلى فرعون بعد أن استطاع أن يرحل مع بني إسرائيل من أرض مصر، ولم يرجع بعدها لدعوة فرعون لأنه أيقن أن شخصاً مثل فرعون رأى الكثير من المعجزات بأمِّ عينيه ولم يؤمن بدعوته، فهذا الشخص لن يسلك الخير إلى قلبه طريقاً، وسأكمل الحديث عمَّا تبقى من قصة موسى مع فرعون في الفصل الرابع من هذا البحث إن شاء الله عند حديثي عن مرحلة الخروج، وما جرى فيها من أحداث.

---

(١) المرجع السابق، ص ١٧٩.

المبحث الثالث: الدعوةُ ومواجهة فرعون بين القرآن والتوراة

من خلال دراسة مرحلة الدعوة والمواجهة بين موسى وفرعون في نصوص القرآن والتوراة نجد أن توافقاً يسيراً قد حصل بين الكتابين في بيان أحداث هذه المرحلة، واختلافاً كبيراً في الكثير من تفاصيل هذه المرحلة، وسأبيِّن في هذا المبحث أوجه الاتفاق والاختلاف بين القرآن والتوراة في حديثهما عن مرحلة الدعوة والمواجهة بين موسى وفرعون، حيث أبين أوجه الاتفاق أولاً ثم أوجه الاختلاف بعد ذلك.

المطلب الأوّل: أوجه الاتفاق بين الكتابين في مرحلة الدعوة

حال الإسرائيليين عند البدء في الدعوة

أشار القرآن إلى أن بني إسرائيل كانوا في حالة العبودية المطلقة لفرعون عندما صدح موسى بالدعوة إلى الله في وجه فرعون، ونقرأ ذلك في توجيهه تعالى إلى موسى وهارون قبل الإنطلاق للبدء بالدعوة ﴿ **فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ** ﴾[١]، أي أطلق سراحهم من الأسر والعبودية، وسرِّحهم معنا إلى وطننا ولا تعذبهم بإبقائهم على ما هم عليه من التسخير والتذليل في الأمور الشاقة[٢]، ولو لم يكونوا تحت عبوديته لكان طلب الله من موسى أن يطلب من فرعون أن يطلق سراحهم من عبوديته عبثاً، وحاشى لله أن يكون ذلك، وقد وردت في التوراة نصوصٌ تبيِّن أن بني إسرائيل كانوا تحت عبودية فرعون وغطرسته، ويظهر من خلال دراسة التوراة أن هدف موسى الأوّل كان إطلاق سراح الإسرائيليين من عبودية فرعون واستغلاله لهم وأن فرعون كان يحمِّلهم مالا يطيقون من الأشغال والأعمال الشاقَّة، تقول التوراة على لسان فرعون: **(ليثقل العمل على القوم حتى يشتغلوا به ولا يلتفتوا إلى كلام الكذب)**[٣]، وكان هذا الأمر بعد اللقاء الأوّل الذي جرى بين موسى وفرعون، وطلب

(١) طه (٤٧).
(٢) القاسمي، محاسن التأويل، م٧ (ج١١/١٢٧)، مرجع سابق.
(٣) الخروج (٥/٩).

فيه موسى من فرعون إطلاق سراح الإسرائيليين، فكان الردُّ زيادة الأعباء علـيهم وتحمـيلهم المشاق[١].

رفض فرعون إطلاق سراح الإسرائيليين

كثيرةٌ هي النصوص في الكتابين التي تدلُّ على أن فرعـون رفـض إطـلاق سـراح الإسرائيليين من عبوديته، وتحريرهم من قيودهم وأغلالهم، فقد بيَّن القرآن أن فرعون قابل دعوة موسى له بأن يطلق الإسرائيليين، بتدبير مؤامرةٍ لقتله، وذلك بعـدما اتهمـه بالـسحر ورمـاه بالجنون، وادعى بأن هدف موسى من ادعائه الرسالة هو الحصول علـى الـسيادة والرئاسـة ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ﴾[٢]، وهو إنما أراد قتل موسى لأمورٍ كثيرةٍ منها: إنهاء دعوته التي تقوم على العبودية المطلقة لله وبالتالي تحرير الإسرائيليين من عبوديـة فرعون، ومحاولة قتل موسى تشير إلى رفض فرعون إطلاق الإسرائيليين من قبضته، والتوراة تشير كذلك صراحةً إلى رفض فرعون إطلاق الإسرائيليين حيث تقول: **(فقال فرعون من هـو الرب حتى اسمع لقوله فأطلق إسرائيل؟*الرب لا أعرفه وإسرائيل لا أطلقه)**[٣].

تذمُّر الإسرائيليين من دعوة موسى

أشار كل من القرآن والتوراة إلى أن جزءاً من الإسرائيليين قد تذمَّروا من دعوة موسى عندما زاد عليهم فرعون سخطه بعدما بلَّغه موسى دعوة ربِّه، فقد ثار بعض الإسرائيليين علـى موسى متهمينه بأنه السبب في ازدياد تسلط فرعون عليهم، وكأنَّ فرعون كان بهم رحيماً، وإليهم محسناً قبل مجيء موسى بالرسالة!!، قال تعالى على لسان بني إسرائيل مخـاطبين موسـى: ﴿ قَالُوٓا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ﴾[٤]، وتذكر لنا التوراة مشهداً مشابهاً يصوِّر حال الإسرائيليين عندما زاد عليهم فرعون أعباء العمل **(وصادفوا موسـى وهـارون واقفـين للقائهم حين خرجوا من لدن فرعون* فقالوا لهما: ينظر الرب إليكما ويقضى لأنكما رائحتنـا**

---

(١) الخروج (٥/ (١ –١١).
(٢) غافر (٢٦).
(٣) الخروج (٥/٢).
(٤) الأعراف (١٢٩).

في عيني فرعون وفي عيون عبيده حتى تعطيا سيفاً في أيديهم ليقتلوناً)[1]، وفي موقف آخر تشير التوراة إلى تذمُّرهم وإعراضهم عن سماع كلام موسى، وعدم ثقتهم بدعوته ونصر الله الموعود لهم **(... فكلم موسى هكذا بني إسرائيل- أي بما أمره الله به – ولكن لم يسمعوا لموسى من صغر النفس ومن العبودية القاسية)**[2]، وهكذا نستطيع أن نخلص إلى صفة عامة من صفات بني إسرائيل من خلال نصوص القرآن والتوراة، ألا وهي عدم الثبات وانعدام الصبر وكأنهم يظنون أن طريق الحق والنصر والتمكين تأتي على أرض مفروشةٍ بالورود والرياحين، دون حاجةٍ إلى الصبر والثبات ودون تضحيات، فما أن أوذوا في سبيل الله حتى ضعفوا واستكانوا، وضجوا إلى موسى متهمين إياه بأنه السبب في شقائهم وبؤسهم وازدياد مآسيهم.

فرعون ناكث العهود

نكث العهود صفةٌ يثبتها الكتابان في حق فرعون، فكلَّما أعطى موسى وقومه عهداً بأن يطلقهم ويخلي سبيلهم مقابل أن يرفع الله العذاب عنه وعن قومه، يعود لينكث عهده وينسى رحمة الله له، وقد أشار القرآن إلى هذه الصفة في قوله تعالى: ﴿ **وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُواْ يَـٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ * فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَـٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ** ﴾[3]، وقد خصَّصتُ فرعون بنكث العهود دون قومه مع أنهم يشتركون معه في ذلك كونه صاحب الكلمة الأولى والأخيرة في قومه، فهو الآمر النَّاهي، وهو الذي يقرُّ الأمور ولا يشاركه في ذلك أحد، فأمره أمرهم وهواه هواهم، وقد أشارت التوراة إلى هذه الصفة الملازمة لشخصية فرعون في مواطن عديدة منها ما ذكرته في حال إرسال الضفادع على فرعون وقومه **(فدعا موسى وهارون وقال صليا إلى الرب ليرفع الضفادع عني وعن شعبي فأطلق الشعب ليذبحوا**

---

(١) الخروج (٥/ (٢٠ – ٢١).
(٢) الخروج (٦/٩).
(٣) الأعراف (١٣٤ – ١٣٥).

للرب.... فلما رأى فرعون أنه قد حصل الفرج أغلظ قلبه ولم يسمع لهما بما تكلم الــرب)[١]، أي نكث عهده ولم يطلق الإسرائيليين من عبوديته.

موسى في قفص الإتهام

يعمد الباطل دائماً إلى تشويه صورة الدعاة إلى الله أمام الجموع حتى يحول ذلك بيــنهم وبــين الإيمان بدعوتهم، وقد استخدم فرعون صوراً شتى من الإتهامات في حق موسى محاولاً إلصاقها به لتشويه صورته وصدٍّ الناس عن دعوته، وقد أشير إلى هذه الاتهامات في كل مــن القــرآن والتوراة، فقد أشار القرآن إلى اتهام موسى بالجنـــون ﴿ **قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٌ** ﴾[2]، وتارة أخرى بالــسحر ﴿ **قَال لِلۡمَلَإِ حَوۡلَهُۥٓ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ** ﴾[٣]، وتــارة أخرى يتهمه بأن غرضه من الدعوة هو الإفساد في الأرض، ونقرأ ذلك في قوله تعــالى علــى لسان فرعون متهماً موسى ﴿ **إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِى ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ** ﴾[٤]، وتشير التوراة كذلك إلى أن فرعون جمع السحرة ليواجهوا سحر موسى كما اعتقد فــي نفــسه **(فدعا فرعون الحكماء السحرة)**[٥]، وقد اتهم موسى بالإفساد عن طريق تعطيل الــشعب عــن عمله وواجباته، وهذا وجهٌ من وجوه الإفساد **(فقال لهما ملك مصر لماذا يا موســى وهــارون تبطلان الشعب عن أعماله؟)**[٦].

المطلب الثاني: أوجه الاختلاف بين الكتابين في مرحلة الدعوة

قبل الحديث عن أوجه الاختلاف التي وقعت بين القرآن والتوراة عند الحديث عن دعوة موسى لفرعون وقومه للإيمان بالله والتصديق برسالته، لا بُدَّ من الإشارة إلى أن هذه المرحلــة اشتملت على كثيرٍ من الاختلافات والفوارق الجوهرية الأساسية في مختلف القضايا، سواء فــي

(١) انظر الخروج (٨/ (٨ – ١٥).
(٢) الشعراء (٢٧).
(٣) الشعراء (٣٤).
(٤) غافر (٢٦).
(٥) الخروج (٧/ ١١).
(٦) الخروج (٥/٤).

حق الإله أو حق موسى، أو شخصية فرعون، أو الشخوص الذين رسموا أحداث هذه المرحلة، أو تفاصيل الأحداث نفسها.

الاختلاف في حقيقة دعوة موسى

ككل الرسل أرسل الله موسى ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، وكي يرشدهم إلى طريق الحق ويصرفهم عن طريق الضلال، قال تعالى ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ** ﴾ [1]، وفي موضع آخر قال له:﴿ **ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ** ﴾[2]، فقد كانت دعوة موسى موجهةً لأُمَّتين مختلفتين، الأمة المصرية الحاكمةُ والأمة الإسرائيلية المحكومة المقهورة[3]، ولم تقتصر الدعوة على الإسرائيليين وحدهم أو الأقباط وحدهم، وهذا ما دلَّت عليه نصوص القرآن السابقة الذكر، وكانت دعوةُ موسى تسير بصورة متوازية تجمع بين دعوة فرعون وقومه الأقباط، والإسرائيليين قوم موسى، وذلك لأنَّ الحق لا يقتصر على أمة دون أمة، بل هو عام لكل الناس بصرف النظر عن ألوانهم وأجناسهم ولغاتهم، ولكننا نلاحظ أن التوراة أهملت هذا الجانب بالكلية، فالقارئ المتبصِّر لنصوصها يخيَّلُ إليه أن موسى أُرسل بهذه الدعوة لتحرير الإسرائيليين فقط، فلم تشر التوراة لدعوة فرعون إلى الهداية، ويظهر ذلك من خلال اللقاء الأوَّل الذي حصل بين موسى وفرعون، فبدل أن يعرض عليه الإسلام والإيمان بالله تعالى كما أشار القرآن في كثير من آياته كما في قوله تعالى ﴿ **ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ * فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ** ﴾[4]، فالتوراة قصرت دعوة موسى على طلبه من فرعون أن يطلق الإسرائيليين من قبضته، وكأنَّ الدعوة سُخِّرت لخدمة الإسرائيليين دون النظر إلى الشعوب والأمم الأخرى، مما يعيد إلى الأذهان سياسة "الأنا" والنزعة القومية، ومقولة "شعب الله المختار" وغيرها.

---

(١) إبراهيم (٤).

(٢) طه (٢٤).

(٣) طهماز، عبد الحميد محمود، الأسباب والمسببات في سورة الرعد والدعوة والهداية في سورة إبراهيم، ص ٦٨، دار القلم، دمشق والدار الشامية، بيروت ط١، ١٩٩٤م.

(٤) النازعات (١٧- ١٩).

في القرآن تفاصيل أكثر عن اللقاء الأوّل مع فرعون

ذكر القرآن الكريم تفاصيل اللقاء الأوّل الذي جرى بين موسى وفرعون، بينما اقتصرت التوراة على ذكر طلب موسى الأساسي من فرعون في ذلك اللقاء، وهو إطلاق الإسرائيليين من عبوديته، ورفض فرعون لهذه الدعوة، واتهامه موسى بأنه يريد أن يوقف خدمة الإسرائيليين لفرعون[١]، بينما تعرض القرآن لتفاصيل كثيرة وذكر عدد من الأمور والأحداث، فذكر تعريف موسى بحقيقة دعوته التي جاء بها، وذكر المحاورة التي جرت بينهما في شأن الربوبية، وعرض موسى المعجزات أمام فرعون، واتهام موسى بالسحر نتيجةً لذلك وتهديده بالسجن، وذكرت عرض موسى لمظاهر قدرة الله من خلال خلقه، وتمنُّن فرعون على موسى وردود موسى عليه[٢] وهذا ما لم يرد ذكره في التوراة.

في التوراة هارون صاحب العصا وليس موسى

عندما أشار القرآن للعصا التي تحولت إلى ثعبان عظيم يسعى، لتكون دليل صدق على نبوة موسى، ذكر أن موسى هو الذي قام بإلقاء العصا أمام فرعون وأمام السحرة قال تعالى على لسان موسى: ﴿ **قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ * قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ * فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ** ﴾[٣]، وفي موضع آخر قال تعالى: ﴿ **فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ * قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ * وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ** ﴾[4]، وهذه النصوص واضحة الدلالة في أن موسى هو الذي ألقى العصا وليس أحد غيره، بينما تذكر التوراة أن الذي كان يتولى إلقاء العصا هو هارون وليس موسى[٥]، **(وكلم الرب موسى وهارون قائلاً: إذا كلمكما فرعون قائلاً هاتا**

(١) انظر الخروج (٥/ (١-٥).
(٢) انظر سورة طه (٤٩ – ٥٩)، والشعراء (١٦ – ٣٧).
(٣) الشعراء (٣٠ –٣٢).
(٤) طه (٦٧ – ٦٩).
(٥) الخروج (٧/ ٨ – ١٠).

عجيبةً، تقول لهارون: خذ عصاك واطرحها أمام فرعون فتصير ثعبانا)[١]، وقوله خذ عــصاك صريحٌ بأن العصا لهارون وليس لموسى.

التوراة لا تذكر إيمان السحرة بموسى

يتفق الكتابان أن موسى تبارى مع السحرة في موقف عظيم حضره جمعٌ غفيــرٌ مــن الناس، وأنَّ موسى غلب السحرة، وكان في ذلك نصرٌ للإسرائيليين على المــصريين، لكنهمــا يختلفان في شأن السحرة وما آل إليه حالهم بعدما غلبوا، فالقرآن يذكر أن السحرة آمنوا بموسى وخروا سجداً لرب العالمين، بعدما علموا علم اليقين أن موسى ليس بساحر، وأن فرعون وبَّخهم على ذلك وتوعدهم بالانتقام الشديد ﴿ **فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَـٰجِدِينَ * قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ * رَبِّ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ * قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَـٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾[٢]، بينما لا يرد أيُّ ذكر لإيمان السحرة في التوراة، بل إن ذكر السحرة في التوراة لا يتجاوز ســطراً واحــداً[٣] تقــول التوراة: **(فدعا فرعون أيضاً الحكماء والسحرة* ففعل عَرَّافو مصر بسحرهم كذلك طرحوا كــل واحد عصاه فصارت العصي ثعابين ولكن عصا هارون ابتعلت عصيهم)**[٤]، وهكــذا نــرى أن التوراة لم تشر إلى إيمان السحرة واكتفت بذكر انتصار موسى وهارون عليهم.

معجزة اليد البيضاء

يذكر القرآن أن موسى قدَّم أمام فرعون معجزتين وهما معجزة العصا ومعجــزة اليــد البيضاء، وذلك بعد أن هدَّده فرعون بالسجن إذا اتخذ من دونه إلهاً آخر، ﴿**قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَـٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ * قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ * قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ * فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ* وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ** ﴾[٥]،

---

(١) الخروج (٤/٣٠ –٣١).
(٢) الشعراء (٤٦ – ٤٩).
(٣) البار، الله جل جلاله، ص٢٠٠، مرجع سابق.
(٤) الخروج (٧/ (١١– ١٢).
(٥) الشعراء (٢٩– ٣٣).

بينما لا تذكر التوراة أن موسى قدَّم معجزة اليد البيضاء أمام فرعون واكتفت بذكر معجزة العصا[١]، وقد أشارت التوراة أن هارون قدَّم المعجزتين أمام الإسرائيليين وليس أمام فرعون وذلك قبل أن ينطلق موسى وهارون ليصدحا بالدعوة أمام فرعون وقومه[٢].

سبب اعتراض فرعون على دعوة موسى

ذكر القرآن أن فرعون نصَّب نفسه إلهاً فقال﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾[٣]، فقد جعل نفسه معبوداً، وسَخَّر من حوله لتحقيق هذه الغاية، وهدَّد موسى بالسجن إذا ما اتخذ من دونه إلهاً يُعبد، وهنا تظهر العقدةُ الأساسيَّة في شخصيَّة فرعون كما بينها القرآن، وهي النزعة الفوقيَّة، ودعوى الألوهية عند فرعون كانت تقوم على ما كان يشعر في نفسه من فوقيَّة، وتفوقٍ على الآخرين، ولذلك رفض فرعون أن يؤمن بدعوة موسى كونه سيصبح عابداً لا معبوداً تابعاً لا متبوعاً، ولا تذكر التوراة أن فرعون نصَّب نفسه إلهاً لبني إسرائيل مع إشارتها لتسخيره إيَّاهم في العمل لخدمته وتحقيق مصالحه، ولذلك لم يعترض فرعون على موسى عندما طلب منه أن يطلق الإسرائيليين ليذبحوا للرب بأنهم سيتخذون إلهاً معبوداً من دونه، وإنما كان اعتراضه على أنهم إذا خرجوا فستعطَّل الأعمال التي كانت تناط بهم، ومن هنا يظهر الاختلاف بين الكتابين في بيان السبب الرئيس الذي من أجله رفض فرعون أن يؤمن بدعوة موسى وأن يطلق شعبه من يده.

المؤامرة على قتل موسى

ذكر القرآن المؤامرة التي دُبِّرت في قصر فرعون للخلاص من موسى ودعوته، وكانت هذه المؤامرة تقتضي قتل موسى، وجاءت فكرة قتل موسى على لسان فرعون محتجاً بخوفه على قومه من هذه الدعوة، ومن إشاعة موسى الفساد في الأرض كما يزعم فرعون ﴿وَقَالَ

(١) الخروج (٧/ (٨ –١١).
(٢) الخروج (٤/٣٠ /٣١).
(٣) النازعات (٢٤).

فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ﴾[1]، ولكننا لا نجد ذكراً لهذه المؤامرة في التوراة.

التربية الإيمانية لبني إسرائيل

أشار القرآن أثناء حديثه عن دعوة موسى لبعض الجوانب التربوية التي سلكها موسى مع قومه ليعزِّز الإيمان في نفوسهم، ويطرد الخوفَ والفزع من قلوبهم، فقد أرشدهم للإستعانة بالله والصبر على الحق وذلك عندما قرَّر فرعون وقومه مَرَّةً ثانيةً قتل أبنائهم واستحياء نسائهم فقال لقومه: ﴿ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْ ﴾[2]، أي استعينوا بالله على فرعون وقومه فيما ينوبكم من أمركم، واصبروا على ما نالكم من المكاره في أنفسكم وأبنائكم من فرعون[3]، وكما أرشدهم إلى الحفاظ على الصلاة والتمسك بها، وذلك لأن الصلاة مَفزَعُ كل مؤمنٍ عند الشدائد والنوازل ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوۡمِكُمَا بِمِصۡرَ بُيُوتٗا وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[4]، وذلك لمَّا اشتد بهم البلاء من قبل فرعون وقومه وضيّقوا عليهم، أُمروا بكثرة الصلاة[5]، ولا نجد في التوراة ما يدل على أنَّ موسى سلك طرقاً تربويةً مع قومه أثناء فترة الدعوة، بينما تركز التوراة في حديثها على موضوع واحدٍ وهدف أساسي مركزي، وهو جهد موسى ونضاله من أجل تخليص الإسرائيليين من قبضة فرعون وحكمه.

الإله يطلب مساعدة البشر

تتعرض التوراة للانتقاص من قدسيَّة الرب، والنَّيل من كماله في كثير من المواضع، ومنها ما تذكر التوراة أن الرب طلب مساعدة الإسرائيليين عندما أراد أن يضرب بيوت المصريين، وذلك حتى لا يتضرر الإسرائيليون بسبب هذه الضربة، فطلب منهم أن يضعوا

---

(١) غافر (٢٦).
(٢) الأعراف (١٢٨).
(٣) الطبري، تفسير الطبري م٦ (ج٣٦/١١)، مرجع سابق.
(٤) يونس (٨٧).
(٥) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٢ / ٤٢٨)، مرجع سابق.

علاماتٍ بالدم على بيوتهم[1]، تقول التوراة: **(فإن الرب يجتاز ليضرب المصريين فحين يرى الدم على العتبة العليا يعبرُ الرب عن الباب)**[2]، ويبيِّنُ هذا النص التوراتي عجز الرب عن القيام بأعماله دون مساعدة الآخرين، فهو ناقص القدرة محتاجٌ للبشر الذين خلقهم بيده!! وهو ناقص العلم حتى لا يستطيع التمييز بين الشعوب!!، بينما نرى في الجانب الآخر أن القرآن يثبت صفات الجلال والكمال لرب العزةِ، فهو مستغنٍ عن كل مخلوقاته، وهذه المخلوقات لا تستغني عنه تبارك تعالى، وقد اثبت الله لنفسه صفتي العلم والقدرة، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾[3]، أي علمه قد أحاط بالمخلوقات كلها فلا يغيب عنه منها شيء[4]، ولكي يعلم الناس كنه قدرته وسلطانه، وأنه لا يتعذَّر عليه شيءٌ أراده ولا يمتنع عنه أمرٌ، فهو على ما يشاء قديرِ وليعلم الناسُ أن الله بكل خلقهِ محيطٌ علماً، لا يعزب عنه مثقال ذرةٍ في الأرض ولا في السماء، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر[5]، فأيُّ الكتابين أحق بالاتِّباع، القرآن الذي يثبت الجلال والكمال لله أم التوراة التي لا تنفك عن الانتقاص من قدرة الله وعلمه وإلصاق صفات الضعف به؟؟.

الحديث في التوراة عن الأحساب والأنساب وأعياد الإسرائيليين

عند قراءة قصة موسى مع فرعون من سفر الخروج نجد أن التوراة تتطرق للحديث عن تفاصيل خاصة ببني إسرائيل، فنراها تتحدث عن أنسابهم وأحسابهم ورؤساء بيوتهم وعائلاتهم في زمن إرسال موسى إلى فرعون[6]، وفي الجانب الآخر تتحدث التوراة عن أحد أعيادهم وهو عيد الفصح وتذكر التوراة تفاصيل خاصة بهذا العيد، ابتداءً من أكل اليهود الفطير بدل الخبز

(١) الخولي، اليهود من كتابهم، ص٦، بتصرف، مرجع سابق.
(٢) الخروج (١٢/٢٣).
(٣) الطلاق (١٢).
(٤) البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي، الأسماء والصفات، ص١١٥، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بتصرف.
(٥) المراغي، تفسير المراغي، م١٠ (٢٨/ ١٥٢)، مرجع سابق.
(٦) سفر الخروج (٦/ (١٤- ١٩).

المختمر طوال سبعة أيام، وانتهاءً بالذبح والطقوس الأخرى الخاصة بهذا العيد[1]، ولا يذكر القرآن شيئاً من هذه الأمور، فلا نجد في القرآن تفاصيل عن أنساب الإسرائيليين وأسمائهم ولا ذكراً لأعيادهم ومناسباتهم ولا لطقوس أعيادهم، وإنما يهتم بالعبرة والعظة من قصة موسى مع فرعون مبتعداً عن السرد التاريخي الذي لا يحمل فائدة في ذكره.

شخوص ذكرت في القرآن ولم تُذكر في التوراة

لا بد للحوادث من محدث ولا بد للفعل من فاعل، والمَشاهد التي ذكرت في كلا الكتابين ورسمت أحداث القصة كانت من صنع شخوص، وبعض هذه الشخوص اتفق ذكر التوراة لها مع ما ذكره القرآن الكريم، مثل شخصية موسى وهارون عليهما السلام، وشخصية الطاغية فرعون، وبعض هذه الشخوص ذُكرت في القرآن ولم يرد لها ذكر في التوراة، وهذه الشخوص هي:

أولاً: هامان

ذكر هامان في القرآن الكريم في ستة مواضع[2]، ولم يذكر القرآن الكريم أي تفاصيل عن حياة هذا الرجل، واكتفى القرآن بالإشارة إلى إشراك هامان مع الطاغية فرعون بالإفساد في الأرض وارتكاب الخطايا والآثام، ويظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ** ﴾[3]، كما ويظهر من خلال تدبر آيات القرآن الكريم أنَّ هامان هو أحد المقربين من فرعون، وهو يشكِّل الذراع الأيمن لفرعون، وإليه كانت توكل الأعمال والمهمات الصعبة، فقد أمره فرعون ببناء صرح يصعد من خلاله إلى السماء ليتأكد من وجود إله موسى على حدِّ زعمه ﴿ **وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ** ﴾[4]، ولا يرد ذكر هامان في أسفار التوراة الخمسة، بينما يرد ذكره في سفر أستير[5]، وعاش هامان هذا في

---

(١) انظر تفاصيل ذلك، البار، المدخل، ص٣٠٣، مرجع سابق.
(٢) انظر، محمد عبد الباقي، المعجم المفهرس، ص٩٠٧، مرجع سابق.
(٣) القصص (٦).
(٤) غافر (٣٦).
(٥) انظر سفر أستير، (٣/ (١/ ٣)، وانظر المسيري، الموسوعة اليهودية، (٥/ ٢٦٧)، بتصرف، مرجع سابق.

فارس بعد النفي إلى بابل وتستطيع أستير بدهائها أن تدبر مكيدة وتقتل هامان وزير الملك ويحتفل اليهود بقتله ويجعلونه عيداً لهم وهو ما يسمى اليوم عند اليهود بعيد (النصيب) أو (بوريم) أو عيد المساخر ويصادف الرابع عشر من آذار[١].

ثانياً: قارون

ورد ذكر قارون في القرآن الكريم أربع مرات، مرَّتان منهما في سورة القصص ومرَّة في سورة العنكبوت أثناء الحديث الموجز عن تكذيب الطواغيت الثلاثة: فرعون وهامان وقارون وإهلاك الله لهم، والمرَّة الرابعة في سورة غافر حيث وردت أسماء الطواغيت الثلاثة في سياق إرسال موسى عليه السلام لهم وتكذيبهم له[٢]، وقد قصَّ القرآن قصة قارون مع موسى وقومه كاملة في سورة القصص[٣]، ولا يرد أيُّ ذكر لقارون في التوراة، وإن كانت هناك قصه قريبة إلى حدٍ ما من قصته في النهاية المفجعة، وهي ابتلاع الأرض له ولمن معه، وهذه القصة هي قصه قارح بن يصهار الذي يثور على موسى ويرفض علانيةً نبوته ويتهمه بالكذب على الله، فيدعو موسى ربه فيخسف الله الأرض بقارح بن يصهار ومن معه أمام بني إسرائيل[٤] وتختلف قصه قارون في كل تفاصيلها عن قصة قارح وتشترك فقط معها في النهاية المخيفة[٥].

ثالثاً: مؤمن آل فرعون

قصَّ علينا القرآن قصة الرجل المؤمن من آل فرعون الذي هدى الله قلبه للإيمان وذلك في سورة غافر[٦]، هذا الرجل الذي شكل مع زوجة فرعون المؤمنة الضربة القاسية لطغيان فرعون وجبروته، حيث يمثلان الاختراق العملي الذي حققته دعوة موسى في قلب بيت فرعون،

---

(١) البار، الله جل جلاله، ص١٥٨، مرجع سابق.
(٢) انظر عبد الباقي، المعجم المفهرس، ص٦٩٠، مرجع سابق، وانظر الخالدي، مع قصص السابقين، (١٤٦/٥)، مرجع سابق.
(٣) انظر القصص (٧٦– ٨٣).
(٤) انظر سفر العدد، الإصحاح السادس عشر، وانظر البار، الله جل جل جلاله، ص٢٠٦، مرجع سابق.
(٥) المرجع السابق، ص٢٠٦.
(٦) انظر غافر (٢٧– ٤٦).

وقد سكت القرآن عن اسم هذا الرجل المؤمن وتفاصيل حياته، ومع ذلك لا نجد أيَّ أثــر يــذكر لقصة هذا الرجل المؤمن في نصوص التوراة.

الاختلاف في العقوبات المرسلة على المصريين

نصَّ القرآن الكريم على أن موسى أُرسل إلى فرعون وقومه في تــسع آيــات بينــات، ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ﴾(1)، وكانت هذه الآيات دليل صدق على نبــوة موســى ورسالته، وكانت بعض هذه الآيات مقرونة بالتحدي مثل معجزتي العصا واليد البيضاء، وبقيــة الآيات كانت غير مقرونة بالتحدي، حيث كانت وبالاً على فرعون وقومه نتيجة لتكذيبهم موسى وجحودهم رسالته، وجاء تفصيل ذكر هذه الآيات في سورة الأعراف فــي موضعين،الموضــع الأول: في قوله: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾(٢)، والموضع الثاني في قولــه: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾(٣)، وبنص القرآن فقد كانت آيات العذاب سبعة أصناف وهي: سنين القحط والجدب ونقص الثمرات والــزرع، والطوفــان والجــراد والقمَّــل والضفادع والدم، وفي التوراة اختلاف في بعض العقوبات التي أَرسلت على فرعون وقومه عمَّا ذكره القرآن فقد ذكرت التوراة أن العقوبات التي أُرسلت على فرعــون وقومـــه كانــت الــدم والضفادع والبعوض والذباب والوباء الذي أرسل على المواشي والــدمامل والمطــر والبــرد والرعود الشديدة القاتلة والجراد والظلام وموت الأبكار من البشر والبهائم(٤)، ويتَّــضح لنـــا أن القرآن لم يذكر البعوض والأورام الجلدية والبرد والظلمات وموت كل بكر من البشر والأنعــام التي تصفها التوراة، ومن الملاحظ أن القرآن ذكر العقوبات دون تفصيل يذكر عن كيفية إرسال

---

(١) الإسراء (١٠١).
(٢) الأعراف (١٣٠).
(٣) الأعراف (١٣٣).
(٤) انظر سفر الخروج، (الإصحاح السابع – الإصحاح الحادي عشر).

تلك العقوبات وآثارها ولكن التوراة كانت تفصل بعض الشيء عند الحديث عن تلك العقوبات وما حلَّ بفرعون وقومه من خلالها(١).

ميثاق الله مع بني إسرائيل

تشكل مسألة الميثاق الذي أقامه الرب مع بني إسرائيل محوراً أساسيًّا في التوراة، فلا يكاد يخلو سفرٌ من أسفار التوراة من إشارة مباشرة أو غير مباشرة إلى الميثاق ومدى تمسك بني إسرائيل به(٢)، وهذا العهد كما تذكر التوراة يقضي أن يمنح الرب الإسرائيليين أرض كنعان وهي ما أصبح متعارف عليه جغرافياً باسم "فلسطين" وعلى قسم كبير من سوريا(٣)، وهذا العهد كان الرب قد أبرمه مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وبحسب التوراة فقد نسي الله هذا العهد مدة من الزمن ثم عاد بعد ذلك ليتذكره(٤)، وبمقتضى هذا العهد يتملَّك الإسرائيليون أرض كنعان إلى الأبد دون أن يشاركهم فيها أحد، ودون أن تذكر التوراة أسباب التمكين التي من أجلها أعطى الرب أرض كنعان للإسرائيليين مع أن الإسرائيليين نقضوا العهود مراراً وتكراراً كما تذكر التوراة، إلا أنَّ فكرة العهد بقيت قائمة وستبقى راسخة في معتقداتهم حتى يأتي وعد الله، وفي القرآن الكريم ذكر الله ميثاقه مع بني إسرائيل، قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴾(٥)، وهذا النص القرآني يذكِّر الله فيه بني إسرائيل "اليهود" الذين كانوا يسكنون المدينة بنعم الله عليهم وهي كثيرة لا تعد ولا تحصى، ابتداءً من إنجائهم من فرعون وبطشه وتظليل الغمام لهم، وغيرها من النِّعم(٦)، ويلاحظ من خلال النص نفسه أن الله قد أقام عهداً مع بني إسرائيل وأنه قد فرض عليهم التزامات يجب عليهم أن يفوا بها مقابل أن يحقق الله لهم ما وعدهم به من النصر والتمكين، وهذا ما ذكر في سورة المائدة في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ

---

(١) البار، الله جل جلاله، ص٢٠٢، مرجع سابق.

(٢) عبد الستار قاسم، إبراهيم والميثاق مع بني إسرائيل في التوراة والإنجيل والقرآن، ص٣٩، الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية، القدس، ١٩٩٤.

(٣) المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، (١٥/٤)، مرجع سابق.

(٤) انظر الخروج (٦/ (٣-٨).

(٥) البقرة (٤٠).

(٦) النيسابوري، غرائب القرآن، (٢٧٠/١)، بتصرف، مرجع سابق.

نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾[1]، وهذا العهد والميثاق الذي ذكره الله في كتابه لا يقتصر على بني إسرائيل بل ويشمل المؤمنين في كل زمان ومكان، فأي جماعة تلتزم بشرع الله وتحافظ على حرماته يكون لها التمكين في الأرض ومعنى هذا الكلام أن أيَّ أمة لا تلتزم بهذا النهج القويم سوف يذلها الله ويجعلها في قاع الأمم، ولن يكتب لها النصر والتمكين وبما أن الإسرائيليين لم يلتزموا بما أمرهم الله به، وخرجوا على دينه ورسله وقابلوهم بالتكذيب والإفتراء والبهتان كان حقاً على الله أن لا يحقق لهم ما وعدهم به، وقد أشار الله في كثير من مواضع القرآن الكريم إلى عدم وفاء بني إسرائيل بعهدهم مما استجلب عليهم الغضب والذلة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً ﴾[2] وقال أيضاً: ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾[3]، وبالإضافة إلى نكوصهم عن دخول الأرض المقدسة التي أمرهم الله بالدخول إليها وقتال أعداء الله فيها وقولهم لموسى: ﴿ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾[4].

وبذلك لم يعد بنو إسرائيل مميَّزين ومفضلين عند الله عن بقية الناس كما كانوا في حال إيمانهم وصلاحهم، بل هم كالآخرين الذين لا يؤمنون بالله تعالى ولا يعملون حسب تعليماته، وبهذا يكون قد انتهى مفعول ميثاق الله وعهده مع بني إسرائيل ولم يكتف القرآن بهذا الحد بل شنَّ عليهم هجوماً عنيفاً لأنهم كانوا مثلاً سيئاً للآخرين، قال تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾[5]، وهكذا يتضح لنا الفرق الشاسع بين الميثاق مع بني إسرائيل في القرآن

(١) المائدة (١٢).
(٢) المائدة (١٣).
(٣) البقرة (٦١).
(٤) المائدة (٢٤).
(٥) الجمعة (٥).

والتوراة، فالقرآن ربط الميثاق وحدَّده بالتزام بني إسرائيل بشرع الله، بينمـــا نجـــد أن التـــوراة ألزمت الرب بالعهد والميثاق مع نكوص بني إسرائيل ومخالفتهم أوامره، والقرآن يـــضع بنـــي إسرائيل في ميزان التقوى والصلاح كبقية الشعوب، فهم غير مفضلين على أحد، فهم كغيـــرهم من المؤمنين إذا التزموا وأخلصوا نيّاتهم لله، وفي التوراة نجد النزعة العرقية الواضحة بتفضيل العبرانيين على بقية الشعوب والأمم لأنهم عبرانيون دون التحاكم إلى ميزان التفاضل بـــالتقوى والصلاح.

موسى يعود ثانية لمعاتبة ربه

بعد أن وافق موسى على حمل الرسالة وبعد محاولات عديدة للتنصل من هذه المسؤولية تعود بنا التوراة ثانية لتذكر معاتبة موسى ربه ومجادلته إيَّاه، وذلك بعد أن ضاق قومه ذرعـــاً بمضايقات فرعون لهم بعد أن جاء موسى بالرسالة، فتوجه موسى إلى ربه معاتباً موبخاً، تقول التوراة على لسان موسى مخاطباً ربه: **(يا سيِّد لماذا أسأت إلى هذا الشعب؟؟ لمـــاذا أرســـلتني فإنه منذ دخلت إلى فرعون لأتكلم باسمك أساء إلى هذا الشعب وأنت لم تخلـــص شـــعبك)**[(1)]، وهذا ما يعكس سوء الأدب مع الله من قبل رسوله موسى كما تزعم التوراة، ولا نجد شيئاً مـــن هذا القبيل في القرآن فها هو موسى ملتزماً طاعة ربه قائماً على حدوده، مجتنباً نواهيـــه حتـــى استحق من الله أن يقربه إليه ويخصه ببعض المزايا والمكرمات قال تعالى: ﴿ **وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصًا وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا * وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيًّا** ﴾[(2)]، فشتَّان بين شخصية موسى كما رسمها القرآن وتلك الشخصية المهزوزة المهزومة التي رسمتها التوراة لموسى رسول الله وكليمه.

ومن خلال دراسة أحداث هذه المرحلة بين القرآن والتوراة يستطيع القـــارئ أن يتبـــيَّن مدى استهزاء اليهود بالله ورسله الكـــرام، فها هم يصوِّرون الرسل وهـــم يخاصـــمون الـــرب ويجادلونه ويقرعونه بدل أن يتأدبوا معه، ويستطيع القارئ أيضا أن يلاحظ مدى جحـــود بنـــي

---

(١) الخروج (٥/ (٢٢ –٢٣).

(٢) مريم (٥١– ٥٢).

إسرائيل نعم الله عليهم، فقد أنجاهم من عدوِّهم ومكنهم في الأرض، وأرسل على أعدائهم أصناف العذاب المختلفة، ومع ذلك رفضوا الالتزام بدينه وأوامره، ويستطيع القارئ أن يلاحظ تلك النزعة الفوقية التي تتملَّك بني إسرائيل، فهم على حد زعمهم خيرٌ من كل الشعوب والأمم، وكل الأمم مسخرةٌ لخدمتهم، والأبلغ من ذلك سوء الأدب مع الله، فوصفوه بالضعف وعدم القدرة واحتياج الآخرين، وهو الذي يشعر بالندم على بعض ما يقوم به من تصرُّفات، وهو الذي ينسى عهوده ومواثيقه التي أبرمها معهم فترةً من الزمن ثم يعود ليتذكرها، وفي المقابل نجدُ أن القرآن نزَّه الله ورسله الكرام عن كل نقص وعيب، فهو يصف الرب بصفات الجلال والكمال وينزل الرسل منازلهم، فهم المعصومون بعصمة الله لهم من الوقوع في الآثام والمعاصي، وقد كشف القرآن حقيقة بني إسرائيل، وبيَّن زيف معتقداتهم وادعاءاتهم الكاذبة، وبيَّن لهم العاقبة التي ستحيق بهم لمكرهم وخبثهم وافترائهم الكذب على الله ورسله الكرام، فهو الكتاب الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

الفصل الرابع

الخروج في القرآن والتوراة

الفصل الرابع

الخروج في القرآن والتوراة

في هذا الفصل أُقدِّم عرضاً لخروج بني إسرائيل من مصر، هذا الخروج الـذي شـكَّل نهايةً لمرحلة العذاب والاضطهاد التي عانا منها الإسرائيليون طويلاً، ونهايةً لحيـاة شخـصيةٍ تعتبر من أكثر الشخصيات طغياناً وتجبُّراً في تاريخ البشرية جمعاء، وهذه المرحلة في نهايتهـا تعتبر النقطة التي انتهت عندها قصة موسى الطاغية فرعون، وبداية لمرحلةٍ جديدةٍ في دعـوة موسى، وهي دعوته لقومه بني إسرائيل، وسأستعرض بدايةً خروج بني إسـرائيل مـن أرض مصر كما جاء في القرآن، ثم الخروج كما جاء في نصوص التوراة، ثم أعقد مقارنة لمرحلـة الخروج بين القرآن والتوراة مبيناً أوجه الاتفاق والاختلاف بين الكتابين فـي حـديثهما عـن الخروج.

المبحث الأول: الخروج في القرآن

المطلب الأوَّل: الخروج معنى ودلالة

الخروج في اللغة: بمعنى خرج من الموضع "خروجاً" و"مخرجاً" وأخرجته أنا، ووجدت للأمر "مخرجاً" أي مخلصاً، ويأتي "الخروج" بمعنى التمرد على صاحب الأمـر والنهـي(١)، وهـذه المعاني كلها تتلاقى مع معنى الخروج في القرآن، فخروج موسى مع بني إسرائيل مـن أرض مصر كان خلاصاً لهم من الذل والعبودية التي عاشوها فترة من الزمن، وفي نفس الوقت كـان خروجاً وتمرداً على صاحب الأمر والنهي في زمانهم، فرعون الذي استعبدهم وسلبهم حقـوقهم في الحريَّة والحياة، ومعنى الخروج في قصة موسى، هو قيام موسى وقومه بالخروج من أرض مصر فراراً بدينهم من بطش الطاغية فرعون، والخروج في التاريخ علـى اخـتلاف المكـان والزمان والشخوص موجود بصورةٍ ملحوظةٍ وخاصةً في حياة الرسل الكرام، فها هو إبـراهيم

---

(١) انظر البستاني، عبد الله الوافي، معجم وسيط اللغة العربية، باب الخـاء، ص١٦٧، مكتبـة لبنـان، ط(٢)، ١٩٨٠، والفيومي، المصباح المنير، كتاب الخاء، جذر خرج، ص٨٩، المكتبة العصرية، ط(٢)، ١٩٩٧م، والرازي، مختـار الصحاح، باب الخاء، جذر خرج، ص٨٩، مرجع سابق.

الخليل عليه السلام يهاجر من أرض مولده[1]، بعدما جحد قومه رسالته، وأرادوا قتله وتحريقــه بالنار بعدما حطم أصنامهم وسفَّه أحلامهم، فقال: ﴿ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾[2]، وهــا هــو النبي المصطفى صلَّى الله عليه وسلم يؤمر بالخروج من مكة أرض مولده فراراً بدينه وروحــه من بطش الكافرين الذين أرادوا قتله والإجهاز على دعوته في مهدها، والملاحــظ أن الخــروج الذي حصل من الأنبياء عليهم السلام كان ممهداً لطريق الإنتصارات والفتوحــات فيمــا بعــد، فالرسول المصطفى عليه السلام استطاع بعد خروجه من مكة أن يبني دولة الإسلام في المدينة المنوَّرة، وأن يؤسس دعاماتها الأساسية، وأن يأخذ الحرية مع قومه في العبادة والاستقلالية عن الآخرين، واستطاع أن يجهز جيشاً عظيماً، استطاع من خلاله أن يعود فاتحاً لمعقــل الــشرك "مكة المكرمة" في ذلك الزمان، وبعد ذلك انتقل بالفتوحات والانتــصارات إلــى غيرهــا مــن الأماكن، وهذا نبي الله موسى بخروجه استطاع التخلص من عدوه وعدو قومه الأوَّل "فرعــون" الذي لاقى مصيره المحتوم غرقاً أثناء مطاردة موسى ومن معه أثناء الخــروج مــن مــصر، واستطاع موسى كذلك أن يأخذ حريته في الدعوة بعدما ضيِّقت عليه السبل فــي أرض مــصر، وكل ذلك كان ممهداً لرفع شأن بني إسرائيل"الذين آمنوا بموسى وثبتوا معه" فالخروج ومفارقــة الباطل يعدُّ سبباً من أسباب النصر والتمكين.

المطلب الثاني: الخروج مطلبٌ أساسي في دعوة موسى

عندما وقف موسى أمام فرعون وعرض عليه مطالبه، وأبان له حقيقة دعوته، كان من جملــة مطالبه أن يخرج فرعون بني إسرائيل من عبوديته وأن يطلقهم من أرض مصر حتى يعبدوا الله بحريَّة، وقد ذكر هذا المطلب صراحة في القرآن الكريم في أكثر من موضع، قال تعالى علــى لسان موسى مخاطباً فرعــون: ﴿ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾[3]،

---

(1) ترجِّح كتب التاريخ والسير أن مولده عليه السلام كان بأرض بابل وما حولها، وقيل غيرها، انظر تفصيل ذلك، إبــن كثير، قصص الأنبياء، ص١٢٧، مرجع سابق، وابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٩٤/١)، مرجع سابق، وابن كثيــر، البداية والنهاية، م٢ (١٢٦/١)، مرجع سابق.

(2) الصافات (٩٩).

(3) الأعراف (١٠٥).

وقوله تعالى: ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ﴾[1]، وهـذا المطلب الأساسي يدلُّ على أن مهمة الأنبياء والمرسلين لا تقتصر فقط على بيان أركان الـدين وأسسه، وإنما تمتد إلى مقاومة الطغاة والظالمين، وإلى العمل من أجل تخليص الأمم والشعوب من ظلمهم وبغيهم[2]. أقول: إن الهدف الأساسي من دعوة الرسل الكرام عليهم السلام هو إخراج الناس من الظلمات إلى النور ومن عباده العباد إلى عبادة رب العباد، وهذا مغزى طلب موسى من فرعون بأن يخرج بني إسرائيل من أرض مصر، لأن خروجهم منها يعني خـروجهم مـن عبوديته وسيطرته، وعندها يستطيعون عبادة الله بحُريَّة كاملة، ولا عجب إذاً أن يكون مطلـب موسى إخراج بني إسرائيل مطلباً أساسياً من فرعون، فرسالة الإسلام مفادهـا التحـرر مـن الاستبداد الذي كان مسيطراً على شخصية الظالمين، وعلى رأسهم فرعون، فهذا هـو جـوهر دعوة الإسلام، فهي تهدف لتحرير الإنسان من أن يكون عبداً لشهواته ونزواتـه، أو أن يكـون أسيرا لتصوُّرات ومعتقدات باطلةٍ وملوثةٍ، فهي تمتد من تحرير الإنسان من داخله، ثـم إزالـة العقبات الخارجية المادية والمعنويةِ التي تمنعه من الانطلاق لتحقيق هدف التوحيـد والعبـادة، وتعطل حركته في الحياة.

المطلب الثالث: زمن ومكان الخروج

لا يذكر القرآن الكريم شيئاً عن زمن ومكان الخروج، ولا توجد بين أيدينا أدلةٌ يقينيـة نستطيع من خلالها تحديد زمن ومكان الخروج، بل إنَّ القرآن سكت عن تحديد زمن تلك الفترة من التاريخ بشكل كامل، فلم يذكر زمن ولادة موسى ولا زمن بعثته أو وفاته، ولم يحدد تـاريخ الفراعنة بشكل عام أو خاص، وهذا كله يتمشَّى مع حكمة القرآن في سرد القصة، وهـي أخـذ العبرة والعظة مع الإبتعاد عن السرد التاريخي الذي لا يفيد في بيان تلك العبرة والعظـة مـن القصة المذكورة، وكذلك سكت القرآن عن تحديد مقدار الزمن الذي أقامه بنو إسرائيل في أرض مصر، فالفترة ما بين دخول بني إسرائيل مصر وخروجهم منها غير محدَّدة بتواريخ دقيقة تعتمد

---

(١) طه (٤٧).

(٢) طهماز، عبد الحميد محمود، سبيل السعادة في سورة طه وكلمة التوحيد وأمَّة التوحيد في سورة الأنبياء، ص٤٤، دار القلم والدار الشامية، ط (١)، ١٩٩٤م.

على أدلة صحيحة(١)، ويحاول المؤرخون وعلماء الآثار تحديد هذه الفترة بالسنوات فيذهبون إلى أن يوسف عليه السلام دخل مصر في القرن السادس عشر قبل الميلاد تقريباً، ويذهبون إلى أن موسى خرج مع بني إسرائيل من أرض مصر في القرن الثاني عشر قبل الميلاد في عهد الأسرة الحاكمة التاسعة، أي أن فترة مكوث بني إسرائيل في مصر كانت أربع قرون(٢)، وحسبنا أن نقول أن موسى والإسرائيليين خرجوا من أرض مصر بأمر الله تعالى دون تحديد لزمن ومكان ذلك الخروج لعدم امتلاكنا أدلةً نثبت من خلالها تاريخ ذلك الخروج.

المطلب الرابع: أمْرُ الله لموسى بالخروج

قام موسى بواجبه وأدَّى رسالته، لكنه وجد آذاناً صُمًّا من فرعون وقومه، وازداد طغيان الطاغية، فزاد من تعذيب الإسرائيليين فثبت موسى مع من ثبت من قومه وأعرض عنه الكثيرون، وقدَّر الله أن ينهي المواجهة بين موسى وفرعون، وأن يوقف بطش فرعون وملئه لبني إسرائيل، كما قدَّر الله أن تنتهي إقامة بني إسرائيل في مصر، وآن الأوان لخروجهم(٣)، وذلك ليتحقق عملياً قوله تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ ﴾(٤)، فأوحى الله إلى موسى أن يجمع قومه ويخبرهم أنهم سيرحلون عن مصر ليلاً ﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلاً إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴾(٥)، وقد انبنى هذا الأمر على السرية والكتمان والسرعة ويدل على ذلك قوله **(وأوحينا)** وهي من الوحي، ويعني الإشارة السريعة الخفيَّة(٦)، وكذلك قوله "أسرِ"، وهذا لا يكون إلاَّ ليلاً(٧)، وهو عين الحيطة والحذر والسريَّة، فالليل يتخفَّى

---

(١) الخالدي، القصص القرآني، (٣/ ٧٢)، بتصرف، مرجع سابق.

(٢) انظر النجار، قصص الأنبياء، ص (٢٠١-٢٠٣)، مرجع سابق.

(٣) الخالدي، القصص القرآني، (١٧٢/٣)، بتصرف، مرجع سابق.

(٤)القصص (٥-٦).

(٥)الدخان (٢٣).

(٦) الزين، سميح عاطف، مجمع البيان الحديث، تفسير مفردات ألفاظ القران الكريم، مادة "وحي"، ص ٩١٢، دار الكتاب اللبناني ودار الكتاب المصري، ط(١)، ١٩٨٠م.

(٧) خطاب، محمود شيت، المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم، باب السين، مادة سرى، (٣٦١/١)، دار الفتح، بيروت، ط (١)، ١٩٦٦م.

به، ويساعد الإسرائيليين على الخروج دون أن تبصرهم عيون فرعون المنتشرة في كل مكان، وأخبر الله موسى أن فرعون سيلحق بهم بجنوده وأمره أن يقودهم إلى ساحل البحر[١].

المطلب الخامس: مطاردة موسى وأتباعه

خرج موسى ومن معه ليلاً من أرض مصر، مستعينين على ذلك بالسريَّة والكتمان، وبقي الأمرُ سراً حتى افتقدهم المصريُّون وعلموا بخروجهم، فأخبروا فرعون بذلك، فعزم على إرجاعهم صاغرين، فهو الخاسر الأوَّل والأخير من خروجهم، فمن سيكون له بعدهم عابداً؟ ومن سيقوم على خدمته وأتباعه، فهو لا يريد إعادتهم حبَّاً لهم، وإنما رغبةً في الإبقاء على مصالحه والحفاظ على هيبته، وقد أشار القرآن إلى التعبئة العامَّة التي قام بها فرعون في شعبه للَّحاق بموسى ومن معه، قال تعالى﴿: **فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ * إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ * وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ** ﴾[٢]، وهذه الآيات توحي لنا بالسرعة الخاطفة التي قام بها فرعون في سبيل التعبئة العامة للحاق بموسى وبمن معه، وأوَّل هذه الخطوات كانت تجميع الجنود القادرين على حمل السلاح والقتال من مختلف أرجاء مملكته، وهذه كانت تشكل القوَّة العسكرية التي سيضرب بها موسى وأتباعه، والخطوة الثانية كانت بث الرّوح المعنويَّة بين جنوده وأتباعه، وكانت عن طريق التقليل والتهوين من شأن الإسرائيليين الخارجين، فوصفهم بقوله: ﴿ **إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ** ﴾[٣]، ومعنى "الشرذمة" الطائفةُ المنقطعةُ عن الناس والتي لا يحسب لها أي حساب، وتأتي بمعنى الجمع القليل المحتقر، والعصبة الضعيفةُ[٤]، وقد أراد فرعون بهذا الوصف أن يشعر أتباعه أن المهمَّة التي تنتظرهم مهمة سهلة، فهم يلاحقون مجموعة منقطعة صغيرة من الناس، لا تملك عُدَّةً ولا عتاداً، فلا يحسب لهم أي حساب وفي ذلك تحفيز لمن معه بأن يستغلوا هذه الفرصة للقضاء على موسى ومن معه، وكان في ذلك تبريرٌ

---

(١) قطب، الظلال، (٦/٢١١)، مرجع سابق.
(٢) الشعراء (٥٣ –٥٦).
(٣) الشعراء (٥٤).
(٤) اليزيدي، أبو عبد الرحمن عبد الله بن يحيى المبارك، غريب القرآن وتفسيره، ص٢٨١، تحقيق محمد سليم، عالم الكتب، ط (١)، ١٩٨٥م، وعبد الجليل عيسى، تيسير التفسير، ص٤٨٣، ط(١)، ١٩٥٨م، والواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٢/ ٧٩٠)، مرجع سابق.

لاتخاذ فرعون قراره باللَّحاق بموسى ومن معه، بالإضافة إلى أن الإسـرائيليين قـد أغـاظوا المصريين وملؤوا قلوبهم حقداً، كونهم خالفوهم في دينهم وخرجوا على نظامهم وحكمهم، وفـي هذا إشارة لخطورة بني إسرائيل، وقد استطاع فرعون إقنـاع أتباعـه بـشن الحـرب علـى الإسرائيليين، ومطاردتهم حتى القضاء عليهم، وقد أشار القرآن إلـى ذلـك بقولـه ﴿ **وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ** ﴾[1]، وقد امتاز جيش فرعون بقوَّة تنظيمه وسرعة حركته، مما يدل على الإنـضباط التام في صفوفه، حيث يقول تعالى: ﴿ **فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ** ﴾[2]، فمـا هـي إلا ساعات قليلةٌ بين علم فرعون بخروج بني إسرائيل وأمره بالاستنفار العام والتعبئة الشاملة وبين لحاقه بهم بهذا الحشد الهائل من الجنود، فها هم بنو إسرائيل بقيادة موسى يخرجون تحت جـنح الظلام ليلاً، وها هو فرعون يتبعهم وقت شروق الشمس، مما يدل على سـرعته فـي تنظـيم صفوف جيشه وضبطه لهم، والسرعة في اللحاق بموسى ومن معه، قـال تعـالى: ﴿ **فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ** ﴾[3]، أي لحقوا بهم وقت دخولهم في شروق الشمس وهو طلوعها، حيـث أشـرقت الأرض بالضياء[4].

المطلب السادس: المواجهة الأخيرة بين موسى وفرعون

قبل أن يعرض القرآن المشهد الأخير عجَّل السياق العاقبة الأخيرة التي أرادها الله مـن إخراج فرعون وملئه بما كانوا فيه من متاع ونعيم وفير، قال تعالى: ﴿ **فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ *وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ *كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ** ﴾[5]، فكانت خـرجتهم هـذه هـي الأخيرة، وكان إخراجهم مقصوداً حين كان إخراجاً لهم من كل ما هم فيه من النعيم، فلم يعودوا أبداً لهذا النعيم[6]، وبعد ذلك يصوِّر لنا القرآن اللحظات الأخيرة من هذه المواجهة، فقد استطاع فرعون وقومه اللَّحاق بالإسرائيليين وقت الشروق وتراءى الجمعان، ولم يبق ثمـة ريـب ولا

---

(١) الخالدي، القصص القرآني، (٣/٨٠)، بتصرف، مرجع سابق.
(٢) الشعراء (٥٣).
(٣) الشعراء (٦٠).
(٤) الطبري، تفسير الطبري، م١١ (١٩/٩٧)، بتصرف، مرجع سابق.
(٥) الشعراء (٥٧ –٥٩).
(٦) قطب، الظلال، (٦/٢١٢)، مرجع سابق.

لبس، وعاين كل من الفريقين صاحبه وتحققه ورآه، ولم يبق إلاَّ المقاتلة والمجادلة والمحاماة[1]، ولم يبق عندئذ خيار ثالث أمام الإسرائيليين فإمَّا الموت على يد فرعون وجنده، وإمـــا المـــوت غرقاً في البحر، فاضطربت نفوسهم وتزعزع إيمانهم وخارت قواهم، فأكدوا لموسى أن نهايتهم حانت، وأنه لا مفر ولا ملجأ من الموت القريب، هذا وإن دلَّ على شيء فإنَّما يدل على النفسيَّة الضعيفة المهزومة التي كانت تتملك نفوسهم تجاه الله الذي أمر موسى بالخروج إلى هذا المكان، فهل يعقل أنَّ الله أخرجهم لملاقاة هذا المصير وهذه النهاية المشؤومة؟؟ فقالوا لموسى والخـــوف يملأ جوانحهم: ﴿ **إِنَّا لَمُدْرَكُونَ** ﴾[2]، ولكن موسى الذي تلقى الوحي من ربه، لا يـــشك لحظـــة واحدة في نصر ربه له، وإن كان لا يدري كيف يكون النصر ولا على أي هيئة يجيء، فهو لا بدَّ آتٍ قريب، والله هو الذي يوجهه ويرعـــاه[3]، فقـــال لهـــم: ﴿ **كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ** ﴾[4]، والمراد بهذه المعيَّة معية الحفظ والنصرة، وهي التي وعده بها ربه في بداية دعوته وأوَّل بعثته بقوله **(إنني معكما)** أي بالحفظ والرعاية، وقوله: **(سيهدين)** أي سيدلني على طريق النجاة التي لا يدركني فرعون معها[5]، ويشار هنا إلى قول موسى **(كلا إن معي ربي سيهدين)**، فقد قـــصر معية الله على نفسه دون قومه جزاءً لهم على غفلتهم، وعدم ثقتهم بنصر الله مع أنه أخبرهم أنهم هم الغالبون، وذلك في قوله لموسى وهارون﴿ **أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلۡغَٰلِبُونَ** ﴾[6]، ولكنهم تجاهلوا ذلك وتيقنوا الهلاك عندما شاهدوا فرعون وجنوده قريبين منهم، وقد كان حقاً علـــيهم أن يثقـــوا بالنصرة الكاملة المستمدة من الله ولكنهم فعلوا خلاف ذلك[7].

---

(١) ابن كثير، قصص الأنبياء، ص ٢٧٣، مرجع سابق.

(٢) الشعراء (٦١).

(٣) قطب، الظلال، (٦/ ٢١٢)، مرجع سابق.

(٤) الشعراء (٦٢).

(٥) الطبطبائي، الميزان، (١٥/ ٢٧٧)، مرجع سابق.

(٦) القصص (٣٥).

(٧) الألوسي، روح المعاني، (١٠/ ٣٥)، مرجع سابق.

المطلب السابع: معجزة النجاة

وقف الإسرائيليون حائرين أمام جموع المصريين الذين جاءوا للقضاء عليهم، وأيقنوا الهلاك، ولكن الله الذي وعدهم بالنصر لا يخلف وعده، وهذا ما كان يتيقنه موسى ويغفل عنه أتباعه، فأمر الله موسى أن يضرب البحر بعصاه من باب الأخذ بالأسباب، فنفذ موسى أمر ربه، فإذا البحر ينفلق فلقتين، قال تعالى: ﴿ **فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ** ﴾[١]، أي فانشق البحر إلى شقين منفصلين، وأصبح كل شقٍ قطعةً منفصلةً من الماء "كالطود" وهو القطعة من الجبل العظيم، فدخلها موسى ومن معه من الإسرائيليين[٢]، ووقف فرعون مع جنوده مشدوهاً بذلك المشهد الخارق، وذلك الحدث العجيب، وهو يرى موسى وقومه يعبرون الخضم في طريق مكشوف[٣]، هذا الطريق الذي طمأن الله موسى شأنه، فقال له: ﴿ **فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ** ﴾[٤]، أي أنَّ الله أيبس لهم ذلك الطريق حتى لم يكن فيه ماءٌ ولا طينٌ فكانت أماناً لهم من أن يدركهم العدو[٥]، فأنجى الله موسى ومن معه وعبروا إلى الجانب الآخر من البحر، وأصبح البحر فاصلاً بين الفريقين، وعندما أراد موسى أن يضرب بعصاه البحر ليرجع على ما كان عليه من حاله، لئلا يكون لفرعون وجنوده وصولٌ إليه وأتباعه، فأمره القدير ذو الجلال أن يترك البحر على هذه الحال[٦]، كما قال وهو الصادق في المقال ﴿ **وَٱتۡرُكِ ٱلۡبَحۡرَ رَهۡوًاۖ إِنَّهُمۡ جُندٞ مُّغۡرَقُونَ** ﴾[٧]، والرهو كما ذكر الراغب "الساكن" وقيل: السعة من الطريق، ويقال لكل جوقة مستوية يجتمع فيها الماء رهو ومنه قيل: "لا شفعة في رهو"[٨]، والمعنى أي يا موسى أترك البحر ساكناً على

---

(١) الشعراء (٦٣).

(٢)الطبطبائي، الميزان، (١٥/ ٢٧٧)، مرجع سابق.

(٣) قطب، الظلال، (٢١٣/٦)، مرجع سابق.

(٤) طه (٧٧).

(٥) الأشقر، محمد سليمان، زبدة التفسير من فتح القدير، ص٤١٢، دار الفتح ودار النفائس، عمان، ط (٥)، ١٩٩٤م.

(٦) ابن كثير، قصص الأنبياء، ص ٣٣٦، مرجع سابق.

(٧) الدخان (٢٤).

(٨) الراغب، المفردات، كتاب الراء، باب رهو، ص٢٠٤، مرجع سابق.

حاله[1]. أقول: ويظهر من خلال أمر الله لموسى بأن يترك البحر ساكناً على حاله أن ذلك كـان استدراجاً لفرعون وقومه ليتبعوا موسى والإسرائيليين، وبعد دخولهم البحر خلفهـم يطبـق الله عليهم الماء فيموتوا غرقاً، وهذا ما تحقق عندما وصل غرور فرعون إلى أقصى درجاته، فقـد رأى معجزةً أخرى تتحقق لموسى أمام عينيه، بعدما تحققت قبلها معجزات العصا واليد البيضاء والآيات التي أرسلها الله على المصريين لمَّا جحدوا رسالة موسى، ومع ذلك فقد غرَّر فرعـون نفسه وأتباعه، ومنَّاهم الأماني بأنهم سيظفروا بموسى ومن معه وتكون لهم الكبرياء في الأرض، فاصدر فرعون أمره للجنود بالدخول خلف الإسرائيليين، ولمَّا كانوا في وسـط الطريـق وهـم يسيرون على اليابسة التي شقَّها الله لموسى ومن معه، والماء عن أيمانهم وشـمائلهم كالجبـال العظيمة، أمر الله الماء أن يطبق عليهم، وأن يتحد جزءاه على جانبي الطريق، فنفَّذ الماء أمـر مولاه، وما هي إلاَّ لحظاتٌ قليلةٌ حتى كان فرعون وجنوده تحت الماء يصارعون الموت[2]، وقد أشار القرآن إلى أن فرعون كان هو السبب في إضلال قومه وإغوائهم، مما أدَّى في نهاية الأمر إلى هلاكهم، قال تعـالى: ﴿**فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ * وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ**﴾[3]، وكان اتِّباع المصريين لهوى فرعون سبباً لاستحقاقهم غضب الله وعقابه، قـال تعـالى: ﴿ **فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ * فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْأَخِرِينَ**﴾[4]، أي فلمَّا أغضبونا جعلناهم عبرةً لمن بعدهم يتمثلون بحالهم فلا يقدمون علـى مثل أفعالهم [5].

المطلب الثامن: اللَّحظات الأخيرة في حياة فرعون

في خضمِّ الأمواج المتلاطمة كان فرعون يصارع الموت في لحظاته الأخيرة، ولم يبق له في الحياة إلاَّ القليل، تلك هي اللحظات الأصعب في حياة كل إنسان، وفي تلك اللحظة الرهيبة

---

(١) ابن قتيبه، أبو محمد عبد الله بن مسلم، تفسير غريب القرآن، ص٤٠٢، تحقيق أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٨، بتصرف.

(٢) الخالدي، القصص القرآني، (٩٧/٣)، بتصرف، مرجع سابق.

(٣) طه (٧٨ –٧٩).

(٤) الزخرف (٥٥ – ٥٦).

(٥) السيوطي والمحلِّي، تفسير الجلالين، ص٦٥٢، مرجع سابق.

مرَّ به شريط الذكريات، يوم أن كان على عرش مصر يحكمها، وأهلها عباد مسخرون تحت إمرته ورهن إشارته، وهو كما يزعم ربهم الأعلى، لكنه الآن عاجز عن إنجاء نفسه بعد أن أوردها المهالك، فاستسلم لواقعه ومصيره، وحاول التمسك فيما ظنَّه سبباً من أسباب النجاة، لكن بعد فوات الأوان، أعلن فرعون إسلامه واستسلامه، لكنه إسلام الغرغرة[1]، والذي لا تقبل عنده توبة الإنسان تصديقاً لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم **(إنَّ الله عز وجل ليقبل توبة العبد ما لم يغرغر)**[2]، فقد سدَّت أبواب التوبة أمام أعتى عتاة الأرض، وأكثرهم تجبراً واستكباراً، فما عاد ينفعه الندم، فهو يلاقي مصيره عاجزاً وحيداً لا ناصر له ولا معين، وقد سطَّر القرآن اللحظات الأخيرة في حياة فرعون وهو يصارع الموت في وسط البحر في سورة يونس، فقال عز من قائل: ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ * ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[3]، لقد أخطأ فرعون في التوقيت، وأعلن إسلامه واستسلامه في حالة الإكراه والاضطرار، وحين لم يبق له اختيار قط[4]، وجواب المنتقم صريحٌ في عدم قبول التوبة، وقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(لما أغرق الله فرعون قال: آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل، فقال جبريل: يا محمد لو رأيتني وأنا آخذ من حال البحر وأدسه في فيه مخافة أن تدركه الرحمة)**[5]، وكان ذلك زيادة في النكاية بفرعون، وحطاً من شأنه، فما زال على هذه الحال حتى خرجت روحه الخبيثة إلى بارئها، وأراح الله موسى والمؤمنين منه ومن أتباعه، وطويت صفحة

---

(١) الغرغرة، تردد الروح في الحلق وهي كناية عن اقتراب الأجل، وهي لحظة النزاع، انظر الرازي، مختار الصحاح، مادة غرر، ص٢٢٦، مرجع سابق.

(٢) الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح سنن ابن ماجة، كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، ص٤١٨، حديث رقم (٣٤٣٠)، تعليق زهير الشاويش، مكتبة التربية العربي لدول الخليج، والمكتب الإسلامي، بيروت، ط(١)، ١٩٨٨م.

(٣) يونس (٩٠ –٩١).

(٤) الزحيلي، التفسير المنير، م٦ (٢٥٧/١١)، بتصرف، مرجع سابق.

(٥) انظر الطبري، تفسير الطبري، م٧ (٢١١/١١)، مرجع سابق، والألباني، صحيح سنن الترمذي، (٦١/٣)، أبواب تفسير القرآن، حديث رقم (٢٤٨٣)، تعليق زهير الشاويش، مكتبة التربية العربي لدول الخليج، والمكتب الإسلامي، بيروت، ط (١)، ١٩٨٨م.

شاقة من صفحات حياة موسى خاصة والإسرائيليين عامة، وتنفَّسوا الصعداء بعدما كبتت أنفاسهم في صدورهم عشرات السنين.

المطلب التاسع: إزهاق الرُّوح وإنجاء البدن

كتب الله على فرعون الموت غرقاً في البحر، وأخبر المولى أنه سينجي بدنه ليكون عبرةً وعظةً لمن خلفه، فقذف البحر جثته على الشاطئ وجعلها آيةً للناس يشاهدونها ويتذكرونها، ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴾[1]، فقد كانت آيةً على كذبه لمن صدَّقه في دعواه الألوهية والربوبية من دون الله، فالإله لا يموت ولا يفنى، وها هو فرعون جثةً هامدةً لا حراك فيها، وإثباتاً لمن حوله أنه كباقي البشر، يحتاج إلى ما يحتاجون إليه من الطعام والشراب ومقومات الحياة، وهو يموت مثلهم، لا مزايا له عليهم، وكان موته دليل صدقٍ على رسالة موسى ونبوته، فها هو ينجو بفضل هذه الرسالة الربانية، وفرعون يخر صريعاً لأنه خالف هذه الرسالة، وقوله **(ننجِّيك ببدنك)**، معناه ننجي بدنك، وتنجيته ببدنه تدل على أن له أمراً آخر وراء ذلك البدن الذي فقده بالعذاب، وهو النفس التي تسمى روحاً، وهذه النفس التي يخبر الإنسان عنها بقوله "أنا" وهي التي بها تتحقق للإنسان إنسانيته وهي التي تدرك وتدبر وتعقل الأفعال، وما البدن إلا آلةٌ وأداةٌ لهذه الروح[2]، ولم تكن جثة فرعون آيةً لأهل عصره فحسب، بل هي آيةٌ عامةٌ قائمةٌ إلى كل من أتى بعد فرعون بدليل قوله تعالى: ﴿ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗ ﴾[3]، وكلمة "خلفك" تشمل كل من سيأتي بعده من الأمم والأقوام، وقد سخَّر الله لإتمام حفظ جثة فرعون بعض العلوم التي كانت معروفة عند المصريين آنذاك، والتي انفردوا بها عن غيرهم وتميزوا بها، فهي مما يُسجَّل لهم في التاريخ ومن أبرزها علم "التحنيط" وهو عند قدماء المصريين عبارة عن حفظ هيكل جسم الميِّت بتخليصه من المواد الرخوة، وتطهير جوفه بموادٍ خاصة[4]، وكان الغرض من هذه

(١) يونس (٩٢).
(٢) سعيد أيوب، الإنحرافات الكبرى للقرى الظالمة في القرآن الكريم، ص٢٤٦، وما بعدها، دار الهادي، بيروت، ط(١)، ١٩٩٢م، بتصرف.
(٣) يونس (٩٢).
(٤) إبراهيم أنيس، المعجم الوسيط، (٢٠٩/١)، باب الحاء، مادة حنط، مرجع سابق.

العملية هو حفظ أجسام الموتى من التحلل والفناء، والإحتفاظ بالمظهر الخارجي للشخص الميِّت، والإبقاء على ملامح شخصيّته خلال رحلته إلى العالم الآخر[1]، وتذكر بعض الكتب الحديثة أنه تم اكتشاف جثة فرعون الخروج أو ما يسمى جثة منبتاح بن رمسيس الثاني، وبعد فحص هـذه الجثة من قبل بعض الأطباء المصريين والغربيين أكدوا في دراساتهم أن السبب المباشر لموت هذه المومياء إمَّا الغرق وإما الرضوض العنيفة التي سبقت ابتلاع البحر لهذه الجثة وإمَّا السببين معاً[2]، وهذا ما يستأنس به كدليل مادي في حديث القرآن عن إهلاك فرعون بالغرق مع جزمنا بأن فرعون مات غرقاً وإن لم تظهر هذه الأدلة لإخبار القرآن بذلك.

المطلب العاشر: خاتمة القصة في القرآن

بعد أن ذكر القرآن نهاية الطاغية، وإنجاء الله لبدنه حتى يكون عبرةً وعظةً لمن يـأتي بعده، أبان القرآن جملة من الأسباب التي أدت إلى إهلاك الطاغية ومن تبعـه، وجملـة هـذه الأسباب كما ذكرها القرآن تتلخص فيما يلي:

أولاً: رفض فرعون وقومه الاستجابة لدعوة موسى مع تقديمه المعجزات

قال تعـالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ * إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ * يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ * وَأُتْبِعُواْ فِى هَـٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴾[3]، أي ولقـد أرسـلنا موسى بالأدلة القاطعة على صدقه، وحجةً قاطعةً تبيِّن لمن عاينها وتأملها بقلب صحيح صـدق رسالة موسى، وكذب كل من ادعى الربوبية الألوهية من دون الله[4]. أقول: وهنا تظهر صـفة العناد والمكابرة التي كانت سبباً من أسباب إهلاك الطاغية ومن حالفه، فمن رأى الحقيقـة بـأمِّ عينيه واضحةً وضوح الشمس كان لزاماً عليه أن يتمسك بهذه الحقيقة، وأن ينبذ مـا سـواها، ولكنهم خالفوا هذه القاعدة وتمسكوا بالباطل فوجب إهلاكهم.

---

(١) انظر تفاصيل التحنيط، حسين فرح زين الدين، التحنيط، ص٣، دار الفكر العربي.
(٢)بوكاي، موريس، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، ص٢٦٩، دار المعارف، لبنان، ط٤، ١٩٧٧م
(٣) هود (٩٦ – ٩٩).
(٤) الطبري، تفسير الطبري، م٧ (١٤٢/١٢)، مرجع سابق.

ثانياً: الإستكبار بغير حق

قال تعالى في شأن فرعــون وأتباعــه ﴿ وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا لَا يُرۡجَعُونَ * فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1]، وأصل الإستكبار طلب الكِبر من غير استحقاق، لا بمعنى طلب تحصيله فـي اعتقادهم، بل بمعنى أن يعدَّ الإنسان نفسه كبيراً متفضلاً على غيره[2]، أي يحسب الإنسان نفسه خيراً من الآخرين وأفضل منهم فيظلم الناس، ويغتصب حقوقهم لمجرد أنه أوتي قدراً من القوَّة.

أقول: لقد استكبر فرعون وتمادى في استكباره حتى عَدَّ كل شيء غيره حقيراً تافهـاً، واعتقد أن كل شيء مسخرٌ له وتحت خدمته، واستكبر عن اتِّباع الحق، لأن الحق لا يعطيه هذه الصلاحية المطلقة لاستحقار الآخرين، وعندما أبى أن يقلع عن استكباره كتب الله عليه وعلـى أتباعه الهلاك.

ثالثاً: إغضاب الله تعالى

قال تعالى معقباً علـى إهـلاك فرعـون وقومـه: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ * فَجَعَلۡنَٰهُمۡ سَلَفٗا وَمَثَلٗا لِّلۡأٓخِرِينَ ﴾[3]، أي وكما أغضبوا الله بـالإفراط والعنـاد والمعصية، كانت سنة الله التي مضت، فهو يمهل ولا يهمل، فجعلهم الله عبرة لمن بعدهم مـن الكفار، وجعلهم عظةً وقصةً عجيبةً تسير مسير الأمثال في الأجيال المتقادمة[4].

---

(١) القصص (٣٩-٤٠).
(٢) الألوسي، روح المعاني، (١٠ /٨٢)، بتصرف، مرجع سابق.
(٣) الزخرف (٥٥ – ٥٦).
(٤) البيضاوي، تفسير البيضاوي، م٢ (٦٢/٥)، بتصرف، مرجع سابق.

المبحث الثاني: الخروج في التوراة

المطلب الأول: مُدَّة إقامة الإسرائيليين في مصر

تذكر التوراة أنَّ المدَّة التي أقامها بنو إسرائيل في أرض مصر من لدن يوسف عليه السلام حتى خروجهم منها كانت بحسب سفر التكوين ٤٠٠ عام[١]، وبحسب سفر الخروج ٤٣٠ عام[٢]، وهذه المعلومات لا نستطيع أن نجزم بدقتها في تحديد مدَّة إقامتهم في مصر، كون التوراة هي المصدر الوحيد لهذه المعلومات، والتوراة نفسها تحمل تناقضات واسعة في هذا المجال، ففي حين يذكر سفر التكوين أنَّ المدَّة ٤٠٠ عام يذكر سفر الخروج أنها كانت ٤٣٠ عام وعلى فرض صحة أحد هذه التواريخ فإنها تتناقض تناقضا شديدا مع تواريخ أخرى تفهم من نصوص التوراة[٣].

المطلب الثاني: عدد بني إسرائيل أثناء الخروج

تذكر التوراة أن عدد الإسرائيليين من الرجال فقط والصالحين للقتال منهم كانوا مع موسى في الخروج نحو ستمائة ألف رجل[٤]، وهذا غير الأولاد والنساء وكبار السن والحواشي التي سمح لهم فرعون بإخراجهم معهم بعد أن سلَّط الله على المصريين ألوان العذاب لامتناعهم عن إطلاق الإسرائيليين من عبوديتهم.

المطلب الثالث: طريق الخروج حسب رواية التوراة

تذكر التوراة أن طريق الخروج كان من مدينة رعمسيس إلى سكُّوت[٥]، حيث خرج الإسرائيليون مع مواشيهم، وأخذوا معهم العجين الذي لم يختمر بعد بسبب سرعة خروجهم من مصر كونهم طردواً طرداً من قبل المصريين، وقد كانت وجهة الإسرائيليين المفترضة إلى أرض كنعان، تلك الأرض التي أعطاهم الله إيَّاها بحسب ميثاقه مع إبراهيم عليه السلام، ولكن

---

(١) التكوين (١٣/١٥).
(٢) الخروج (١٢/ ٤٠).
(٣) انظر تفاصيل ذلك التناقض، موريس بوكاي، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ص ١٩٢، مرجع سابق.
(٤) الخروج (٣٧/١٢).
(٥) الخروج (٣٧/١٢).

التوراة تقول: إنَّ الله لم يهد الإسرائيليين إلى أرض كنعان وذلك لأنه يعلم أن أرض فلسطين سكنها أقوام أشدَّاء معروفين بقوتهم، فخاف الرب على الإسرائيليين وخشي أن يندموا على خروجهم من أرض مصر ويعودوا إليها بسبب جبنهم وخوفهم، تقول التوراة: **(وكان لمَّا أطلق فرعون الشعب أنَّ الله لم يهدهم في طريق أرض الفلسطينيّين مع أنها قريبة لأن الله قال لئلا يندم الشعب إذا رأوا حرباً ويرجعوا إلى مصر)**[1]، فغيَّر الله مسار طريقهم إلى بريَّة بحر سوف، وهناك كما تقول التوراة أخذ موسى عظام يوسف عليه السلام بعدما استخرجها من المكان الذي دفنت فيه وذلك تنفيذاً لوصية يوسف نفسه، تقول التوراة: **(وأخذ موسى عظام يوسف معه لأنه كان قد أستحلف بني إسرائيل بحلف قائلاً: إنَّ الله سيفتقدكم فتصعدون عظامي من هنا معكم)**[2]، وارتحل الإسرائيليون من "سُكّوت"[3]، إلى إيثام [4]، وكان الرب يسير أمامهم ليهديهم إلى الطريق، حيث كان يتمثل لهم في النهار في عمود سحاب وليلاً في عمود من نار ليضيء لهم الطريق[5]، وكان عمود النار والسحاب نوعاً من ظهور الإله في صورة منظورة مشاهدة، وبهذه الصورة أضاء الله لهم الطريق وحماهم من أعدائهم، وأعطاهم اليقين بالنصر، بالإضافة إلى أنه هيمن على تحركاتهم[6].

خطة الرب لإخراج المصريين خلف الإسرائيليين

بعدما استقر المقام بموسى ومن معه في إيثام طلب الرب من موسى وقومه أن يرجعوا إلى مكان قريب نسبياً من المصريين وذلك حتى يغروهم باللحاق بهم **(وقال الرب لموسى قل**

---

(١) الخروج (١٣/١٧).

(٢) الخروج (١٣/١٩).

(٣) هو أول مكان نزل فيه الإسرائيليون بعد خروجهم من مصر وكان على بعد يوم من مدينة رعمسيس والمكان الآن لا يعرف تحديداً، ويرجح البعض أنه يسمى اليوم "بتل المسخوطة"، أنظر بطرس عبد الملك وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، ص٤٧٢، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، ط (٢)، ١٩٧١م.

(٤) مكان شرقي سكُوت، ويعتقد بعض العلماء أنه بالقرب من مدينة الإسماعيلية الحالية، المرجع السابق، ص١٠٤.

(٥) الخروج (١٣/٢٠ – ٢١).

(٦)ماسترفيديا، التفسير التطبيقي، ص١٥٩، مرجع سابق.

لبني إسرائيل أن ينزلوا أمام فم الحيروث [1]**بين مجدل والبحر أمام جبل صفون**[2]**، مقابله تنزلون عند البحر فيقول فرعون عن بني إسرائيل هم مرتبكون في الأرض قد استغلق عليهم الفقر، واشدد على قلب فرعون حتى يسعى وراءهم)**[3]، وكانت هذه الخطة حسب نص التوراة تقضي أن يتجمع الإسرائيليون في مكان يستطيع من خلاله عيون فرعون الراصدة أن تتقصَّى أخبار الإسرائيليين بسهولة ويُسْر، حتى يظنوا أن الإسرائيليين عادوا لأنهم اصبحوا ضعفاء بعدما خرجوا من أرض مصر وأنَّ الفقر قد استغلق عليهم، وعندها يصبح الوقت مناسباً في ظنِّ فرعون وقومه للإنقضاض على الإسرائيليين للقضاء عليهم أو إرجاعهم لتسخيرهم في خدمتهم واستعبادهم والحط من شأنهم، وخاصة أن فرعون قد أُخبر أن الإسرائيليين خرجوا من مصر لا ليعبدوا الرب وإنما هروباً من خدمته، فندم على إطلاقهم وقرَّر إرجاعهم، وبالفعل كما أراد الرب خرج المصريُّون بقيادة فرعون يطلبون موسى ومن معه وقد خرجوا في ستمائة مركبة من خيرة مركباتهم، وجيش جرار من الفرسان المقاتلين الأشداء، وأدركوا الإسرائيليين عند المنطقة التي أمر الله الإسرائيليين بالتجمع فيها، تقول التوراة في وصف ذلك **(وشدَّد الرب قلب فرعون ملك مصر حتى سعى وراء بني إسرائيل، وبنو إسرائيل خارجين بيدٍ رفيعة، فسعى المصريُّون وراءهم وادركوهم جميع خيل مركبات فرعون وفرسانه وهم نازلون عند البحر عند فم الحيروث أمام جبل صفون)**[4].

المطلب الرابع: أصحاب النفوس المريضة

عندما اقترب فرعون وجنوده من الإسرائيليين، فزع الإسرائيليون فزعاً شديداً، وبلغت قلوبهم الحناجر وظنوا بالله الظنونا، واتهموا موسى أنه أخرجهم إلى هذا المكان حتى تتم إبادتهم من قبل

---

(١) فم الحيروث: محلَّة للعبرانيين عن حدود مصر واقعة بين مجدل وجبل صفون، موقعها الآن غير معروف بالتمام ويرجِّح البعض أنَّه في مستنقعات (حنفه) على حافة الممر بين الجبل والبحيرات المرَّة. انظر بطرس عبد الملك، قاموس الكتاب المقدس، ص١٩٨، مرجع سابق.

(٢) جبل صفون أو جبل صفوان كلمة كنعانية تعني جبل الشمال أو جبل برج المراقبة، أو برج مجدل الذي كان قريباً منها، وهو مكان قرب خليج السويس على الشاطئ الغربي، المرجع السابق، ص١٨٣.

(٣) الخروج (١٤/ (١-٤).

(٤) الخروج (١٤/ (١-٤).

فرعون وجنوده، وهنا ظهر ضعف الإيمان في قلوبهم، فالله أراهــم معجزاتـــه عيانـــاً وألحـــق الضربات بأعدائهم وساقهم بهدايته إلى هذا المكان، وبمجرد أن رأوا فرعون وجنوده نسوا ذلك كله، وأيقنوا الهلاك، ولم ينتبهوا إلى ميثاق الله لهم الذي تزعم التوراة أن الله قطعه على نفـــسه تجاهم، وبمقتضاه سيورثهم أرض كنعان، ولم ينتبهوا كذلك إلى وعود موسى وتطميناتـــه، بـــل على العكس تبجحوا عليه قائلين: **(هل لأنه ليس قبورٌ في مصر أخذتنا لنموت في البريَّة؟ ماذا صنعت بنا حتى أخرجتنا من مصر؟ أليس هذا الكلام الذي كلمناك به في مصر قـــائلين: كـــف عنا فنخدم المصريين لأنه خير لنا أن نخدم المصريين من أن نموت في البريَّة)**(1)، حقـــاً إنـــه الذل الذي استمرؤوه، والسخرة والمهانة التي اعتادوا عليها، فهم يفضلون البقـــاء تحـــت الـــذل والمهانة على أن يموتوا عزيزي الأنفس مرفوعي الرؤوس دفاعاً عن دينهم وحريتهم، فوقـــف موسى في عزة المؤمن الواثق بنصر الله، الذي لم يشك لحظة واحدةً أن الله سيتخلى عنه وعـــن أتباعه، وأنه ناصرهم وخاذل أعدائهم، وقف بهم خطيباً وطمأنهم بأن الله لن يتخلى عنهم، وطلب منهم الصمت لآن الله سيقاتل معهم ويهزم عدوهم، **(فقال موسى للشعب لا تخافوا قفوا وانظروا خلاص الرب الذي يصنعه لكم اليوم، فإنه كما رأيتم المصريين اليوم لا تعودوا ترونهم أيـــضاً إلى الأبد، الرب يقاتل عنكم وانتم تصمتون)**(2)، ولكي يوقف الـــرب تقـــدم المـــصريين تجـــاه الإسرائيليين، ويفصل بينهم، إنتقل الرب الذي كان يتشكل في عمود السحاب نهاراً وعمود النار ليلاً للوقوف بين الفريقين، وعندها توقف تقدُّم المصريين، تقول التوراة: **(وانتقل ملاك الله الذي كان يتقدَّم عسكر إسرائيل إلى المؤخرة وخلفهم، وكذلك انتقل عمود السحابة من أمامهم ووقف وراءهم فدخل بين عسكر المصريين وعسكر الإسرائيليين، وصار عمود الظلام قائمـــاً علـــى المصريين وضياءً على بني إسرائيل فلم يقترب أحدهما من الأخر طوال الليل)**(3)، وعندها طلب الرب من موسى أن يأمر بني إسرائيل بالرحيل "أي أن يتقدموا أماماً نحو البحر"، وطلب منه أن يرفع عصاه، وأن يُمدَّ يده على البحر، وبذلك ينشق البحر، ويصبح الماء على جانبيه كالـــسور العظيم وفي وسطه تصبح الأرض يبساً لكي يعبرها الإسرائيليون إلى الجانب الآخـــر، وتقـــول

---

(1) الخروج (١٤/ (١١-١٢).

(2) الخروج (١٤/١٤).

(3) الخروج (١٤/ (١٩-٢٠).

التوراة في وصف ذلك الحدث: (**ومدَّ موسى يده على البحر فأجرى الرب البحر بريح شرقيةٍ، شديدةٍ كل الليل، وجعل البحر يابسةً، وانشق الماء فدخل بنو إسرائيل في وسط البحـــر علـــى اليابسة والماء سورٌ لهم عن يمينهم وعن يسارهم**) [1]، وقد أخبر الربُّ موسى أنه سيشدِّد على قلب فرعون ويملؤه غيظاً حتى يدخل البحر خلف الإسرائيليين، بالإضافة إلى أنَّ الرب سيتولى إعطاب مركبات المصريين التي تحملهم حتى يضطروا إلى أن يجرُّوها بأنفسهم مما يزيد فـــي تعبهم، ويهز نفوسهم، فتلحق بهم الهزيمة النفسيَّة قبل الهزيمة الماديَّة، (**وكان في هزيع الـــصبح أن الرب أشرف على عسكر المصريين في عمود النار والسحاب وأزعج عـــسكر المـــصريين وخلع بكر مركباتهم حتى ساقوها بثقلةٍ فقال المصريون: نهرب من إسرائيل لأن الرب يقاتـــل المصريين عنهم**)[2].

ورغم ما شاهد فرعون وجنوده من الآيات وآخرها آية انشقاق البحر لموسى ومن معه، إلا أنَّ نفوسهم ملئت كبراً وحقداً، فلحقوا بالإسرائيليين وسط البحر دون أيِّ وقفـــةٍ مـــع الـــنفس يتفكروا من خلالها في القوَّة التي شقت البحر للإسرائيليين، وكأنَّها النظرة السابقة!! فهل خُيِّـــل لهم ذلك أنه من سحر موسى؟؟ كما كانوا في السابق قد اتهموه به بعد أن صنع أمامهم معجزتي العصا واليد البيضاء، وعندما وصل المصريُّون إلى وسط البحر أمر الله موسى " كمـــا تقـــول التوراة" أن يمدَّ يده على البحر مَرَّه ثانية، وكان ذلك أوَّل وقت الصبح فعاد البحر إلى طبيعتـــه فغرق المصريون جميعاً مع مركباتهم، والإسرائيليون ينظرون إليهم صرعى، حيث ألقى بهـــم البحر على الشاطئ، وتصف التوراة ذلك المشهد الرهيب فتقول: (**فقال الرب لموسى: مدَّ يـــدك على البحر فيرجع البحر عند إقبال الصبح إلى حاله الدائمة والمصريُّون هاربون إلـــى لقائـــه، فدفع الرب المصريين في وسط البحر، فرجع الماء وغطى مركبات وفرسان جميع الجيش الذي دخل وراءهم في البحر، فلم يبق منهم ولا واحد، وأما بنوا إسرائيل فمشوا على اليابسة فـــي وسط البحر والماء سورٌ لهم عن يمينهم وعن يـــسارهم، فخلَّـــص الـــرب فـــي ذلـــك اليـــوم الاسرائيليِّين من يد المصريين، ونظر الإسرائيليون المصريين أمواتاً على شاطئ البحر، ورأى**

---

(١) الخروج (١٤/ (٢١-٢٢).

(٢) الخروج (١٤/ (٢٤-٢٥).

إسرائيل الفعل العظيم الذي صنعه الربُّ بالمصريين، فخاف الشعب الرب، وآمنوا بالرب وبعبده موسى)[١]، ومع نهاية هذا المشهد انتهت علاقة موسى بالطاغية فرعون كما وردت في نصوص التوراة بغرق فرعون وجنوده، ونجاة موسى ومن تبعه، وعندها أخذ موسى وأتباعه يـــسبِّحون الرب لوقوفه معهم ونصرهم على أعدائهم بترانيم توردها التوراة، (**أُرنِّم الرب فإنه قد تعظَّـــم، الفرس وراكبها طرحمها في البحر، الرب قولي ونشيدي، وقد صار خلاصي......**)[٢].

(١) الخروج (١٤/ (٢٦-٣١).

(٢) الخروج (١٥/ (١-١٨).

المبحث الثالث: الخروج بين القرآن والتوراة

في هذا المبحث أقدِّم عرضاً لأوجه الاتفاق والاختلاف بين القرآن والتوراة في حديثهما عن خروج بني إسرائيل من مصر، واتِّباع فرعون وجنده لهم، وهلاك فرعون ومن معه غرقاً في البحر، وسأبدأ أولاً بعرض أوجه الاتفاق ثم أثنِّي بأوجه الاختلاف التي وقعت بين الكتـابين في إيرادهما لأحداث الخروج.

المطلب الأول: أوجه الاتفاق بين القرآن والتوراة في حديثهما عن الخروج

الخروج من المطالب الرئيسة في دعوة موسى

عندما ذكر القرآن مشاهد اللقاء الأوَّل بين موسى وفرعون ذكر مطالب موسى من فرعون، ومن هذه المطالب إخراج بني إسرائيل من عبوديته، وإطلاقهم من أرض مصر، وقد ورد هـذا الطلب في أكثر من موضع في القرآن الكـريم، قـال تعـالى: ﴿ **قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ** ﴾[1]، وقال أيضاً: ﴿ **فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ** ﴾[2]، وقد نصَّت التوراة صراحة على هذا المطلب في كثير من المواضيع ومنها قال الرب لموسى: **(أدخل إلى فرعون وقل له هكذا يقول الرب أطلق شعبي ليعبدوني)**[3].

عدم تحديد زمَن الخروج

سكت القرآن الكريم في حديثه عن زمن الخروج، بالإضافة إلى سكوته عن تاريخ تلك الحقبة من الزمان بشكل كامل، فلم يشر إلى أي شيءٍ يوحي إلى تحديد زمن تلك الفترة، وهو ما يتمشى مع هدف القرآن من إيراد القصة، وهو أخذ العبرة والعظة دون الإلتفات إلى السرد التـاريخي الذي يخلو من ذلك الهدف المرجو، وكذلك لم تشر التوراة إلى ما يحدِّد زمـن الخـروج، وإن

---

(١) الأعراف (١٠٥).
(٢) طه (٤٧).
(٣) الخروج (٨/ ١).

اهتمت التوراة بذكر بعض الجوانب التاريخية لإقامة بني إسرائيل في أرض مصر دون تحديد زمن ذلك الخروج بدقة[1].

المطاردة أثناء الخروج

ذكر القرآن التعبئة العامة التي قام بها فرعون لمطاردة موسى وأتباعه أثناء الخروج، فقال عزَّ من قائل: ﴿ **فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ * إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ... فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ** ﴾[2]، وقوله أيضاً: ﴿ **فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ** ﴾[3]، أي فتبعهم وجنوده حتى لحقوقهم، ونزلوا في الطريق الذي سلكوه[4]، والتوراة تشير كذلك إلى هذه المطاردة: **(فلما أخبر ملك أن الشعب قد هرب تغيَّر قلب فرعون وعبيده على الشعب، فقالوا ماذا فعلنا حتى أطلقنا إسرائيل من خدمتنا؟؟، فشدَّ مركبته وأخذ قومه معه.... وشدَّد الرب قلب فرعون ملك مصر حتى سعى وراء بني إسرائيل)**[5].

نفسيَّة بني إسرائيل المهزومة

فرَّ الإسرائيليون من وجه فرعون، وانطلقوا إلى خارج مصر حتى وصلوا ساحل البحر، فلحق بهم فرعون، فأصبح البحر من أمامهم وفرعون عدُّوهم الأوَّل من خلفهم، وحين ذكر القرآن هذا المشهد أبان النفسيَّة المريضة التي تكمن في صدور الإسرائيليين والتي تملكتهم وسيطرت على كل تصرفاتهم، فنسي الإسرائيليون أن الله الذي أجرى لهم المعجزات تباعاً في أرض مصر هو الذي أخرجهم بأمره، وأنهم تحت رعايته، وتجاهلوا وجود موسى بينهم، وهو نبي الله وكليمه، أصبحت كل هذه الحقائق في منأى عن عيونهم وسيطر عليهم الرعب والخوف من الموت إمَّا غرقاً في البحر أو على يد عدوهم فرعون، فقالوا لموسى: ﴿**إِنَّا لَمُدْرَكُونَ** ﴾[6]،

---

(١) التكوين (١٥/ ١٣)، والخروج (١٢/ ٤٠).
(٢) الشعراء (٥٣ – ٦٠).
(٣) طه (٧٨).
(٤) القاسمي، محاسن التأويل، م٦ (ج١١/ ص١٨)، مرجع سابق.
(٥) الخروج (١٤/ (٥–٨).
(٦) الشعراء (٦١).

وتظهر التوراة كذلك فزع الإسرائيليين عندما شاهدوا المصريين خلفهم قد لحقوا بهــم، وأيقنــوا الهلاك على أيديهم، وعندها اتهموا موسى بأنه أخرجهم ليهلكهم، وتمنَّوا أنهم قد خــالفوه ولــم ينزلوا عند أمره بالخروج من أرض مصر، وما هذا إلاَّ لضعف إيمانهم وخوران عزائمهم، تقول التوراة: **(فلمَّا اقترب فرعون رفع بنو إسرائيل عيونهم وإذا المــصريون راحلــون ورائهــم، ففزعوا جداً وصرخ بنو إسرائيل إلى الرب وقالوا لموسى هل لأنه ليس قبورٌ في أرض مصر أخذتنا لنموت في البريَّة ماذا صنعت بنا حتى أخرجتنا من مصر؟؟ أليس هــذا الكــلام الــذي كلمناك به في مصر قائلين كُف عنَّا فنخدم المصريين لأنه خيرٌ لنا أن نخدم المصريين مــن أن نموت في البريَّة)**(١).

موسى صاحب النفس المطمئنة الواثقة بالله

عندما تقابل الفريقان وجهاً لوجه عند ساحل البحر، وظهرت النفسيَّة المحطمة للإسرائيليين، كان موسى في حالة مستقرَّة فمعيَّة الله التي يستشعر بها سكبت في قلبه الأمن والأمــان، وقــد سطَّر الكتابان لموسى هذه الوقفةُ النبيلة فذكر القرآن قولــه: ﴿ **إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ** ﴾(٢)، وفــي التوراة يظهر موسى ثابتاً مطمئناً لنصر الله **(فقال موسى للشعب: لا تخــافوا قفــوا وانظــروا خلاص الرب الذي يصنعه لكم اليوم، فإنه كما رأيتم المصريين اليوم لا تعودون ترونهم أيــضاً إلى الأبد، الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون)**(٣).

آية انشقاق البحر

يذكر الكتابان أن الله شق لموسى البحر عندما حوصر مع أتباعه عند الساحل، فانشق البحــر وأصبح يابسة، وصار الماء على الجانبين كالجبلين العظيمــين، فعبــر الإســرائيليون وتــبعهم المصريون، فخرج الإسرائيليون من الجانب الآخر، بينما أعاد الله البحر إلى حالتــه الطبيعيــة فغرق المصريُّون جميعاً، قــال تعــالى: ﴿ **فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ**

---

(١) الخروج (١٤/ (١٠- ١٢).

(٢) الشعراء (٦٢).

(٣) الخروج (١٤/ (١٣-١٤).

فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ * وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ * وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ * ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ﴾[١]، والتوراة أشارت إلى هذا المشهد **(فدخل بنو إسرائيل في وسط البحر على اليابسة والماء سورٌ لهم عن يمينهم وعن يسارهم وتبعهم المصريُّون ودخلوا وراءهم... فرجع الماء وغطَّى مركبات وفرسان جميع جيش فرعون الذي دخل وراءهم في البحر فلم يبق منهم ولا واحد، وأما بنوا إسرائيل فمشوا على اليابسة في وسط البحر، والماء سورٌ لهم عن يمينهم وعن يسارهم)**[٢].

هلاك فرعون بالغرق

يشير الكتابان إلى أن هلاك فرعون كان غرقاً في ماء البحر بعدما أنجى الله موسى ومن معه بعدما شقَّ الله لهم البحر، فعبروا إلى الطرف الآخر، فتبعهم فرعون وجنوده، فأطبق الله عليهم جانبي الماء فماتوا جميعاً وقد نصَّ القرآن على ذلك صراحةً في قوله ﴿ فَأَرَادَ أَن يَسۡتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ فَأَغۡرَقۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعٗا ﴾[٣]، وهذه الآية تأتي في سياق حديث القرآن عن إرسال موسى إلى فرعون وملئه وتكذيبهم له فكان جزاؤهم الغرق في البحر جميعاً، وتشير التوراة إلى هلاك فرعون غرقاً في البحر حيث تقول: **(فرجع الماء وغطَّى مركبات وفرسان جميع جيش فرعون الذي دخل وراءهم في البحر فلم يبق منهم ولا واحد)**[٤]، وهذا النص واضح الدلالة أن الجيش المصري أُغرق جميعاً في البحر، ومن ضمنهم فرعون حيث لم يستثن من ذلك الغرق أحد[٥].

---

(١) الشعراء (٦٣ – ٦٦).
(٢) الخروج (١٤/ (٢٢– ٢٩).
(٣) الإسراء (١٠٣).
(٤) الخروج (١٤/ ٢٨).
(٥) انظر بوكاي، دراسة الكتب المقدسة، ص٢٥٠، مرجع سابق.

المطلب الثاني: أوجه الاختلاف بين القرآن والتوراة في حديثهما عن الخروج

أعداد بني إسرائيل أثناء الخروج

تشيرُ التوراة إلى أن عدد الإسرائيليين الذين خرجوا مع موسى من أرض مصر كانوا نحو ستمائة ألف رجل عدا الأطفال والنساء، وفي إحصائية أخرى تشير التوراة إلى أن عدد الذين خرجوا مع موسى وكانت أعمارهم تتجاوز العشرين عاماً كانوا ستمائة ألف وخمسمائة وخمسون رجلاً[١]، بينما لا يذكر القرآن شيئاً عن أعداد بني إسرائيل أثناء الخروج من أرض مصر.

خط مسير الخروج

لا يعطي القران أيَّ إشارة عن خط مسير الإسرائيليين أثناء الخروج على حين تشير التوراة إلى خط مسير الإسرائيليين أثناء الخروج بشيء من التفصيل[٢]، وقد اكتفى القرآن بالإشارة إلى أن موسى وصل بالإسرائيليين إلى ساحل البحر دون تحديد ذلك المكان بدقةٍ، والبعض يذكر أن ذلك البحر هو بحر القلزم[٣]، والبعض يذكر أن ذلك المكان هو عن التقاء خليج السويس بمنطقة البحيرات[٤]، بينما تذكر التوراة أسماء المناطق التي سلكها الإسرائيليون أثناء الخروج بدقَّةٍ، وحسب التوراة فقد خرج المصريُّون من رعمسيس إلى سكُّوت وكانت وجهتهم إلى أرض كنعان، ولكنَّ الربَّ غير مسار طريقهم إلى (بريَّة سوف)، ثم ارتحلوا إلى إيثام ثم رجع الإسرائيليون بطلب من الرب إلى منطقة فم الحيروث بين مجدل والبحر أمام جبل صفُّون[٥].

---

(١) العدد (١/ ٤٥- ٤٧).
(٢) بوكاي، دراسة الكتب المقدسة، ص٢٥٧، مرجع سابق.
(٣) الحموي، معجم البلدان، (١٠٣/١)، مرجع سابق.
(٤) قطب، الظلال، (٦/ ٢١١)، مرجع سابق.
(٥) انظر الخروج، (٣٧/١٢) و (١٢/ ٣٨١ – ٣٩) و(١٣/ ٢٠ – ٢١) و(١٤/ (١- ٢).

في القرآن الخروج كان بوحي من الله

أشار القرآن في حديثه عن خروج بني إسرائيل أنَّ ذلك الخروج كان بوحي من الله لموسى، فقد أمر الله موسى بالخروج من أرض مصر ليلاً بسريَّةٍ تامةٍ، قال تعالى: ﴿**فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلاً إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ**﴾[1]، وقد كان هذا الخروج على غير علمٍ من فرعون وأتباعه، وإنما تم بسريَّة تامَّةٍ، بينما تذكر التوراة أن خروج بني إسرائيل كان على علمٍ من فرعون وقومه، بل إن التوراة تذكر أن فرعون طرد الإسرائيليين طرداً من أرض مصر، بعد ما حلَّ العذاب بالمصريين بسبب عدم إطلاقهم الإسرائيليين، تقول التوراة: **(فدعا** "**أي فرعون**" **موسى وهارون ليلاً وقال قوموا اخرجوا من بين شعبي أنتما وبنو إسرائيل جميعاً، واذهبوا واعبدوا الرب كما تكلمتم، خذوا غنمكم أيضاً وبقركم كما تكلمتم واذهبوا وباركوني أيضاً، وألحَّ المصريون على الشعب ليطلقوهم عاجلاً من الأرض لأنهم قالوا جميعنا أموات)**[2]، وبعد ذلك ندم فرعون على إطلاق الإسرائيليين وعزم على إرجاعهم لتسخيرهم في خدمته[3].

الربُّ في صورةٍ مشاهدةٍ أثناء الخروج

تقول التوراة إن الربَّ سار مع بني إسرائيل أثناء الخروج في النهار في عمود من سحاب يهديهم الطريق، وليلاً في عمود من نار يضيء لهم الطريق، وهو ما يوضح فكرة التجسيد التي يقول بها اليهود، فالإله عندهم محسوسٌ مشاهد، فهم يشاهدونه على هيئة عمودٍ من نار في الليل وعمودٍ من سحاب في النهار[4]، قد جاء في سفر الخروج ما نصُّه **(وكان الرب يسير أمامهم في عمود سحاب ليهديهم في الطريق وليلاً في عمود من نار ليضيء لهم لكي يمشوا نهاراً وليلاً، ولم يبرح عمود السحاب نهاراً وعمود النار ليلاً أمام الشعب)**[5]، ولم تكن هذه أوَّل مرَّةٍ تجسد فيها نصوص التوراة الرب، وها هو الرب ينزل على الأرض ويمشي ليقتل

---

(١) الدخان (٢٣).
(٢) الخروج (١٣/ ٣١ – ٣٣).
(٣) الخروج (١٤/ ١٥).
(٤) ليلى حسن سعد الدين، مثل الذين حُمِّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً، ص١٥٤، دار الفكر، عمان، ط(١)، ١٩٨٤م، بتصرف، وسعد الدين، العقيدة اليهودية، ص٣١٣، مرجع سابق.
(٥)الخروج (١٣/ ٢٠-٢٢).

الآخرين، تعالى الله عمَّا يقولون علواً كبيراً[١]، والقرآن بعيد عن ذلك كل البعد عن هذه الترهات، فقد أثبت الله لذاته فيه صفات الجلال والكمال، ونفى عن نفسه التشبيه والرؤية في الدنيا، قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[٢]، وقال أيضاً: ﴿ لا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[٣]، وفي هذا المقام يتضح لنا فرقٌ جوهريٌ بين نظرة اليهود للإله والتي تبيِّنها التوراة والنظرة الأخرى التي جاء بها القرآن الكريم.

في التوراة... ضرب موسى البحر بيده

أشار القرآن إلى أن الله جلَّ في علاه أمر موسى أن يضرب البحر بعصاه، فانشق البحر بأمر الله إلى قسمين، وأصبح بين القسمين طريقٌ يبسٌ ليعبره الإسرائيليون ﴿ **فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ** ﴾[٤]، وهذه الآية واضحة الدلالة أن الضرب كان بالعصا، بينما تذكر التوراة أن موسى ضرب البحر بيده ولم تشر إلى العصا، **(فمدَّ موسى يده على البحر فأجرى الرب...)**[٥]، وفي موضع آخر **(قال الرب لموسى مُدَّ يدك على البحر ليرجع الماء على المصريين)**[٦].

الاختلاف في عدد ضربات موسى للبحر

أشار القرآن إلى أنَّ موسى ضرب البحر ضربةً واحدة وذلك عندما تواجه الفريقان معاً وجه لوجه عند ساحل البحر، وبعدما عبر الإسرائيليون إلى الجانب الآخر أمَرَ الله موسى أن يترك البحر على حاله دون أن يضربه مَرَّةً أخرى وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ**

---

(١)الخولي اليهود من كتابهم، ص١٠ وما بعدها، مرجع سابق.
(٢) الشورى (١١).
(٣) الأنعام (١٠٣).
(٤) الشعراء (٦٣).
(٥) الخروج (٢١/١٤).
(٦) الخروج (٢٦/١٤).

﴿ **إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ** ﴾[1]، أي أترك البحر يا موسى ساكناً على حاله[2]، وذلك أنَّ موسى لو ضرب البحر فعاد إلى حاله الأصليَّة بأمر الله لبقي فرعون وجنده على قيد الحياة، ولكنَّ الله بأمره هـذا لموسى استدرجهم حتى دخلوا في البحر فأطبقه عليهم، فغرقوا جميعاً وتشير التوراة إلـى مـا يخالف ذلك، فقد جاء في نصوصها أن موسى ضرب بيده البحر مَرَّةً ثانيةً عندما دخل فرعـون وجنوده البحر ليلحقوا بهم **(فقال الرب لموسى مدَّ يدك على البحر ليرجع الماء على المصريين على مركباتهم وفرسانهم* فمدَّ موسى يده على البحر فرجع البحر عند إقبال الصبح... ولـم يبق منهم ولا واحد)**[3].

التوراة تورد تفاصيل عن جيش فرعون لم ترد في القرآن

عندما أشار القرآن إلى مطاردة فرعون وأتباعه لموسى ومن معه أشار إلى ذلك بصورة مجملة فقال: ﴿ **فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ** ﴾[4]، ولم يدخل القرآن في الحديث عن تفاصـيل ذلـك الجيش الذي جهَّزه فرعون ليطارد به موسى وأتباعه، بينما تذكر التـوراة بعـضاً مـن تلـك المميزات والتجهيزات التي كان يتمتع بها جيش فرعون فقد كان الجيش يحتوي علـى سـتمائة مركبة منتخبة أي من أفضل أنواع المركبات بالإضافة إلى كل المركبات الأخرى، وهذا يعنـي أنَّ الجيش المصري استخدم عربات تجرها الخيول أو ما يقوم مقامها، وذلك لتحمل عدد أكبـر من الجنود مما يوحي بضخامة الجيش المصري الذي طارد موسى، تقول التوراة في وصـف ذلك الجيش: **(فشدَّ مركبتهُ "أي فرعون" وأخذ قومه معه وأخذ ستمائة مركبة ضخمة وسـائر مركبات مصر وجنوداً مركبيه على جميعها...)**[5].

---

(١) الدخان (٢٤).

(٢) ابن قتيبه، تفسيرغريب القرآن، ص٤٠٢، مرجع سابق.

(٣) الخروج (١٤/ ٢٦- ٢٩).

(٤) طه (٧٨).

(٥) الخروج (١٤/ (٥-٧).

التوراة لم تذكر شيئاً عن اللحظات الأخيرة في حياة فرعون

ذكر القرآن الكريم موجزاً عن اللَّحظات الأخيرة من حياة فرعون عندما شارفت روحه على الخروج، وذكر ما كان فيه من الاستسلام وإعلان الإيمان في اللحظة التي لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل، ولا نجد ذكراً لهذه اللَّحظات الخيرة من حياة الطاغية في نصوص التوراة، فقد كان آخر شيء ذكرته التوراة عن حياة فرعون أنه دخل بالجملة مع قومه في البحر ليلحقوا بموسى ومن معه فأعاد الله البحر إلى طبيعته فمات فرعون وكل من معه غرقا وكان ذلك آخر شيء ذكرته التوراة عنه.

الحديث عن جثة فرعون

لا توجد أيَّ إشارةٍ لجثة فرعون في التوراة، بينما أشار القرآن إلى أنَّ الله كتب على فرعون الغرق ومن ثم إنجاء بدنه ليكون عبرةً لمن يأتي بعده من البشر قال تعالى: ﴿ **فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ** ﴾[١]، وفي هذه الآية إشارة إلى أن جثة فرعون خرجت من البحر ومن ثمَّ رآها الناس قطعاً ليتحقَّقَ الغرض من إنجاء البدن كما ذكرت الآية السابقة وهو أن يكون بدنه آيةً لمن خلفه، ولا نجد في نصوص التوراة أي إشارة إلى جثة فرعون بالخصوصية والظاهر من نصوص التوراة أن فرعون هلك مع قومه دون أي ذكر لمصير جثته بعد الغرق، **(فخلَّص الرب في ذلك اليوم إسرائيل من يد المصريين ونظر إسرائيل المصريين أمواتاً على الشاطئ)**[٢].

وبهذا انتهت الفوارق بين القرآن والتوراة في إيرادهما لأحداث الخروج من أرض مصر وهلاك فرعون وجنده.

---

(١) يونس (٩٢).

(٢) الخروج (١٤/٣٠).

الخاتمة وأهم النتائج:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على الرحمة المهداة، محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد.

فقد وفَّقني الله جلَّ في علاه أن أنهي الكتابة في قصة موسى عليه السلام مع فرعون في كل من القرآن والتوراة وبيان أوجه الاتفاق والاختلاف بين الكتابين في إيرادهما لهذه القصة، وقد توصلت من خلال هذا البحث إلى النتائج الآتية:

١. التوراة التي بين أيدينا محرفة لفظا ومعنى لما فيها من تناقضات وتفاهات في حق الله والرسل الكرام مما لا يقبله العقل السليم.

٢. اليهود قد انحرفوا في الذات الإلهية انحرافاً شديداً فوصفوه بأوصاف البشر الناقصة فهو محتاج لغيره من البشر ويعتريه التعب إلى غيرها من النقائص.

٣. اليهود تطاولوا على الرسل الكرام وخصوصاً كليم الله موسى عليه السلام، فوصفوه بأوصاف مختلقة لا تليق بمكانة نبي مرسل.

٤. الوحدة الموضوعية للقصص القرآني وحدتها العضوية المتمثلة بترابط الأحداث وتسلسل الوقائع.

٥. هناك بعض التوافق بين القرآن والتوراة في الحديث عن قصة موسى مع فرعون ولكن جانب الاختلافات أوسع وأكبر.

٦. يهتم القرآن بإيراد الأحداث التي فيها مواطن العبرة والعظة ولا يهتم بالتفصيلات التي تخرج عن هذا الغرض، بينما تركز التوراة على إيراد تفاصيل الأحداث والسرد التاريخي وإن خرجت عن مواطن العبرة.

٧. اليهود فاسدون ومفسدون في الأرض وهذا يظهر من خلال تحريفهم للتوراة وحشوها بالأكاذيب والتجرؤ على الله وأنبيائه الكرام.

٨. إدعاء اليهود بأنهم شعب الله المختار وأنهم أفضل خلقه، هو ادعاء كاذب يدحض من خلال نصوص القرآن والتوراة نفسها.

٩. لقد شاهد فرعون المعجزات بأمِّ عينيه مما جعله على يقين أن موسى رسول من رب العالمين ولكنَّ عقدة الكبر والعناد التي تمكنت من نفسه دفعته إلى رفض الإيمان.

١٠. إن من أسباب استجابة الدعاء إغاثة الملهوف كما حصل مع سيدنا موسى عليه السلام عندما ساعد الإسرائيلي والفتاتين عند بئر مدين.

١١. الجبن من الصفات الملازمة لليهود وهذه الصفة لا تنفك عنهم إلى قيام الساعة.

١٢. نكث العهود من أبرز صفات الطغاة المتكبرين ويظهر هذا واضحاً من شخصية فرعون وبني إسرائيل.

١٣. تبين للباحث أن كثيرا من الروايات والأقاصيص المنقولة من التوراة والتي تتحدث عن قصة موسى مع فرعون ليس لها علاقة بالعلم الصحيح وإنما هي بعض من الأساطير والوهم والخرافة.

١٤. الأمَّة التي تغض الطرف عن تصرفات طغاتها ولا تحاسبهم تلاقي نفس مصيرهم وهو الهلاك والعذاب.

وختاماً: لا أزعم أنني وفيت هذا الموضوع حقه ولكن حسبي أنني قد بذلت جهدي، فإن أحسنت فمن الله وإن أسأت فمن نفسي، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر

القرآن الكريم.

التوراة.

إبراهيم أنيس وآخرون: **المعجم الوسيط.**

ابن الأثير، **المبارك محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني:** الكامل في التاريخ، دار الصدر، بيروت، ١٩٦٥م.

أحمد بهجت: **أنبياء الله**، دار الشروق، ط٤، ١٩٧٧م.

أحمد عبد الوهاب: **النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام**، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٩٩٢م.

: تعدد نساء الأنبياء ومكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام، مكتبة وهبة، مصر، ط١، ١٩٨٩م.

الأشقر، محمد سليمان: **زبدة التفسير من فتح القدير**، دار الفتح ودار النفائس، عمان، ط٥، ١٩٩٤م.

الألباني، محمد ناصر الدين: **صحيح سنن إبن ماجة**، تعليق زهير الشاويش، مكتبة التربية العربي لدول الخليج، والمكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.

: صحيح سنن الترمذي، تعليق زهير الشاويش، مكتبة التربية العربي لدول الخليج، والمكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.

: سلسلة الأحاديث الصحيحة، مكتبة المعارف للنشر والتعارف والتوزيع، ط١، ١٩٩٦م.

الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي: **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، دار الفكر، ١٩٨٧م.

الأندلسي، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي: **تفسير البحر المحيط**، دراسة وتحقيق مجموعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٩٩٩م.

باجودة، حسن: **تأمُّلات في سورة الأعراف**.

البار، محمد علي: **المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم**، دار القلم والدار الشامية، ط١، ١٩٩٠م.

: **الله جل جلاله والأنبياء عليهم السلام في التوراة والعهد القديم**، دار القلم والدار الشامية، ط١، ١٩٩٠م.

البخاري، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل: **صحيح البخاري**، حقَّق أصولها الشيخ عبد العزيز بن باز، دار الفكر، ١٩٩٤م.

البروسوي، إسماعيل حقي: **تنوير الأزهار في تفسير روح البيان**، إختصار وتحقيق الشيخ محمد علي الصابوني، دار الصابوني، ط١، ١٩٨٨م.

البستاني، عبد الله الوافي: **معجم وسيط اللغة العربية**، مكتبة لبنان، ط٢، ١٩٨٠.

البغوي، الحسين بن مسعود البغوي: **تفسير البغوي المسمّى معالم التنزيل**، دار الكتب العلمية، بيروت ط١.

البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر: **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، تخريج عبد الرازق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.

بوكاي، موريس: **دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة**، دار المعارف، لبنان، ط٤، ١٩٧٧م.

: **التوراة والإنجيل والقرآن والعلم**، ترجمة نخبة مـــن الـــدعاة، دار الكنـــدي، بيروت، ط١، ١٩٧٨م.

البيشاوي، سعيد وآخرون: **دراسات في الأديان والفرق**، دار الاتحاد، الأردن، ط١، ١٩٩٠.

البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر: **أنوار التنزيل وأسرار التأويـــل المعـــروف بتفسير البيضاوي**، مؤسسة شعبان، بيروت.

البيضاوي والنسفي والخازن وابن عباس: **ضمن كتاب مجموعة من التفاسير**، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي: **الأسماء والصفات**، دار إحياء التـــراث العربـــي، بيروت.

بيومي، محمد، القصص القرآني: **دروس وعبر للدعوة والدعاة**، مكتبة الإيمان، مـــصر، ط١، ١٩٩٩م.

تعيلب، عبد المنعم أحمد: **فتح الرحمن في تفسير القرآن**، دار السلام، ط١، ١٩٩٥م.

الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف: **تفسير الثعالبي**، المسمى بالجواهر الحـــسان فـــي تفسير القرآن، تحقيق أبو محمد الغماري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

جابر الشال: **قصص النساء في القرآن**، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة.

جاد المولى: محمد أحمد، **قصص القرآن**، تحقيق محمد علي الشقيري، مكتبة دار الثقافة، عمان، ١٩٩٧م.

الجبالي، أبو محمد: **قصص الأنبياء في ظلال القرآن للشهيد سيد قطب**، دار اليوسف، بيروت، ط١، ١٩٩٨.

الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد: **زاد المسير في علم التفسير**، تخريج أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٧م.

الحاوي، محمد بن عمر نووي: **مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد**، ضبط محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٧م.

الجوزية، ابن قيم: محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي، **تحفة المودود بأحكام المولود**، تقديم محمد سويد، المكتب العالمي للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٥.

ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني: **الإصابة في تمييز الصحابة**، تحقيق الشيخ عادل احمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية،لبنان، ط١٩٩٥،١م

فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٩م.

حسين فرح زين الدين: **التحنيط**، دار الفكر العربي.

حمدي بن محمد نور الدين آل نوفل: **قصص القرآن**، مكتبة الصفا، ط١، ٢٠٠٢م.

الحمصي، أحمد فايز: **قصص الرحمن في ظلال القرآن**، وما بعدها، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٩٥.

الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله: **معجم البلدان**، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت.

حوى، سعيد: **الأساس في التفسير**، دار السلام، ط١، ١٩٨٩م.

الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم: **تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل**، دار الفكر بيروت.

الخالدي، صلاح عبد الفتاح: **القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث**، دار القلم، ط١، ١٩٩٨م.

: **مع قصص السابقين في القرآن**، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٩٩٦م.

: **التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق**، دار النفائس، الأردن، ط١، ١٩٩٧.

الخضري، محمد صالح: **منهج الدعاة إلى الله في رحاب سورة الكهف والقصص**، تقديم أحمد حسن فرحات وعبد الستار أبو غدَّه، دار النفائس، الأردن، ط١، ١٩٩٨م.

خطاب، عبد المعز: **عشرون امرأة في ضوء القرآن**، دار الاعتصام، القاهرة.

خطاب، محمود شيت: **المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم**، دار الفتح بيروت، ط١، ١٩٦٦م.

الخطيب، عبد الكريم: **القصص القرآني في منطوقه ومفهومه**، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٧٥م.

الخولي، محمد علي: **اليهود من كتابهم**، دار الفلاح للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ١٩٩٨م.

: **التحريف في التوراة**، دار الفلاح للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٩م.

دار المنهل، **موسوعة الكتاب المقدس**، إصدار دار المنهل، بيروت، ١٩٩٣م.

الدامغاني، الحسين بن محمد: **قاموس القرآن أو ما يسمى بإصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم**، تحقيق عبد العزيز سيِّد الأهل، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

أبو داوود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي: **سنن أبي داوود**، تعليق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى.

الداودي، محمد بن علي بن أحمد: **طبقات المفسرين**، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة ط٢، ١٩٩٤م.

الذهبي، محمد حسين: **التفسير والمفسرون**، ط٢، ١٩٧٦م.

الرازي، فخر الدين محمد بن عمر: **التفسير الكبير**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.

: **مختار الصحاح**، عناية يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، ط٤، ١٩٩٨م.

رضا، محمد رشيد: **تفسير القرآن الكريم المعروف بتفسير المنار**، دار المنار، مصر، ط٤، ١٣٧٣هـ.

الزحيلي، وهبة: **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٩١م.

الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي: **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل**، دار الفكر، ط١، ١٩٧٧م.

زنون كوسيد وفسكي: **الأسطورة والحقيقة في التوراة**، ترجمة د. محمد مخلوف، دار الأهالي للطباعة والنشر، ط١، ١٩٩٦م، بتصرف.

الزيادي، محمد منير: **الرسالة وبنو إسرائيل**، (اليهودية)، ١٩٩١م.

الزين، سميح عاطف: **مجمع البيان الحديث**، تفسير مفردات ألفاظ القران الكريم، دار الكتاب اللبناني ودار الكتاب المصري، ط١، ١٩٨٠م.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان**، مراجعة علاء السعيد، دار الفكر، ١٩٩٥.

السعدي، غازي: **الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود**، وما بعدها، دار الجيل، عمان، ط١، ١٩٩٤م.

السقا، أحمد حجازي: **نقد التوراة**، أسفار موسى الخمسة، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، ١٩٧٦م.

السقاف، أبكار: **إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة**، مكتبة مدبولي، مصر، ط٢، ١٩٩٧م.

أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي: **تفسير أبى السعود**، ترتيب عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

أيوب، سعيد: **الإنحرافات الكبرى للقرى الظالمة في القرآن الكريم**، وما بعدها، دار الهادي، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.

الصالح، السيد سعد الدين: **العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية**، مكتبة الصحابة، جده، ومكتبة التابعين، القاهرة، ط٢، ١٤١٦هـ.

السيوطي، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن الكمال وجلال الدين محمد بن أحمد: **تفسير الجلاليين**، تقديم محمد كريم راجح، دار القلم.

الشامي، رشاد عبد الله: **إشكالية الهوية في إسرائيل**، إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٧م.

الشريدة، محمد حافظ، وغوراني، عمر بن الخالق: **الطائفة السامرية**، ط١، ١٩٩٤م.

الشعراوي، محمد متولي: **تفسير الشعراوي**، طباعة دار أخبار اليوم.

الشنطي، عماد الدين عبد الله: **اليهودية والمسيحية في الميزان**، دار المنارة، ط١، ٢٠٠٤م.

الشوكاني، محمد علي بن محمد: فتح القدير، **الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير**، راجعه وعلق عليه هشام البخاري و نصر عكاوي، المكتبة العصرية، صيدا، ط١، ١٩٩٧م.

الشَّيباني، أحمد بن حنبل أبو عبد الله: **مسند الإمام أحمد**، تحقيق شعيب الأرنــؤوط وآخــرون، مؤسسة الرسالة، بيروت،ط٢، ١٩٩٩م.

الصابوني، محمد علي: **صفوة التفاسير**، دار الصابوني، ط٩.

طبارة، عفيف عبد الفتاح: **مع الأنبياء في القرآن الكريم قصص ودروس وعبر من حيــاتهم**، مطبعة دار الكتب، ودار العلم للملايين.

: **اليهود في القرآن الكريم**، مراجعة شريف خليــل ســكر وحــسين يوسف غزال، مطابع دار الكتب، بيروت، ط١، ١٩٦٦م.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: **تاريخ الرسل والملوك المعروف بتاريخ الطبري**، تحقيــق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر.

: **جامع البيان عن تأويل آي القرآن المعــروف بتفــسير الطبري**، تخريج صدقي جميل العطار، دار الفكر،١٩٩٥م.

طهماز، عبد الحميد محمود: **الأسباب والمسببات في سورة الرعد والدعوة والهداية في سورة إبراهيم**، دار القلم، دمشق والدار الشامية، بيروت ط١، ١٩٩٤م.

: **سبيل السعادة في سورة طه وكلمة التوحيد وأمَّــة التوحيــد فــي سورة الأنبياء**، دار القلم والدار الشامية، ط١، ١٩٩٤م.

الإنسان بين التقدير والتكليف في سورة يــونس، دار القلــم، دمــشق، ودار العلــوم، بيروت، ط١، ١٩٨٩م.

عباس، فضل حسن: **القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته**، دار الفرقــان، عمــان، الأردن، ط٢، ١٩٩٢م.

عبد الأمير، علي مهنا: **لسان اللسان**، تهذيب لسان العرب، لإبن منظور، دار الكتب العلميــة، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

عبد الباقي، محمد فؤاد: **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، دار الفكر، ط٤، ١٩٩٤م.

عبد الجليل، عيسى، **تيسير التفسير**، ط١، ١٩٥٨.

قاسم، عبد الستار: **إبراهيم والميثاق مع بني إسرائيل في التوراة والإنجيل والقرآن**، الجمعيــة الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية، القدس، ١٩٩٤.

العدوي، محمد أحمد: **دعوة الرسل إلى الله تعالى**، دار المعرفة للطباعــة والنــشر، بيــروت، ١٩٧٩.

فتاح، عرفات: **اليهودية عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية**، دار عمــار، الأردن، ودار البيارق، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

العفاني، سيد حسين: **روضة الناظر ونزهة الحاضر في الجزاء من جنس العمل**، مكتبــة ابــن تيمية، القاهرة، ط٢، ١٩٩٦م.

علوان، عبد الله: **تربية الأولاد في الإسلام**، دار السلام، ط٢، ١٩٧٨م.

وافي، علي عبد الواحد: **الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإســلام**، دار نهــضة مــصر، القاهرة.

فكري، علي: **أحسن القصص**، دار الكتب العلمية، بيروت ط٧، ١٩٧٩م.

عمارة، محمود محمد: **فقه الدعوة من قصة موسى عليه السلام**، مكتبة الإيمان، مــصر، ط١، ١٩٩٧م.

عميره، عبد الرحمن: **دقائق لغة القرآن في تفسير ابن جرير الطبــري**، عــالم الكتــب، ط١، ١٩٩٢م.

الفتياني، تيسير المحجوب: **الحوار القرآني في قصة موسى عليه السلام**، مركز الكتاب الأكاديمي، الأردن، ط١، ٢٠٠٤م.

موسى، فرح: **الأنبياء والمترفون في القرآن**، دار الهدى، بيروت، ط١، ١٩٩٧.

فوده، عبد الرحيم: **قصة بني إسرائيل من معاني القرآن**، الدار القومية للطباعة والنشر.

الفيومي، أحمد بن محمد: **المصباح المنير**، المكتبة العصرية، ط٢، ١٩٩٧م.

خضر، قاسم توفيق: **شخصية فرعون في القرآن**، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، ٢٠٠٣م.

القاسمي، محمد جمال الدين: **تفسير القاسمي المسمَّى محاسن التأويل**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، ط٢، ١٩٧٨م.

إبن قتيبه، أبو محمد عبد الله بن مسلم: **تفسير غريب القرآن**، تحقيق أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٨م.

القرضاوي، يوسف: **الصبر في القرآن الكريم**، وما بعدها، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٨٤م.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري: **الجامع لإحكام القرآن**، دار الكتب العلمية، ١٩٩٣م.

قطب، سيد: في **ظلال القرآن**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٧، ١٩٧١م.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل: **قصص الأنبياء**، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز، مكتبة دار الثقافة، ط٥، ١٩٩٦م.

: **البداية والنهاية**، دار الرشيد، حلب.

: **تفسير القرآن العظيم**، دار إحياء الكتب العلمية.

كشك، عبد الحميد: **المستكبرون والمستضعفون في القرآن الكريم**، دار المختـــار الإســـلامي، مصر.

الكيالي، عبد الوهاب: **موسوعة السياسة**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيـــروت، ط١، ١٩٨٣م.

سعد الدين، ليلى حسن: **مثل الذين حُمِّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً**، دار الفكر، عمان، ط١، ١٩٨٤م.

ماستر فيديا: **التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، التقريـــب والجمـــع التـــصويري والمونتـــاج والأعمال الفنية شركة ماستر فيديا**، حلوان، مصر.

المراغي، أحمد مصطفى: **تفسير المراغي**، دار إحياء التراث، بيروت، ط٣، ١٩٧٤م.

مسلم، أبو الحسن بن الحجاج القشيري النيسابوري: **صحيح مسلم**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، ط٣، ١٩٨٣م.

المسيري، عبد الوهاب: **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩٩م.

إبن منظور، محمد بن مكرم: **لسان العرب**، دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٩٩٤.

الميداني، حبنكة عبد الرحمن: **العقيدة الإسلامية وأسسها**، دار القلم، دمشق، ط٧، ١٩٩٤.

النجار، عبد الوهاب: **قصص الأنبياء**، مؤسسة الحلبي للطباعة والنشر.

النيسابوري، نظام الدين الحسن بن مُحمد بن حسين القمي: **تفسير غرائب القـــرآن، ورغائـــب الفرقان**، ضبط تخريج الشيخ زكريا عميرات، ط١ دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م.

النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود: **تفسير القرآن الجليل المسمَّى بمدارك التنزيل وحقـــائق التأويل**، المكتبة الأموية، دمشق.

هداب، محمد أحمد: **المرأة في القصص القرآني**، (رسالة ماجستير غيـر منـشورة)، جامعـة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين ٢٠٠٣م.

الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد: **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق صفوت عـدنان اوودي، دار القلم، والدار الشامية، ط١، ١٩٩٧م.

اليزيدي، أبو عبد الرحمن عبد الله بن يحيى المبارك، **غريب القرآن وتفسيره**، تحقيـق محمـد سليم، عالم الكتب، ط١، ١٩٨٥م

اليعقوبي، أحمد بن يعقوب بن جعفر العباسي: **تاريخ اليعقوبي**، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م.

فهرس الآيات

الرقم	الآية	رقمها	السورة	الصفحة
٢١.	﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ ﴾	١٢٨	الأعراف	٢٠، ٩٤، ١٣٠
٢٢.	﴿أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا ﴾	١٢٩	الأعراف	٨٦، ٨٧ ،٩٤، ١٢٣
٢٣.	﴿ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ ﴾	١٣٠	الأعراف	٩٧، ١٣٤، ١٥٠
٢٤.	﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا ﴾	١٣١	الأعراف	١٠٠
٢٥.	﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ ﴾	١٣٣	الأعراف	٩٧،٩٨، ١١٢، ١٣٤
٢٦.	﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ ﴾	١٣٤	الأعراف	٩٧، ٩٩ ،١٢٤
٢٧.	﴿ فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلرِّجۡزَ ﴾	١٣٥	الأعراف	٩٩، ١٢٤
٢٨.	﴿ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٌ تَجۡهَلُونَ ﴾	١٣٨	الأعراف	٢٠، ١٦١
٢٩.	﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِى ﴾	١٤٣	الأعراف	٧٠
٣٠.	﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصۡطَفَيۡتُكَ ﴾	١٥٠	الأعراف	١٩، ٦٧
٣١.	﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا ﴾	٧٨	يونس	٨١
٣٢.	﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوۡمِهِۦ﴾	٨٣	يونس	٩٤
٣٣.	﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا ﴾	٨٧	يونس	٩٥، ١٣٠
٣٤.	﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ ﴾	٨٨	يونس	١٠٢
٣٥.	﴿قَالَ قَدۡ أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا ﴾	٨٩	يونس	١٠٢
٣٦.	﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ ﴾	٩٠	يونس	١٥، ١٤٩
٣٧.	﴿ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ ﴾	٩١	يونس	١٥، ١٤٩
٣٨.	﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ ﴾	٩٢	يونس	١٥، ١٥٠، ١٦٧
٣٩.	﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾	٩٦	هود	١٥١

الرقم	الآية	رقمها	السورة	الصفحة
٣٩.	﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ ﴾	٩٧	هود	١٥١
٤٠.	﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾	٩٨	هود	١٥١
٤١.	﴿فِى هَـٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ ﴾	٩٩	هود	١٥١
٤٢.	﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ ﴾	٤	إبراهيم	١٢٦
٤٣.	﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَـٰت ﴾	١٠١	الإسراء	٩٦، ١٦٩
٤٤.	﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ ﴾	٥١	مريم	١٨، ١٣٤، ١٣٧
٤٥.	﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ ﴾	٥٣	مريم	٤١، ١٣٧
٤٦.	﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾	٦٤	مريم	٦١
٤٧.	﴿ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَـٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾	٩٢	مريم	٦٢
٤٨.	﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَـٰمُوسَىٰٓ ﴾	١١	طه	٤٢
٤٩.	﴿ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ﴾	١٢	طه	٤٢
٥٠.	﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴾	١٣	طه	٤٢
٥١.	﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ ﴾	١٤	طه	١٤، ٤٤
٥٢.	﴿ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾	١٥	طه	٤٢
٥٣.	﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴾	١٧	طه	٥٩
٥٤.	﴿ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا ﴾	١٨	طه	٥٩
٥٥.	﴿ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾	٢١	طه	٤٣
٥٦.	﴿ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ ﴾	٢٢	طه	٥٩
٥٧.	﴿ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَـٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴾	٢٣	طه	٨، ٤٦، ٧٩
٥٨.	﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾	٢٤	طه	٤٣، ٥٩، ١٢٦
٥٩.	﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴾	٢٥	طه	٤٣، ٤٤

الرقم	الآية	رقمها	السورة	الصفحة
٦٠.	﴿ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴾	٢٦	طه	٤٤
٦١.	﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴾	٢٧	طه	٤٤، ٦٠
٦٢.	﴿يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴾	٢٨	طه	٤٤، ٦٢، ٦٣، ١٤٤
٦٣.	﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ﴾	٢٩	طه	٤٤
٦٤.	﴿هَٰرُونَ أَخِي ﴾	٣٠	طه	٤٤
٦٥.	﴿ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴾	٣١	طه	٤٤
٦٦.	﴿وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴾	٣٢	طه	٤٤
٦٧.	﴿قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾	٣٦	طه	٤٥، ٧١
٦٨.	﴿وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ ﴾	٣٧	طه	٤٥، ٧١
٦٩.	﴿إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴾	٣٨	طه	٤٥، ٧١
٧٠.	﴿أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ﴾	٣٩	طه	٤٥، ٦٦
٧١.	﴿إِذۡ تَمۡشِيٓ أُخۡتُكَ فَتَقُولُ﴾	٤٠	طه	٤٥، ٧١
٧٢.	﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ﴾	٤١	طه	٤٦، ٧١
٧٣.	﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾	٤٣	طه	٧٩
٧٤.	﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا ﴾	٤٤	طه	٧٩
٧٥.	﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ ﴾	٤٥	طه	٤٥
٧٦.	﴿فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ﴾	٤٧	طه	٥٩، ٧٥، ١٢٢، ١٤٢، ١٥٩
٧٧.	﴿إِنَّا قَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡنَآ أَنَّ ٱلۡعَذَابَ ﴾	٤٨	طه	٧٥
٧٨.	﴿قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي ﴾	٥٢	طه	٧٨
٧٩.	﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا ﴾	٥٣	طه	٧٨

الرقم	الآية	رقمها	السورة	الصفحة
٨٠.	﴿كُلُواْ وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡ﴾	٥٤	طه	٧٨
٨١.	﴿مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ﴾	٥٥	طه	٧٨، ١٦٧
٨٢.	﴿وَلَقَدۡ أَرَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا﴾	٥٦	طه	٢٧، ٣٠، ٨٢، ١٦٧
٨٣.	﴿قَالَ أَجِئۡتَنَا لِتُخۡرِجَنَا﴾	٥٧	طه	٨٢
٨٤.	﴿قَالَ مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ﴾	٥٨	طه	٨٢
٨٥.	﴿فَتَوَلَّىٰ فِرۡعَوۡنُ فَجَمَعَ كَيۡدَهُۥ﴾	٥٩	طه	٨٢
٨٦.	﴿فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ﴾	٦٢	طه	٨٣
٨٧.	﴿قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾	٦٣	طه	٨٣
٨٨.	﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ﴾	٦٥	طه	٨٤
٨٩.	﴿قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْ﴾	٦٦	طه	٨٤
٩٠.	﴿فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ﴾	٦٧	طه	٨٤، ١٢٧
٩١.	﴿قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾	٦٨	طه	١٢٧
٩٢.	﴿وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا﴾	٦٩	طه	١٢٧
٩٣.	﴿فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا﴾	٧٠	طه	٨٥
٩٤.	﴿قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡ﴾	٧١	طه	٨٦
٩٥.	﴿ قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا﴾	٧٢	طه	٨٦
٩٦.	﴿إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا﴾	٧٤	طه	٨٦
٩٧.	﴿وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ﴾	٧٧	طه	١٠، ١٤٧
٩٨.	﴿فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ بِجُنُودِهِۦ﴾	٧٨	طه	١٤٨، ١٦٠، ١٦٦
٩٩.	﴿وَأَضَلَّ فِرۡعَوۡنُ قَوۡمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ﴾	٧٩	طه	٣١، ١٤٨، ١٧٩، ١٨٥

الرقم	الآية	رقمها	السورة	الصفحة
.١٠٠	﴿قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا ﴾	٨٧	طه	١٦١
.١٠١	﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ ﴾	٧٥	الحج	١٨
.١٠٢	﴿قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴾	١١	الشعراء	٤٨
.١٠٣	﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾	١٢	الشعراء	٤٥، ٧١
.١٠٤	﴿ وَيَضِيقُ صَدۡرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي ﴾	١٣	الشعراء	٧٢
.١٠٥	﴿وَلَهُمۡ عَلَيَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ﴾	١٤	الشعراء	٤٥، ٧٢
.١٠٦	﴿قَالَ فَعَلۡتُهَآ إِذٗا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾	١٨	الشعراء	١١، ٥٦، ٧٦، ٦١،
.١٠٧	﴿وَفَعَلۡتَ فَعۡلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلۡتَ ﴾	١٩	الشعراء	٨٦، ١١، ٧٦
.١٠٨	﴿قَالَ فَعَلۡتُهَآ إِذٗا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾	٢٠	الشعراء	٧٦
.١٠٩	﴿ فَفَرَرۡتُ مِنكُمۡ لَمَّا خِفۡتُكُمۡ ﴾	٢١	الشعراء	٧٦
.١١٠	﴿وَتِلۡكَ نِعۡمَةٞ تَمُنُّهَا عَلَيَّ ﴾	٢٢	الشعراء	٧٦
.١١١	﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ ﴾	٢٧	الشعراء	١٤، ٧٨، ١٢٥
.١١٢	﴿قَالَ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ ﴾	٢٨	الشعراء	٧٧، ٧٩
.١١٣	﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي ﴾	٢٩	الشعراء	١٣، ٢٩، ٧٩، ١٢٠
.١١٤	﴿قَالَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكَ بِشَيۡءٖ مُّبِينٖ ﴾	٣٠	الشعراء	٧٩، ١٢٧، ١٢٨
.١١٥	﴿قَالَ فَأۡتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ	٣١	الشعراء	١٢٧، ١٢٨
.١١٦	﴿فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ ﴾	٣٢	الشعراء	١٢، ٨٠، ١٢٧، ١٢٤
.١١٧	﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ ﴾	٣٣	الشعراء	١٢، ٨٠، ١٢٥
.١١٨	﴿قَالَ لِلۡمَلَإِ حَوۡلَهُۥٓ ﴾	٣٤	الشعراء	١٤، ١٢٥

الرقم	الآية	رقمها	السورة	الصفحة
.١١٩	﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم ﴾	٣٥	الشعراء	٨١، ٨١
.١٢٠	﴿ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ ﴾	٣٦	الشعراء	٨١، ٨٢
.١٢١	﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴾	٣٧	الشعراء	٨٠، ٨٢
.١٢٢	﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾	٤٢	الشعراء	٢١
.١٢٣	﴿فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ ﴾	٤٤	الشعراء	٨٤
.١٢٤	﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴾	٤٦	الشعراء	١٣٨، ١٤٣
.١٢٥	﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	٤٧	الشعراء	١٣٨
.١٢٦	﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾	٤٨	الشعراء	١٣٨
.١٢٧	﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ﴾	٥٢	الشعراء	١٠
.١٢٨	﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَدَآئِنِ ﴾	٥٣	الشعراء	١٤٤، ١٤٥، ١٦٠،
.١٢٩	﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴾	٥٤	الشعراء	١٤٤، ١٦٠، ١٨١
.١٣٠	﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴾	٥٥	الشعراء	١٤٤، ١٦٠، ١٨١
.١٣١	﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴾	٥٦	الشعراء	١٤٤، ١٦٠
.١٣٢	﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾	٥٧	الشعراء	١٤٥، ١٦٠
.١٣٣	﴿وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾	٥٨	الشعراء	١٤٥، ١٦٠
.١٣٤	﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾	٥٩	الشعراء	١٤٥، ١٦٠
.١٣٥	﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴾	٦٠	الشعراء	١٤٥، ١٦٠
.١٣٦	﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ ﴾	٦١	الشعراء	٢٢، ١٤٦، ١٦٠
.١٣٧	﴿قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي ﴾	٦٢	الشعراء	٢٢، ١٤٦، ١٦١

الرقم	الآية	رقمها	السورة	الصفحة
١٥٧.	﴿فِي ٱلۡمَدِينَةِ خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ ﴾	١٨	القصص	٣٨
١٥٨.	﴿فَلَمَّآ أَنۡ أَرَادَ أَن يَبۡطِشَ ﴾	١٩	القصص	٣٨
١٥٩.	﴿وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ ﴾	٢٠	القصص	٦٧
١٦٠.	﴿فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ﴾	٢١	القصص	٥٨
١٦١.	﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلۡقَآءَ مَدۡيَنَ ﴾	٢٢	القصص	٥٨
١٦٢.	﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ ﴾	٢٣	القصص	٤٠، ٥٨
١٦٣.	﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ ﴾	٢٤	القصص	٤٠
١٦٤.	﴿فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي ﴾	٢٥	القصص	٤٠
١٦٥.	﴿قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُ ﴾	٢٦	القصص	٢١، ٣٩، ٥٨
١٦٦.	﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ﴾	٢٧	القصص	٤٠
١٦٧.	﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ ﴾	٢٩	القصص	٤٠، ٤١، ٦٩
١٦٨.	﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ﴾	٣٠	القصص	٤١، ٦٩
١٦٩.	﴿وَأَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَ ﴾	٣١	القصص	٤٣
١٧٠.	﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾	٣٥	القصص	١٤٦
١٧١.	﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ﴾	٣٨	القصص	٢٥، ١٠٤، ١٤٨،
١٧٢.	﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ ﴾	٣٩	القصص	١٥٠
١٧٣.	﴿فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ ﴾	٤٠	القصص	١٥٢
١٧٤.	﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلۡغَرۡبِيِّ ﴾	٤٤	القصص	٤١، ٧٧
١٧٥.	﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ ﴾	٧٦	القصص	١٠٤، ١٣٧
١٧٦.	﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ﴾	٧٧	القصص	١٠٥، ١٠٦
١٧٧.	﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ ﴾	٧٨	القصص	١٠٦

الرقم	الآية	رقمها	السورة	الصفحة
١٧٨.	﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦ﴾	٧٩	القصص	١٠٤
١٧٩.	﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾	٨١	القصص	١٠٧
١٨٠.	﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا﴾	٨٣	القصص	١٠٧
١٨١.	﴿وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ﴾	٣٩	العنكبوت	١٠٤
١٨٢.	﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ﴾	٤٠	العنكبوت	٩٦
١٨٣.	﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾	٦٩	الأحزاب	١٩
١٨٤.	﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾	٩٩	الصافات	١٤١
١٨٥.	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا﴾	٢٣	غافر	١٠٤، ١٠٨
١٨٦.	﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ﴾	٢٤	غافر	٩١، ١٠٤، ١٠٨
١٨٧.	﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾	٢٦	غافر	٣٠، ٨٧، ٩٢، ١٣٠، ١٣٢
١٨٨.	﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي﴾	٢٧	غافر	٨٧، ٩٢
١٨٩.	﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ﴾	٢٨	غافر	٨٨، ٨٩
١٩٠.	﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾	٢٩	غافر	٣٠، ٨١، ٩٠، ٩١، ١٣٧
١٩١.	﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ﴾	٣٠	غافر	٩١
١٩٢.	﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ﴾	٣٤	غافر	٩٣
١٩٣.	﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ﴾	٣٦	غافر	١٣٧
١٩٤.	﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ﴾	٣٨	غافر	٩٢
١٩٥.	﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾	٤٠	غافر	١٠٥
١٩٦.	وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ﴾	٤١	غافر	٩٣

الرقم	الآية	رقمها	السورة	الصفحة
.١٩٧	﴿تَدۡعُونَنِى لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ﴾	٤٢	غافر	٩٣
.١٩٨	﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِىٓ إِلَيۡهِ﴾	٤٣	غافر	٩٣
.١٩٩	﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ﴾	٤٥	غافر	٩٣
.٢٠٠	﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَىۡءٌ﴾	١١	الشورى	٦٠، ١٦٥
.٢٠١	﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَـٰتِنَآ إِذَا﴾	٤٧	الزخرف	٩٩
.٢٠٢	﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنۡ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ﴾	٤٨	الزخرف	٩٩
.٢٠٣	﴿وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِى قَوۡمِهِۦ﴾	٥١	الزخرف	١٠٠
.٢٠٤	﴿أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٌ مِّنۡ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ﴾	٥٢	الزخرف	١٠٠، ١٤
.٢٠٥	﴿فَلَوۡلَآ أُلۡقِىَ عَلَيۡهِ أَسۡوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ﴾	٥٣	الزخرف	١٠٠، ١٠١
.٢٠٦	﴿فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ﴾	٥٤	الزخرف	٢٥، ١٠١، ١١٣
.٢٠٧	﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ﴾	٥٥	الزخرف	١٤٨، ١٥٢
.٢٠٨	﴿فَجَعَلۡنَـٰهُمۡ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلۡأَخِرِينَ﴾	٥٦	الزخرف	١٤٨، ١٥٢
.٢٠٩	﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا قَبۡلَهُمۡ قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَ﴾	١٧	الدخان	٩٥
.٢١٠	﴿أَنۡ أَدُّوٓاْ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ﴾	١٨	الدخان	٩٥
.٢١١	﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٌ مُّجۡرِمُونَ﴾	٢٢	الدخان	٩٥
.٢١٢	﴿فَأَسۡرِ بِعِبَادِى لَيۡلًا﴾	٢٣	الدخان	١٤٣، ١٦٤
.٢١٣	﴿وَٱتۡرُكِ ٱلۡبَحۡرَ رَهۡوًا﴾	٢٤	الدخان	١٤٧، ١٦٥
.٢١٤	﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ﴾	٣٥	الأحقاف	٢٠
.٢١٥	﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾	١٣	الحجرات	٧١
.٢١٦	﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ﴾	٣٤	القمر	٩٨
.٢١٧	﴿وَلَقَدۡ جَآءَ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ ٱلنُّذُرُ﴾	٤١	القمر	٩٨

الرقم	الآية	رقمها	السورة	الصفحة
٢١٨.	﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ﴾	٥	الجمعة	١٣٦
٢١٩.	﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾	١٢	الطلاق	١٣١
٢٢٠.	﴿ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ﴾	١٦	النازعات	٤١
٢٢١.	﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾	١٧	النازعات	١٢٦
٢٢٢.	﴿فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴾	١٨	النازعات	١٢٦
٢٢٣.	﴿وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ﴾	١٩	النازعات	١٢٦
٢٢٤.	﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾	٢٤	النازعات	٢٦، ٢٩، ١٢٩

فهرس الأحاديث

فهرس التراجم والأعلام

١- ابن الأثير: المبارك بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجرزي، أبو السعدات، مجد الـدين، المحدث اللغوي الأصولي، ولد عام (٥٤٤هـ) في جزيرة ابن عمر، ونشأ فيها، ثم انتقل إلى الموصل واتصل بصاحبها، فكان من أخصَّائه، أصيب بمرض النقرس، فبطلت حركة يديه ورجليه، ولازمه المرض إلى أن توفي في إحدى قرى الموصل عام (٦٠٦هـ)، قيل إن تصانيفه كلها ألفها في زمن مرضه إملاءً على طلبته، وهم يعينونه بالنسخ والمراجعة، من كتبه: "النهاية في غريب الحديث"، و"الكامل في التاريخ"، و"جامع الأصول في أحاديث الرسول"، و"الإنصاف في الجمع بين الكشف والكشاف"، و"المختار في مناقب الأخيار" و"تجريد أسماء الصحابة"، وغيرها من المؤلفات[١].

٢- الألوسي: (١٢١٧-١٢٧٠هـ)، محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، شهاب الدين، أبو الثناء، مفسر محدث، أديبٌ من المجددين، ولد في بغداد ومات فيها، كان سلفي الإعتقاد مجتهداً، تولى الإفتاء ببلده، ثم عزل، فانقطع للعلم، سافر إلى الموصل فالأستانة، ومر بماردين وسيواس، فغاب واحداً وعشرين شهراً، ثم عاد إلى بغداد يدوّن رحلاته، ويكمل ما قد بدا به من مصنفاته، واستمر على ذلك إلى أن توفي رحمه الله، من كتبه: "روح المعاني" في التفسير و "نشرة الشمول في السفر إلى اسلامبول" تحدث فيه عن رحلته إلى الأستانة و"كشف الطرَّة عن الغرة" وغيرها[٢].

٣- البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، أبو عبد الله، حبر الإسلام، والحافظ لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، صاحب الجامع الصحيح المعروف بصحيح البخاري، أصح كتاب على وجه الأرض بعد القرآن الكريم، ومن مصنفاته "التاريخ" و"خلق أفعال العباد"، وغيرها، ولد في بخارى سنة (١٩٤هـ)، ونشأ يتيماً، قام برحلة طويلة في طلب علم الحديث، فزار خراسان والعراق ومصر والشام، وسمع من نحو ألف شيخ، وجمع

---

(١) الزركلي، خير الدين، الأعلام، قاموس تراجم، أشهر الرجال والنساء فيه العرب والمستعربين والمستشرقين،(٥/٤٥١)، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٦،١٩٨٤م.

(٢) المصدر السابق، (٧/١٧٧).

نحو ستمائة ألف حديث، إختار منها في صحيحه ما وثق برواياته وفق شروطه، توفي في "خزنتك" من قرى سمرقند سنة (٢٥٦هـ)[٣].

٤- البغوي: الحسين بن مسعود بن محمد، أبو محمد، أو من يلقب بان الفرّاء، ويلقب بمحيي السنة، ولد عام ٤٣٣هـ وارتحل إل مرو الروذ، فتفقه على يد شيخ الشافعية القاضي الحسين بن محمد المروزوذي، فأتقن المذهب وصنف فيه كتاب "التهذيب".

ثم بلغ درجة الإجتهاد، وهو فقيه محدث ومفسر له غير التهذيب "شرح السنة في الحديث" وكتاب "لباب التأويل في معالم التنزيل"، و"مصابيح السنة"، و"الجمع بين الصحيحين"، وغير ذلك توفي بمرو الروذ عام (٥١٠هـ)[١].

٥- البقاعي: (٨٠٩-٨٨٥هـ). إبراهيم بن عمر بن علي بن أبي بكر البقاعي، أبو الحسن برهان الدين، مؤرخ أديب، أصله من البقاع في سورية، وسكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة، توفي بدمشق، له من المصنفات "عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران" و"الأنس الجليل" و"الدرر الكامنة" و"غاية النهاية" و"نظم الدرر في تناسب الآيات والسور" وغيرها الكثير الكثير[٢].

٦- الثعالبي: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري، أبو زيد، مفسِّر من أعيان الجزائر، ولد سنة (٧٨٦هـ)، زار تونس والمشرق، توفي سنة (٨٧٥هـ)، من كتبه "الجواهر الحسان في تفسير القرآن" و "الأنوار في المعجزات النبوية" و "روضة الأنوار" و"نزهة الأخيار"، "والذهب الإبريز في غريب القرآن العزيز"[٣].

٧- الحموي: ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، من علماء الجغرافيا واللغة، أسر صغيراً من بلاد الروم، وابتاعه ببغداد تاجرٌ اسمه عسكر بن إبراهيم الحموي، فربَّاه وعلَّمه وشغله

---

(٣) المصدر السابق، (٦/ ٢٤٢)

(١) المصدر السابق، (٢/ ٤٥٩).

(٢) المصدر السابق (١/١٥).

(٣)) الذهبي،محمد حسين، التفسير والمفسرون،م٢،ص(٢٤٧-٢٤٨)،ط٢، ١٩٧٦م.

بالإتجار في تجارته ثم أعتقه، فرحل رحلة واسعة انتهت به إلى مرو بخراسان، ثم انتقل إلى خوارزم وبقي فيها إلى خروج التتر، من أهم كتبه "معجم البلدان" توفي في حلب عام (٦٢٦هـ)[٤].

٨- أبو داوود: (٢٠٢هـ -٢٧٥هـ) سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني، إمام أهل الحديث في زمانه، أصله من سجستان، رحل رحلة كبيرة في طلب العلم وتوفي بالبصرة، له من المصنفات: "سنن أبي داوود" و "المراسيل" وكتاب "الزهد" وغيرها[٥].

٩- الراغب الأصفهاني: الحسين بن محمد بن المفضل أبو القاسم الأصبهاني أو الأصفهاني المعروف بالراغب، أديب من الحكماء العلماء من أهل أصبهان، سكن بغداد واشتهر حتى كان يقرن بالإمام الغزالي، من كتبه "محاضرات الأدباء" و"المفردات" و"الأخلاق" "وجامع التفاسير" وتفصيل النشأتين[٦].

١٠- الزمخشري: محمود بن عمر بن محمد بن أحمد، العلامة أبو القاسم الزمخشري النحوي اللغوي المعتزلي، المفسر، يلقب جار الله لأنه جاور مكه زماناً، ولد في زمخشر من قرى خوارزم عام (٤٦٧هـ)، تنقل في البلدان، كان واسع العلم، كثير الفضل، غاية في الذكاء وجودة القريحة، متفنناً في كل علم، معتزلياً قوياً في مذهبه مجاهراً به، داعياً إليه، علاَّمة في الأدب والنحو، توفي في الجرجانية من "قرى خوارزم" سنة(٥٣٨هـ) له كثير من التصانيف البديعة منها "الكشاف" في التفسير ، و"الفائق" في غريب الحديث، و"أساس البلاغة"، وغيرها من المصنفات[١].

---

(٤) الزركلي، الأعلام،(٢٤٦/٨) مرجع سابق.

(٥) المصدر السابق (٢٢٠/٢)

(٦) المصدر السابق (٢٢٠/٢)

(1) الداودي، محمد بن علي بن أحمد، طبقات المفسرين، (٣١٤/٢-٣١٥) تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة ط٢، ١٩٩٤م. (٢) الزركلي، الأعلام، (٩١/٦)، مرجع سابق.

١١- الطبري: محمد بن جرير بن يزيد، أبو جعفر، المفسر، المؤرخ الإمام، ولـد فـي آمـل طبرستان سنة ٢٢٤هـ واستوطن بغداد عرض عليه القضاء والمظالم فـأبى، وهـو مـن المؤرخين الثقات قال ابن الأثير: أبو جعفر أوثق من نقل التاريخ، وهو أول من كتاباً فـي التفسير بالمأثور مما يدل على علمه العزير، كان مجتهداً في الدين، لا يقلد أحداً بـل قلّـده بعض الناس وعملوا بأقواله وآرائه، له مؤلفات كثيرة منها: "جامع البيان في تفسير القرآن" المعروف "بتفسير الطبري"، وكتاب "أخبار الرسل والملوك" المعروف "بتـاريخ الطبـري" توفي سنة ٣١٠هـ[1].

١٢- ابن عبَّاس: (٣ق هـ - ٦٨هـ) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشـي الهاشـمي، حبر الأمة، الصحابي الجليل، ولد بمكة، ونشأ في بدء عصر النبوة، فلازم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وروى عنه الحديث، وشهد مع علي الجمل وصفين، وكفَّ بصره في آخـر عمره، فسكن الطائف وتوفي بها، له في الصحيحين وغيرهما ١٦٦٠ حديثاً، وكان كثيراً ما يجعل أيامه للفقه والعلم، وكان عمر إذا أعضلت عليه مسألة في الفقه والعلم، يدعوه ويقول له: أنتِ لها، وكان آية في الحفظ، وينسب إليه كتاب في تفسير القرآن، جمعه بعض أهـل العلم في مرويَّات المفسرين عنه في كل آية فجاء تفسيراً حسناً[2].

١٣- العسقلاني: أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل شهاب الدين، إبن حجر، من أئمة العلم والتاريخ، أصله من عسقلان بفلسطين، ومولده بالقاهرة سنة ٧٧٣هـ كان في بداية حياته مولعاً بالأدب والشعر، ثم أقبل على الحديث، ورحل إلـى الـيمن، والحجـاز، وغيرها لسماع الشيوخ ثم ما لبث أن ذاع صيته فقصده الناس للأخذ عنه، وأصـبح حـافظ الإسلام في عصره، قال السخاوي: إنتشرت مصنفاته في حياته وتهادتها الملـوك، وكتبهـا الأكابر، ولي القضاء بمصر مرَّات، ثم اعتزل، مات بالقاهرة سنة ٨٥٢هـ، أما مـصنفاته

---

(٣) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، الاصابة في تمييز الصحابة، (١٢١/٤)، تحقيق الشيخ عادل احمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية،لبنان، ط(١)،١٩٩٥م.

فكثيرة جليلة منها، "فتح الباري شرح صحيح البخاري"، و"الدرر الكامنة في أعيـــان المئـــة الثامنة" و"الإصابة في تميز الصحابة"، و"تقريب التهذيب" وغيرها[١].

١٤- الفخر الرازي: محمد بن عمر بن الحسن التيمي البكري، أبو عبد الله القرشي، فخر الدين الرازي، من ذرية أبي بكر الصديق، الإمام المفسر، أوحد أهل زمانه في المعقول والمنقول، وهو قرشي النسب أصله من طبرستان، مولده في الري سنة ٥٤٤هـــ، وإليها نسبته، يقـــال له: إبن خطيب الري، رحل إلى خوارزم وإلى ما وراء النهر وخراسان، أقبل الناس علـــى كتبه في حياته يتدارسونها، له مؤلفات كثيرة في مختلف العلـــوم منهـــا: "مفـــاتيح الغيـــب" المعروف "بتفسير الرازي"، و"المحصول في علم الأصول"، وغيرهما الكثير، ولـــه شـــعر بالعربية والفارسية وكان واعظاً بارعاً باللغتين، توفي في هراة سنة ٦٠٦هـــ[٢].

١٥- القرطبي: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي، الأندلسي أبو عبد الله القرطبي، من كبار المفسرين، كان من عباد الله الصالحين، والعلماء العارفين الورعين، من أهل قرطبة، رحل إلى الشرق واستقر بمدينة ابن خصيب في شمال أسيوط بمـــصر ربَّمـــا توفي في التاسع من شوال سنة إحدى وسبعين وستمائة، من مـــصنفاته: "الجـــامع لأحكـــام القرآن" المعروف "بتفسير القرطبي"، وله "شرح أسماء الله الحسنى" وكتاب "التـــذكار فـــي أفضل الأذكار" وكتاب "التذكرة في أحوال الموتى و أمور الأخرة"[٣].

١٦- قطب: سيد بن قطب بن إبراهيم، مفكر إسلامي معاصر ولد سنة ١٩٠٦م في قرية "موشا" في أسيوط، تخرج من كلية دار العلوم بالقاهرة عام ١٩٣٤م، وعمل فـــي جريـــدة الأيـــام، وعمل مدرساً للغة العربية، ثم موظفاً في ديوان وزارة المعارف ثم مراقباً فنيـــاً للـــوزارة، إنضم للإخوان المسلمين، وترأس قسم نشر الدعوة وتولَّى تحرير جريدتهم، ثم سجن معهم، فعكف على تأليف الكتب ونشرها، وبقي في سجنه حتى صدر الأمر بإعدامه فأعـــدم عـــام

---

(1) الزركلي، الأعلام،(٦٢/١).

(2) الداودي، طبقات المفسرين،(٢١٤/٢)، مرجع سابق.

(3) المصدر السابق،(٦٦/٢).

١٩٦٦م، من كتبه "في ظلال القرآن" في التفسير، و"العدالة الإجتماعية في الإسلام"، و"التصوير الفني في القرآن" وغيرها[1].

١٧- ابن كثير (٧٠١- ٧٧٤هـ) إسماعيل بن عمر بن كثير، القرشي البصري الدمشقي، أبو الفداء، عماد الدين، حافظ مؤرخ فقيه، ولد في قرية من أعمال بصرة في الشام، وانتقل مع أخ له إلى دمشق سنة ٧١٦هـ، ورحل في طلب العلم، وتوفي بدمشق، تناقل الناس تصانيفه في حياته، من كتبه "البداية والنهاية" و"تفسير القرآن العظيم" المعروف "بتفسير ابن كثير" وغيرها[2].

١٨- المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي، مفسر مصري، من العلماء، تخرج بدار العلوم سنة ١٩٠٩م، ثم كان مدرس الشريعة الإسلامية فيها، وولي النظارة في بعض المدارس، وعيِّن مدرساً للعربية والشريعة الإسلامية بكلية غوردون بالخرطوم، له كتب منها "الحسبة في الإسلام" و"الوجيز في أصول الفقه" و"تفسير المراغي" و"علوم البلاغة"، توفي بالقاهرة عام ١٩٥٢م[3].

١٩- مسلم: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، أبو الحسن،حافظ وإمام من أئمة الحديث، ولد بنيسابور سنة ٢٠٤هـ، رحل إلى الحجاز ومصر والشام والعراق، أشهر كتبه "صحيح مسلم" جمع فيه عشرة آلاف حديث كتبها في خمسة عشرة سنة، وهو أحد الصحيحين المعوّل عليهما عند أهل السنة في الحديث وقد شرحه كثيرون من أشهرهم الإمام النووي، ومن كتبه "المسند الكبير"، و"الجامع والكنى" و"الأسماء" وغيرها[4].

٢٠- ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل جمال الدين إبن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، الإمام اللغة الحجة من نسل رويفع بن ثابت الأنصاري، ولد بمصر سنة ٦٣٠هـ، وقيل في طرابلس الغرب، خدم في ديوان الإنشاء بالقاهرة ثم ولي القضاء في

---

(1) الزركلي، الأعلام، (٣/٢٦٩).
(2) الذهبي، التفسير والمفسرون، م١،ص(٢٤٢)، مرجع سابق.
(3) الزركلي، الأعلام (١/٩٤).
(4) المصدر السابق (٦/٢٣٣).

طرابلس، عمي في آخر عمره، وعاد إلى مصر، فتوفي فيها سنة ٧١١هـ، وقد ترك بخطه نحو خمسمائة مجلد أشهرها "لسان العرب" الذي جمع فيه أمهات كتب اللغة، فكاد يغني عنها جميعاً، ومن مؤلفاته "مختار الأغاني" و"سرور النفس بمدارك الحواش الخمسة لأولي الألباب"، وغيرها الكثير[١].

(1) المصدر السابق (١٠٣/٧).

AN- Najah National University
Faculty of Graduate Studies

Moses Story with Pharaoh Between the Holy Koran and the Old TestEment

Prepared by
Nidal Abbas Jabber Dweikat

Supervisor
Dr. Mohammed Hafeth Ishreida

Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master in Usol Ad-Din, Faculty of Graduate Studies at An-Najah National University, Nablus, Palestine.

2006

Moses Story with Pharaoh
Between the Holy Koran and the Old TestEment
Prepared by
Nidal Abbas Jabber Dweikat
Supervisor
Dr. Mohammed Hafeth Ishreida

Abstract

The title of this thesis is " Moses story with pharaoh between Holy koran and the old Testement" I have showed in this thesis the incidents and events of moses story with the tyrant pharaoh in the Holy Koran and the Old testement, and I have built a comparison of its events in both books, showing that the Old testement agrees with the Holy Koran in some aspects which are the general features of the story. But there is a great difference and contrast between the two books in the details of the story. In this research, I have also dealt with the many deviations acted by the jews that are deduced and inferred from mosses story. Among them, the Jewish point of view relating to the God and messengers, especilly epithet of Moses.

According to this research , it has been proved that the Holy Koran is a book without any futile at all, while the present old Testement has been distorted.

Moreover, I have made an index for topics, verses of the Holly Koran and another for Hadith, mentioned in this thesis. I have also included a biography of some disting uished researchers as needed. Furher- more , there is an index for references.

At last , I hope the God May Bless My study.

As He is responsive and the all – hearing.